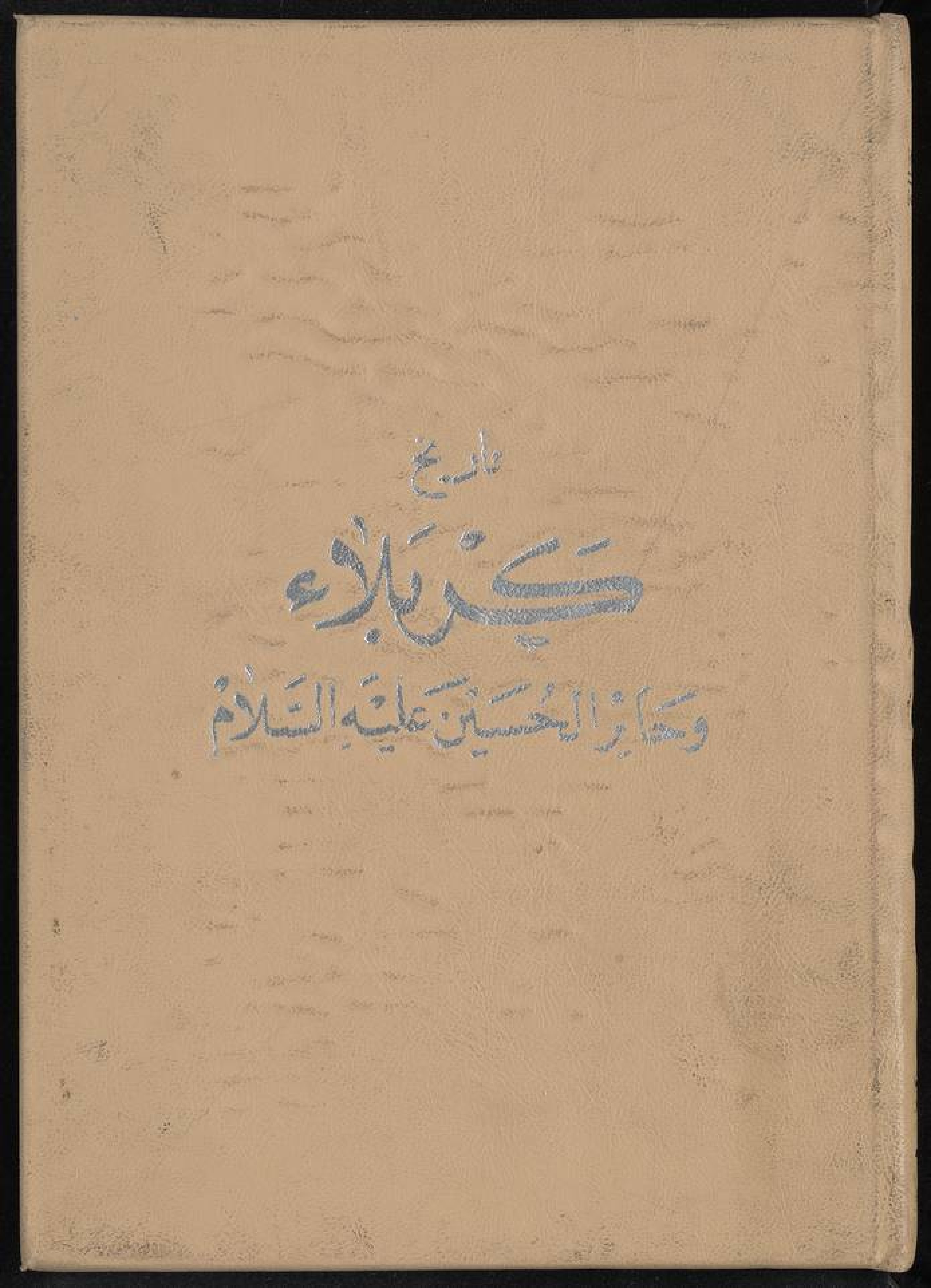
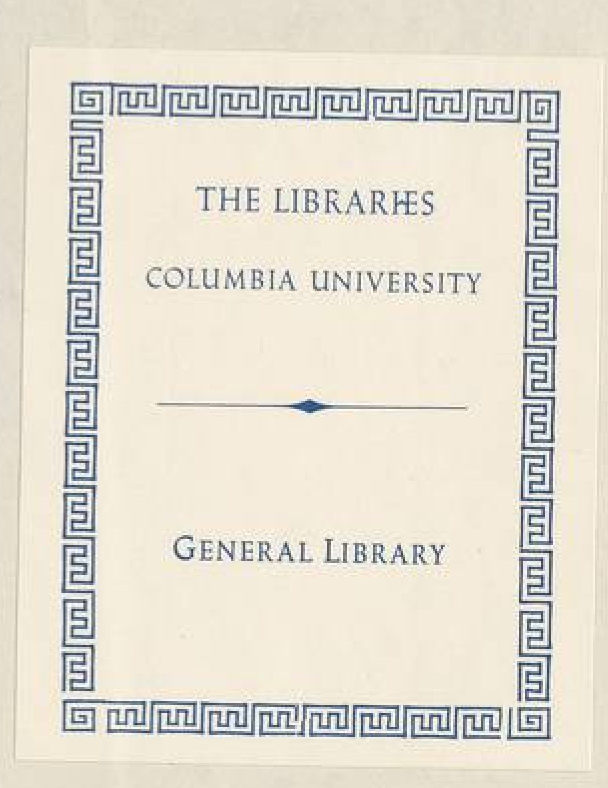
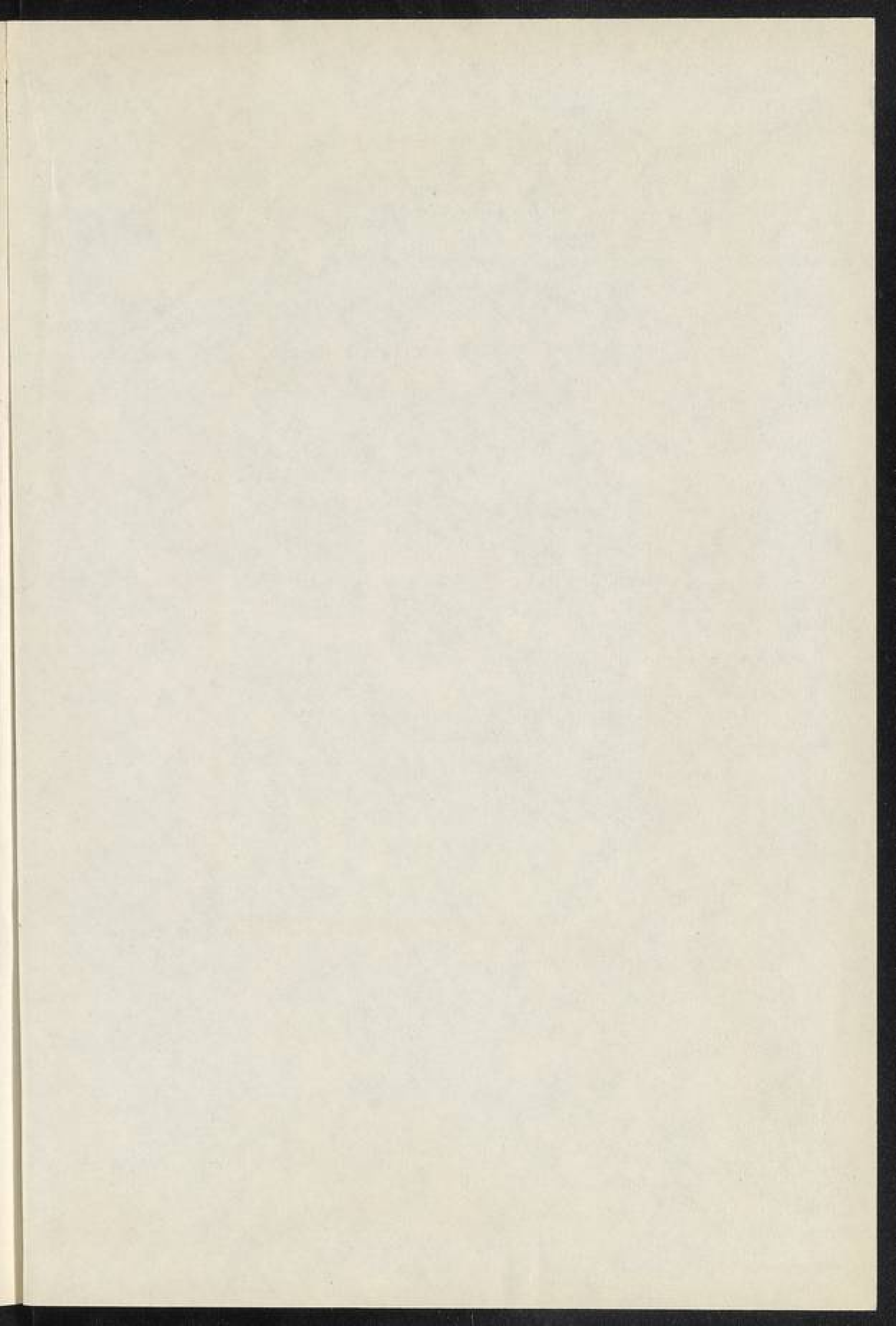

تاريخ
كربلاء
وحائر الحسين عليه السلام

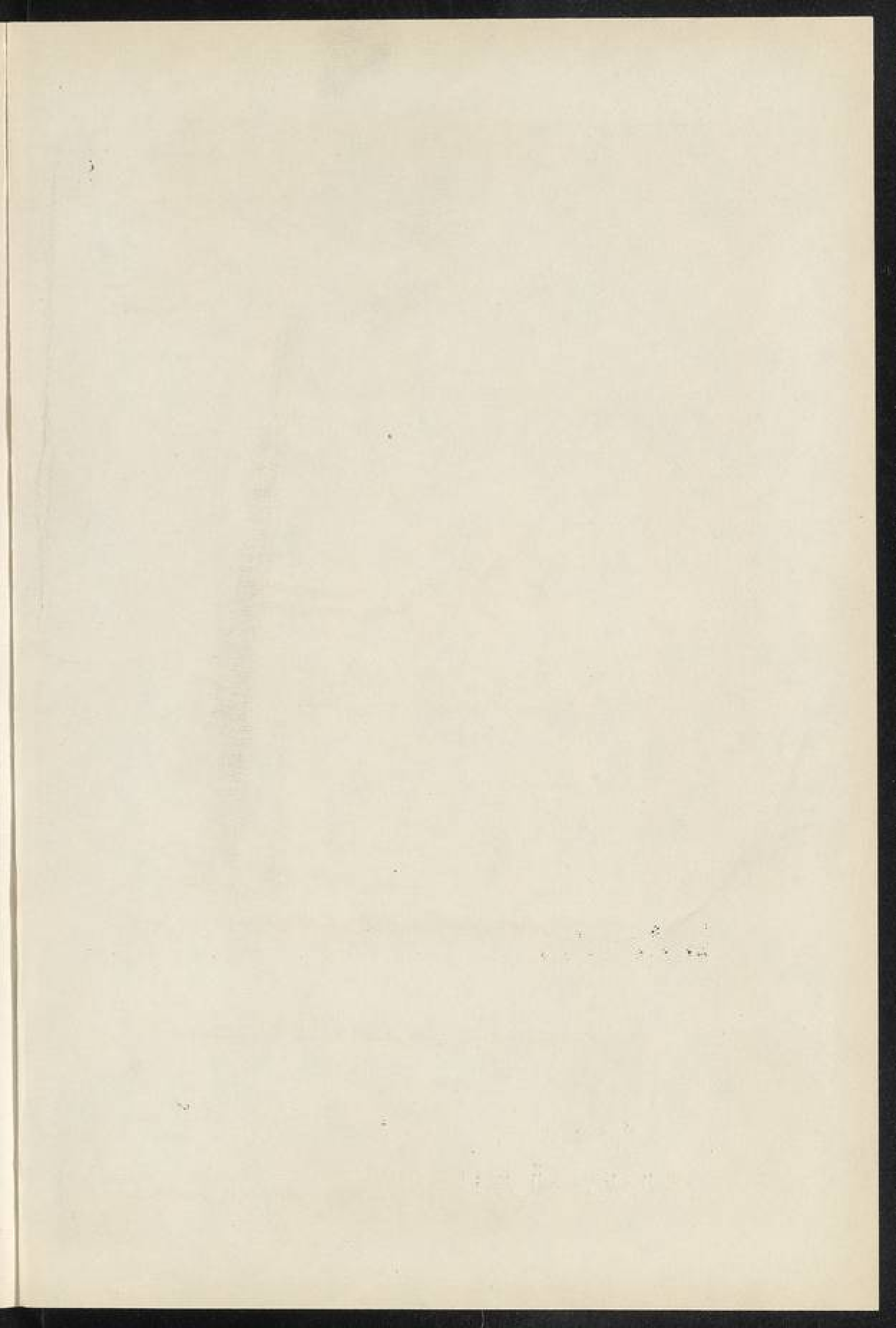


Columbia



تاريخ كربلا

وحائر الحسين عليه السلام



الدكتور عبد الجواد الكليدار
دكتور فى الحقوق
وليسانس فى العلوم السياسية

تاريخ
كربلاء
وحائر الحسين عليه السلام

وهو بحث واسع عن الحائر المقدس
فى التاريخ واللغة والفقه والحديث
وعمارته وهدمه من الصدر الأول الى العصر الحاضر

منشورات المطبعة الحيدرية فى النجف الاشرف

مطبعة النعمان النجف تلفون ١٩٩٧ المسكن ٢٢٧ حي ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

كلمة سماحة الامام الاكبر حجة الاسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء دامت فيوضاته العالية

انـه من الكتب القيمة والآثار الخالـدة
وقد اديت به حق وطنك واجدادك .

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ السيد الشريف البحاثة الألمعي الدكتور السيد عبدالجواد الكليدار حفظه الله . سلام ودعاء . وصلني كتابك وما قدّمت من كراريس مؤلفك البارع « تاريخ كربلاء » وتطلب تقريظه مع المقرّظين . وحقا ان كتابك هذا يقرظ نفسه بنفسه ، ويدل على ذاته بذاته ، ويفرض إستحسانه على قارئه والاعجاب به فرضا :

واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وأنا عوض أن أقرظ كتابك هذا ، أهنئك وأبارك لك على ما منحك الله من التوفيق لهذه الخدمة الجليلة لا للطائفة فقط بل لقافلة البشرية أجمع . فانه من الكتب القيمة ، والاثار الخالدة وقد أديت به حق وطنك وأجدادك وكنت أنت إبنها البار وولدها المخلص .

نعم ، كتابك هذا كله بحث وتحقيق ، وأمانة ومتانة . فنسأله تعالى ان يوفقك لاتمامه فاننا نتشوق اليه تشوق الظماء الى الماء . وحالتنا الصحية لا تساعدنا على أكثر من هذا . فعـذرا أيها السيد الفاضـل والله يحفظك

بدعاء أبيك الروحي
محمد الحسين
آل كاشف الغطـاء

من مدرستنا العلمية فى النجف الأشرف ، غرة شعبان ١٣٦٨ هـ .

كلمة صاحب السماحة العلامة الاكبر الشيخ عبدالحسين الاميني
مؤلف كتاب « الغدير » في الاسلام

هذا الكتاب ضالة الفقيه وطلبة المحدث وبغية الباحث
وأمنية أهل الدين ومأرب المجتمع البشري أجمع

حضرة الدكتور الفذ السيد عبدالجواد الكليدار الحائري المحترم .

سلام عليكم ، تلقيت بكل إحترام كتابكم الكريم مع ما إستصحبه من كراريس من تأليفكم القيم «تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام» فلما قرأت عنوان ذلك التأليف الحافل بالفضيلة أخذتني الدهشة وقلت سبحان الله أيسع للكاتب أن يؤلف في تاريخ كربلاء وحائرها ، أو يتأتى للبحاثة أن يحمل ذلك العبء الثقيل في الحائر المقدس وقد حارت فيها العقول وبحق سميت حائرا أو يتمكن أي ضليع في التاريخ من أن يحوم حول قبلة الاباء ، وكعبة الشرف ، ومطاف الملائكة ، ومصرع العشاق ، وحلبة السباق ؟ ولما سرحت نظري في غضونه سبحت أخرى قائلا : خلق الله للحروب رجالا ــ فلا بدع في ان تجول يا «جواد الفضيلة» في ذلك المضمار إذ أنت وليد الحائر وابن مليكها ، وهي قاعدة بيتك ، وبيئة نشأتك ، وبيدكم مفاتيح الشرف وأهل البيت أدرى بما فيه .

وكأنك مهما وجدت الأمة قد ولت وجهها شطر عظمة تلك الأرض المقدسة وأخبتت الى قدسها وقدس صاحبها حسين القداسة ، حسين الاباء والشهامة ، حسين السؤدد والشرف ، حسين الفضل والعظمة ، حسين الحق والحقيقة ، حسين الروح والمعنى ، ووقفت على مقال طبقات الأمة حول

بقعة الشرف ــ الحائر ــ ففصلت فيها القول فقها وحديثا ، ولغة وتاريخا ، فحقا درست الحقوق ، وحقا انت جوادها ، وحقا أديت للحقيقة حقها .

فكتاب تاريخ كربلاء وحائرها كنفس بقعتها الكريمة ضالة الفقيه ، وطلبة المحدث ، وبغية الباحث ، وأمنية أهل الدين ، والقول الفصل فانه مأرب المجتمع البشري أجمع ، ومقصد العالم كله . فجزاك الله عن الكل خيرا ، وجعلك ذخرا للبحث والتنقيب ، ولمثل هذا فليعمل العاملون . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

النجف ــ غرة شعبان ١٣٦٨ هـ

محبكم
عبدالحسين الأميني النجفي

ما تفضل به صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ جعفر نقدي عضو محكمة التمييز الجعفري مقرضاً ومؤرخاً كتاب «تاريخ كربلاء وحائر الحسين ع»

بخير الكتب جاد لنا جـواد

لأهل الفضـل بشرى في كتاب ... به الارشـاد أشـرق والرشـاد

لحـائر كربـلا تاريخ صـدق ... مباحثـه عليهـا الاعتمـاد

به حاز الجـواد السبق حقـا ... فجـاد بما أفـاد كمـا يـراد

لمن رام الـكمال أقـول أرّخ ... « بخير الكتب جاد لنا جواد »

٨١٢+٤٥٣+٨+٨١+١٤=١٣٦٨

كلمة سعادة الاستاذ الكبير السيد محمد رشيد مرتضى

وبهذا السفر العظيم قد كشفت الغطاء
وأمطت اللثام عن وجه الحقائق .

والحق إن هذا السِفْر العظيم ، والأثر الجليل الخالد سيقدره طلاب الحقائق التاريخية في كل عصر . ولم يبلغ به مؤلفه الفاضل القدير هذه الدرجة من الكمال في الاستقصاء العلمي ، والبحث الحر الدقيق ، والتحليل الواسع للتاريخ وذلك بهذا الاسلوب الفني المتين إلا بعد جهاد في التتبع ، وإجهاد في الفكر ، وجهود عظيمة يقدرها له أهل الفن وينظر اليها رجال العلم بمنظار الاعجاب والاكبار في كل وقت .

وقد أثبت المؤلف انه فارس يجيد السباق في ميادين العلم ولهذا كان « المجلى » ولم يدانيه « المصلي » . ولاعجب فانه يتحدث عن المدينةالمقدسة في الاسلام تلك التي يجب ان تدعى بالمدينة العظمى في كل العصور لأنها محط آمال العالم الاسلامي ، وموضع أماني المسلمين لسعادة الدارين ، وهي التي يؤمها في السنة مئآت الالوف من الزائرين من جميع الاقطار الاسلامية فيعكفون على ابوابها ، ويتهافتون على أعتابها إعظاما وإكبارا لبطل الابطال الثاوي بربعها .

وبهذا السِفْر العظيم أيها الاستاذ الكبير لقد كشفت الغطاء ، وأمطت اللثام عن وجه الحقائق التي غشاها الاهمال والنسيان أجيالا عديدة عن الانظار والافكار ، وها هي قد تجلت اليوم للبصائر والأبصار عظمة هذه المدينة المقدسة فبرزت بموكبها النوراني الباهر الذي يقتحم الأرواح والنفوس ، ويحتل العقول والقلوب لا زلت موفقا لكل خير .

نزيل العراق : **محمد رشيد مرتضى**

كلمة صاحب الفضيلة العلامة الكبير والمؤلف الشهير السيد محمد مهدي الاصفهاني الكاظمي دام فضله

ان هذا الكتاب سيكون مصدرا
للتاريخ ومرجعا للمؤلفين فى كل وقت

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبينا وآله الطاهرين . أما بعد فكثيرا ما كنا نود ان يقوم فضلائنا الأعلام بتأليف تاريخ للحرمين الشريفين الحائري والغروي على مشرفيهما السلام لأنه لم يؤلف فيهما كتاب يستحق التقدير والتنويه ، حتى قيض الله للحائر البحاثة التحرير ، والمتتبع الخبير ، والمؤرخ القدير ، الاستاذ السيد عبد الجواد الكليدار أدامه الله بهذا العمل الجليل في تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام وهو هذا الكتاب وقد طالعناه بامعان فوجدناه ليس بموجز مخل ، ولا بمطول ممل ، أدى الموضوع حقه من جميع نواحيه بعبارات فصيحة سلسة تقبلها الطباع وتستسيغها الاسماع بكل رغبة . مع العلم ان كتاب سيدنا الدكتور هذا هو أفضل كتاب الف في الموضوع وخير تأليف ظهر في هذا المشروع . فانه خدم به جده الحسين سيد شباب أهل الجنة فجزاه الله بجده عن جده عليه السلام . وهو كتاب يستفيد منه الخاص والعام ، وانه سيكون مصدرا للتاريخ ومرجعا للمؤلفين في كل وقت ، ولا زال مؤيدا بدعاء أخيه .

العبد الفقير الى رحمة ربه الغني
محمد مهدي الموسوي الاصفهاني
الكاظمي عفى عنه

الكاظمية فى ١٧ رجب سنة ١٣٦٨ هـ

تعريف بالكتاب والمؤلف

بقلم : الأستاذ سلمان هادي الطعمة

لا شك ان «تاريخ كربلاء» الذي أصدره البحاثة المرحوم الدكتور السيد عبدالجواد الكليدار آل طعمة عام ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م مأخوذ من انفس المصادر واجمعها لخصائص البحث المنتظم في تاريخ هذه المدينة وآثارها الدينية وما انتابتها من محن وفتن ، وما قام به ملوك الاسلام واكابر رجاله من تعمير وقد حقق فيه جملة من حوادث هذه البلدة تحقيقا ضافيا ، مستندا الى اوثق المصادر ، وشرح الكثير من النقاط التاريخية الغامضة مبتدأ بالعصر الاموي ومنتهيا بعصرنا هذا . ومن يرجع اليه يجد فيه مرجعا خصبا لمجد كربلاء الثقافي والتاريخي المعروف في مختلف المجالات الفكرية والزمنية .

فالدكتور السيد عبدالجواد بن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار آل طعمة من سلالة آل فائز الموسوية ، احد اعلام القلم واقطاب العلم في العراق ومن الطلائع الفكرية التي وضعت حجر الاساس لبناء تاريخ كربلاء ، وقد بذل قصارى جهوده وشرح الغامض من الحوادث والتعليق عليها ، واجهد نفسه اعواما طويلة في البحث والتتبع ، وكلف نفسه عناء الدرس ، وجنب القاريء من عناء الرجوع الى المصادر والبحث عنها ، وقد سافر الى معظم الأقطار الاسلامية ونقب في مكتباتها ، فكان رائده التوفيق لاستيعاب ما ورد في اقوال الفقهاء والمتكلمين من عشرات المصادر التي راجعها في كتب التراث العربي عن هذه المدينة العريقة مراجعة مستمرة ، فأحيى لنا هذا التراث القيم .

اقول : لقد كان المرحوم الدكتور عبدالجواد حجة في البحث ، مجددا في التتبع والاستقصاء ، وتعتبر آثاره من كنوز الفكر وذخائر العلم .

لقد ذاع اسم كتابه هذا ، واشتهر صيته منذ صدوره حتى الآن ، واصبح يطالب به كل سائح أو مؤرخ أو باحث يزور مدينة كربلاء . ولما كانت حاجة الافراد لكتاب ثقافي يبحث في تاريخ الحائر المقدس يزودون منه بالمعرفة ولما كانت الطبعة الاولى قد نفدت ، وليس لها وجود في المكتبات ، فلا مناص من اعادة الطبع للمرة الثانية بطبعة جديدة منقحة لكي تكون أقرب للتناول والمطالعة .

ولا ريب ان احياء مثل هذا الاثر النفيس من كتب التراث العربي ، يستحق الخلود وينال الاهتمام والتقدير . ولنا أمل وطيد في اخراج كتبه المخطوطة الى حيز النور في المستقبل القريب باذن الله .

ولد المؤلف الدكتور السيد عبدالجواد في مدينة كربلاء عام ١٨٩٠ م وكان والده المغفور له السيد علي آل طعمة سادنا للروضة الحسينية ، دخل المدرسة الرشدية وكان عمره ثماني سنوات ، ثم أتم دراسته في بغداد وشد الرحال الى فرنسا عام ١٩٢٥ م حيث درس القانون في جامعة السوربون بباريس ومنها الى بلجيكا ودخل جامعة بروكسل ودرس العلوم السياسية . وبعد مضي اربع سنوات حاز على لقب « دكتور » في الحقوق وليسانس في العلوم السياسية ، ورجع الى بغداد عام ١٩٢٩ م وعين استاذا في كلية الحقوق وبعد مضي فترة قصيرة استقال من منصبه لاصطدامه مع توفيق السويدي .

اصدر جريدة « الاحرار » عام ١٩٣٣ م ولم يرق للحكومة آنذاك اصدارها ، فأمرت بغلقها ، واعاد اصدارها عام ١٩٣٧ م ، وعلى أثر نشر

مقال خطير فيها تحت عنوان «أمر دبر بليل» اغلقت الجريدة نهائيا وذلك في منتصف عام ١٩٣٩ م واجريت محاكمته وتوقيفه لبضعة اشهر ثم اطلق سراحه.

نشر بحوثا تاريخية وأدبية في أمهات الصحف والمجلات العربية كالعرفان والمرشد والاعتدال ورسالة الشرق وسواها . ذكرته كتب التراجم والسير ومنها « دراسات ادبية » في شعراء وادباء كربلا ج٢ للاستاذ غالب الناهي ، و «الادب المعاصر في كربلاء» للاستاذ خضر عباس الصالحي ..

لفظ انفاسه الاخيرة في الواحد والعشرين من شعبان عام ١٣٧٩ هـ الموافق ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٩ م وجرى له تشييع حافل يليق بمكانته الى مثواه الاخير في مقبرة والده في الروضة العباسية المقدسة .

وقع الفراغ من كتابة هذه المقدمة في اواخر شهر رمضان سنة ١٣٨٦هـ.

كربلاء **سلمان السيد هادي الطعمة**

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء الكتاب

الى الملايين من النفوس المهذبة من الامم الاسلامية فى مختلف أقطار الأرض ، الشاخصة أنظارها أبداً ودائماً الى كربلاء قبلة الاباء والتضحية والمثل العليا فى الاسلام ، التواقة نفوسهم الى الاطلاع على أحوالها ، ومعالمها ، وتاريخها القديم والحديث ، والمشتاقة أرواحهم الى رؤيتها وزيارتها يوما من أيام حياتها .

أهدي كتابي هذا بكل اعتذار ، اجابة لما فى ضمائرهم من الشوق والرغبة الى مثله .

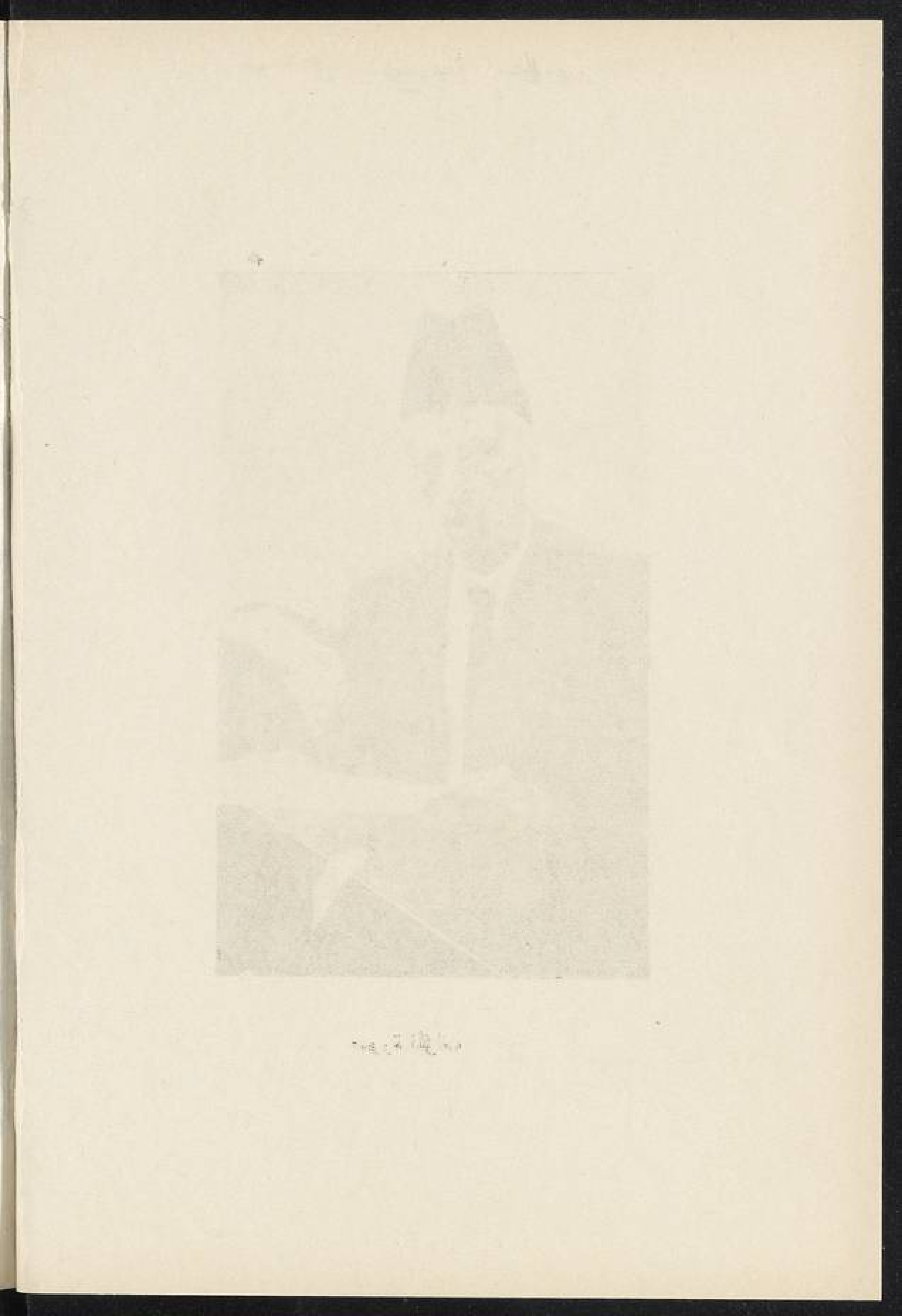
ومن الله التوفيق

رجب - ١٣٦٨ هـ

المؤلف



صورة المؤلف



كربلاء قبلة الإباء ومكة قبلة الصلاة

فى الاسـلام

ان ما جعل من كربلاء كعبة ثانية للمسلمين ، وجعل منها قبلة للاحرار والمفكرين في جميع أدوار التاريخ الاسلامي الى الآن والى الأبد هو وجود قبر الحسين عليه السلام فيها ، الذي ضحى بنفسه وأهله وذويه على ساحة هذه الأرض في سبيل المباديء الاسلامية العليا ، والمثل الانسانية الفضلى كما عبر عنها الاستاذ الجليل الشيخ عبدالله العلائلي في كتابه « سمو المعنى في سمو الذات ، أو اشعة من حياة الحسين عليه السلام » بهذه الابيات التاليـة :

فيا كربلا ، كهف الاباء مجسما ... ويا كربلا ، كهف البطولة والعلا
ويا كربلا ، قد حزت نفسا نبيلة ... وصيرت بعد اليوم رمزا الى السما
ويا كربلا ، قد صرت قبلة كل ذي ... نفس تصاغر دون مبدئها الدنا
ويا كربلا ، قد حزت مجدا مؤثلا ... وحزت فخارا ينقضى دونه المدى
فخارا لعمري سـطرته ضحيـة ... فكان لمعنى المجـد أعظم مجتلى
فللسلام الاسمى شـعار مقدس ... هما قبلتان للصـلاة وللابـا(١)

ولم تزل كربلاء تشع بأنوارها السماوية على العالمين العربي والاسلامي فيستوحي المسلم القرآني منها مباديء الدين القويم ، ويستلهم غير المسلم

(١) راجع كتاب «سمو المعنى فى سمو الذات ، أو اشعة من حياة الحسين عليه السلام» للاستاذ الجليل عبدالله العلائلي، ص١٢٦ و ١٢٧ طبع مصر ١٣٥٨هـ

منها منهج الصراط المستقيم في الحياة . فهي اليوم — على تعبير العقاد — حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة . ولكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزارا لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيبا من القداسة وحظا من الفضيلة . لاننا لانذكر بقعة من بقاع هذه الارض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الانسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها . فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الانسان انسان ، وبغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السائم ، فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين رضي الله عنه في تلك البقعة الجرداء[١] .

إذ كان لمأساة الطف أثرها البليغ في النفوس من مسلمين وغير المسلمين، وقد بلغ بها عظم المصاب حدا أنست هذه المأساة كل ما تقدم أو تأخر من المآسي البشرية في التاريخ ، إذ انها تعدت حدود المواطن والقوميات ، فتغلبت على اعتباريات الزمن وتطورات الايام . فغدت لا تنحصر اليوم كما انحصرت غيرها في حدود دائرة ضيقة لموطن واحد أو زمن معين ، بل انتشرت إنتشار النور في الآفاق ، فأصبحت موجة عالمية جارفة موطنها العالم في كل عصر وزمان تجرف في تيارها القوي الأمم الاسلامية وغير الاسلامية على حد سواء ، حتى وأصبحت قلوب أقل الناس احساسا ، وأقساهم قلبا موطنا لتلك الفاجعة التاريخية الأليمة كما وصفها المؤرخ الانكليزي الشهير جيبون بقوله :

« ان مأساة الحسين المروعة بالرغم من تقادم عهدها ، وتباين موطنها لا بد ان تثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساسا وأقساهم قلبا»[١] .

---

(١) العقاد ، كتاب « أبو الشهداء » ص ١٥٤ طبع مصر .

(٢) تاريخ العرب : للسيد أمير علي . ترجمة رياض رأفت ، ص ٧٤ طبع مصر سنة ١٩٣٨ .

فلا غرو إذن ان تكتسب كربلاء وحدها بين المدن الاسلامية المقدسة مثل هذه الشهرة العالمية وتكتسب عطف الملايين من النفوس البشرية الحساسة في كل عصر ، فتصبح حرما للمسلمين وغير المسلمين ، فيزورها المسلم للعبرة والذكرى وغير المسلم للنظر والمشاهدة . فهي اليوم مزار يزوره الخاص والعام من مختلف الشعوب والاقوام ، وستبقى كذلك ما دام الاسلام على وجه الارض ، وما دام في العالم عباد المبدأ وعشاق العدل والحرية .

لكربلاء منزلة دينية رفيعة في التاريخ الاسلامي تربو في نظر الكثير على منزلة غيرها ، لأنها مدينة إسلامية خالصة بقيت بعيدة عن أرجاس الجاهلية وضلالها ، ثم انها نشأت وتكونت على عهد الاسلام فامتزجت تربتها بأقدس ما يقدسه المسلمون في انحاء الارض وأقطارها ، امتزجت بدم الحسين عليه السلام ، ودم الحسين — كما في الحديث — هو من دم رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومع ان لكربلاء مثل هذه القدسية ، ومثل هذه المكانة السامية في التاريخ وهي مضافا الى ذلك من المراكز الدينية العظيمة في الاسلام يؤمها في السنة ما لا يقل عن المليون نسمة من الرواد والزائرين من مختلف الامم والشعوب للعبرة والذكرى ، مع ذلك كله فقد بقيت كربلاء هي ومعالمها الغابرة والحاضرة في التاريخ قيد الظروف ورهن الاوضاع الطارئة تتقاذفها الامواج فلم يسجل من تاريخها الا الشيء اليسير والنزر القليل في بعض الكتب وذلك على هامش الحوادث أو في ضمن قضايا اخرى بحيث كاد هذا التاريخ ان يصبح نسيا منسيا .

وعلاوة على ذلك كله ، فان شؤون كربلاء العامة لم تعالج معالجة وافية إذ لم يقدر لها الحظ طوال تلك القرون المنصرمة أن تدرس شتات اوضاعها

وأحوالها في سجل يعطي القاريء ولو بعض الفكرة عن ماضيها وحاضرها وهذا النقص البارز في تاريخ هذه المدينة الاسلامية المقدسة هو الذي دفعنا في السنين الأخيرة ان ننصرف الى سد هذا النقص بقدر الامكان فنجمع شتات تاريخها من مختلف الكتب الخطية النادرة والمطبوعة منها ونضع هذا الكتاب لافتقارها الى مثله على الأقل ، وكانت رغبة الجمهور الملحة من الطبقات المثقفة خير مشجع لنا في اخراجه الى عالم الوجود دون ان نشير في هذا المقام الى ما تعتري الباحث في هذا السبيل من صعوبات جمة في البحث والتنقيب والتحليل لأمور وقضايا كان التوصل اليها من جهة ، وثم التغلب عليها من جهة خرى من الصعوبة بمكان ، غير ان المثابرة على العمل والجهد المتواصل في البحث والتتبع كانا كفيلين لدرك الغاية الى حد ما . ومع ذلك كله لسنا نقول بأننا قد أوفينا الموضوع حقه لا لقصور وانما لعدم العثور الى الآن على أكثر مما تقدم . ولعل الزمن وحده يكون كفيلا لانجاز الموضوع وإيفاء حقه . فان ما نزفه اليوم في هذه العجالة الى العالمين العربي والاسلامي من تاريخ كربلاء ماضيها وحاضرها منذ العصور القديمة في التاريخ الى الوقت الحاضر لم نحصل عليه إلا بجهد جهيد وعناء شديد لا بد منهما لمن يحاول البحث في تاريخ قد تشتتت أجزاؤه وتفرقت أوصاله في مختلف الكتب القديمة والحديثة الموجودة وغير الموجودة منها .

فان من كتب قبل هذا في تاريخ كربلاء قد خلط فيه بين الحائر والحير فتناول البلدة والقبر المطهر معا كأنهما شيء واحد ، فساق الحديث تارة عن هذا وأخرى عن ذاك في سياق واحد . وإن لم يكن لهذه الطريقة من بأس لأن تاريخ البلدة في الواقع متمم لتاريخ الحائر نفسه وبالعكس ، غير اننا رجحنا ان نفرد لكل واحد منهما جزء خاصا نستعرض فيه نشأته وتكوينه

وتطوراته المختلفة الكثيرة بمرور الزمن قرنا بعــد قرن . فخصصنا المدينة نفسها بجزء مستقل عنوانه « تاريخ كربلاء العام » استعرضنا تاريخها من العصور القديمة الى الفتح الاسلامي الى وقعة الطف في عام ٦١ من الهجرة فالى القرن الحاضر ، كما وخصصنا الحائر المقدس وهو حــائر الحســين عليه السلام وضريحه الطاهر وما طرأ عليــه خلال القرون من التطــورات العظيمة والتبدلات الخطيرة من الهدم والخراب والتعمير والبنيــان بمرور الزمن على يد العباسيين وغيرهم من الملوك والامراء في مختلف الأدوار بجزء مستقل آخر ايضا تتميما للفائدة وهو هذا الجزء الذي تتقدم به الآن الى قراء الضاد وكلنا أمل على ان لاتؤاخــذ على ما يجدون فيه من نقص او قصور ، وان يمدونا بكل ما لديهم من معلومات تاريخيــة أخرى حــول الموضوع ليتسنى لنا اضافتها الى هذا الكتاب في الطبعات القادمة مع الاشارة فيه الى فضلهم علينا وعليه ومن الله المعونة والتوفيق .

حائر الحسين عليه السلام وكربلاء

١ ـ الحائر وما لهذا الاسم من الحرمة والتقديس فى الدين .

٢ ـ الحائر فى اللغة والتاريخ .

٣ ـ كربلاء والاماكن الاخرى التي سميت بالحائر .

٤ ـ الحائر والحير والحيرة .

٥ ـ الحائر فى الفقه والحديث (١) حدود الحائر ومساحته (٢) الحرم والحائر (٣) الحرم ، حدوده ومساحته (٤) الحائر واختلاف المتاخرين فى تحديده .

٦ ـ مناطق الحرم والحائر ، وترتب قاعدة الشرفية بينهما .

الحائر وما لهذا الاسم من الحرمة والتقديس في الدين

يدور البحث في هذا الموضوع عن أقدس بقعة في الاسلام ، تلك التي جارت أرض الكعبة في الشرف والمنزلة وفاضت بنور الهداية والحرية على الاقطار الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، وقد جارت أرض الكعبة وفاقتها لأنها أصبحت بقعة إسلامية محضة لم تشترك فيها الجاهلية ، ولا عرفت عبادة الأوثان والاصنام ، ولأن تربتها امتزجت بدم هو من دم رسول الله واختلطت ذراتها بلحم هو من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله كما نص عليه الحديث عن طرق الخاصة والعامة .

فان ما سينتهي اليه البحث في هذا الكتاب عن الحائر المقدس وكربلاء في التاريخ ليس هو في الاصل ونفس الأمر إلا نتيجة مباشرة لما حصل من انشقاق بين فئتين في الجاهلية امتدت شرارته الى الاسلام في مثال الفضيلة والرذيلة فكانت كربلاء وكان الحائر .

وقد نعتت كربلاء منذ الصدر الاول في كل من التاريخ والحديث بأسماء عديدة مختلفة ورد منها في الحديث باسم كربلاء ، والغاضرية ، ونينوى ، وعمورا ، وشاطيء الفرات ، وشط الفرات . وورد منها في الرواية والتاريخ أيضا بأسم مارية ، والنواويس ، والطف ، وطف الفرات ، ومشهد الحسين ، والحائر ، والحير ، الى غير ذلك من الاسماء المختلفة الكثيرة ، الا ان أهم هذه الاسماء في الدين هو اسم « الحائر » لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس ، أو انيط به من أعمال وأحكام في الرواية والفقه

الى يومنا هذا ، ومع ما لهذا الاسم من الأهمية والخطورة في نظر الدين مع ذلك لم تعالج ناحيته معالجة وافية من ناحية التاريخ واللغة ، ولا من ناحية الفقه والحديث ، وهذا ما سنحاول البحث فيه بصورة واسعة في هذا الباب بالجمع بين آراء المتقدمين والمتأخرين من رجال الدين والحديث، وآراء اللغويين والمؤرخين بهذا الصدد وما يمكن أن يستنبطه الباحث من بين تلك الآراء المتنوعة العديدة لنكون قد أدركنا الغاية على قدر المستطاع وأوفينا الموضوع بعض حقه •

ومما يمكن أن يُستدل من ظواهر الامور فان اسم «الحائر» بعد ان كان صريحا واضحا في بداية وضعه أصابه بعض الغموض بالتدريج من حيث مولده ومنشأه ، ثم امتد هذا الغموض مع الزمن الى مفهومه ومدلوله ، والى مداه ومؤداه ، وذلك ــ على ما يظهر ــ بفعل ما حصل لهذا الاسم في القرون المتأخرة من الخلط بينه وبين اسم « الحير » الذي هو في الاصل مخفف الحائر على قول أهل اللغة •

وهذا الغموض في اسم الحائر كما نلاحظه اليوم ، وهذا الخلط بينه وبين الحير الذي يأتي مرة مرادفا له ، واخرى مختلفا عنه في الرواية والتاريخ والحديث أدى الى كثير من الالتباس في أمره والارتباك في فهمه فأشكل الامر على الكثير من رجال الدين ومن أهل التاريخ واللغة بحيث أصبح تحليله وتفكيكه اليوم من أصعب الامور ، لأن أصبح هذا الاسم ويحيط به الشيء الكثير من التردد والترديد لا سيما في القرون الاخيرة التي لابتعادها عن القرون الاولى زادته ترديدا وتشكيكا ، بدل ان تزيده تحليلا وتفكيكا كما كان يجب • وفي الفصول القادمة من هذا البحث سنحاول التوفيق بين الآراء المختلفة والانتهاء الى نتيجة وضعية ومن الله التوفيق •

الفصل الثاني

الحائر فى اللغة والتاريخ

ولهذه البقعة التي جرت عليها أعظم مأساة تاريخية أسماء مختلفة كما يحدثنا التاريخ ، كانت تطلق عليها هذه الاسماء دون أي فرق او تمييز ، فكان يطلق عليها ـ كما سبق ـ اسم الغاضرية ، ونينوى ، ومارية ، وعمورا والنواويس ، وشط الفرات ، وشاطيء الفرات ، والطف ، وطف الفرات ، والحائر ، والحَيْر ، ومشهد الحسين ، وكربلاء • ولم يكن الاسم الاخير غير أحد تلك الاسماء المختلفة الكثيرة التي في عدادها كان يطلق منذ القديم على هذه البقعة ، فتغلب بمرور الزمن على غيره من الاسماء شيوعاً وانتشارا في العرف والتاريخ حتى اصبح الآن هو الوريث الوحيد لها ، فصارت لا تعرف اليوم هذه البقعة الا بهذا الاسم ، وقد عم استعماله حتى شمل اللواء الذي تعتبر مدينة كربلاء قصبة له •

ولم توجد ـ حسب الظاهر ـ بقعة في بقاع العالم تتمتع مثل كربلاء بأسماء عديدة وذلك بهذه الكثرة في التسمية • وتعدد الاسماء لبقعة واحدة وإن كان جائزا بالفعل في العرف والعادة لعدم وجود مانع من ذلك ، غير ان إطلاق اسماء عديدة بهذه الكيفية ، ولا سيما بهذه الكثرة على بقعة واحدة ليس في الظاهر الا نظرية بعيدة الاحتمال تحتاج بعض الشيء من التريث والتأمل في التعليل والتأويل • فلابد من وجوه واحتمالات في ذلك ، منها ان بعض هذه الأسماء تكون عامة فتشمل منطقة أوسع من تلك البقعة نفسها

فتكون بعضها خاصة لأجزاء صغيرة من تلك المنطقة كما هي الحال في كل مكان ، وإما ان تكون الحدود فيما بين هذه الأجزاء نفسها غير ثابتة معينة فكانت بعضها متداخلة في حدود البعض الآخر مما كان يسوغ إطلاق اسم الواحد منها على الآخر بدون فرق أو تمييز دون ان يكون ذلك مغايرا للحقيقة أو مخالفا للواقع .

وقد يتراءى للباحث بنتيجة البحث والتحقيق في التاريخ ان بعض تلك الالفاظ هي أسماء ، وان البعض الآخر منها اوصاف ، فاجتمع الاسم والوصف معا لتعيين المحل الواحد نفسه .

* * *

أما الحائر والحير فهما في عداد تلك الاسماء الكثيرة التي كانت تطلق في العصر الأول على هذا الموضع . وقد يرد إسم الحائر على الأكثر في النسبة اليه بدلا عن كربلاء فيقال «الحائري» لمن هو منسوب اليها .

والحائر ، لغة اسم فاعل من حار ، يحير ، حيرا ، من تحير الماء اذا اجتمع ودار ، ومن تحيرت الارض بالماء اذا امتلأت ، جمعه حوران وحيران على الأشهر ، وهو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف كما وصفه اللغويون ، او بعبارة اخرى هو محل منخفض مستور تعلو جوانبه واطرافه على شكل حوض ذي حور [1] يجتمع اليه المياه كلما نزلت الامطار من السماء أو فاضت عن الزروع .

وسمي الموضع حائرا لأنه كلما هبّ النسيم على سطحه تموجت المياه المحصورة فيه على شكل حلقات تتوسع الواحدة تلو الاخرى حتى تنتهي

---

(١) الحور ، هو العمق والقعر ، يقال : فلان بعيد الحور ، اي عميق الغور بمعنى انه عاقل ، وما اصبت حورا ، اي ما اصبت شيئا .

الى أطراف الغدير فيتردد الماء ويتحير كأنه لا يدري كيف يجري أو أين يسير وحيرة الماء بين الجوانب والاطراف ورجوعه بهذا النحو من أقصاه الى ادناه في مجتمعه هي التي منحته اسم الحائر .

ولعل كربلاء أو بعض اجزائها سميت بهذا الاسم منذ القديم لما كان في ارضها من المنخفضات التي يسيب اليها مسيل ماء الامطار .

وان لم يكذب التاريخ نفسه فلا زال يوجد فيها لحد اليوم بالوراثة الجغرافية للارض مثل هذه المنخفضات في اطراف البلد حيث تتشكل المستنقعات الواسعة لا سيما في الاقسام الجنوبية منها والتي لم تستطع البلدية من التغلب عليها لحد الآن بتجفيفها اوردمها ردما صحيحا نهائيا لانقاذ حياة عشرات الالوف من البشر الذين يذهبون في كل سنة ضحايا بخسة للاوبئة المختلفة والامراض الفاتكة التي مصدرها الوحيد هو تلك المستنقعات الضارة المتكونة في اطراف البلد المقدس[٢] .

وقد اتفق الرواة والمحدثون ، والمؤرخون والجغرافيون ، وأهل اللغة على تسمية كربلاء بالحائر بصورة مطلقة . وعلى ما يظهر من الاخبار والروايات فان كربلاء منذ الصدر الاول كانت تعرف بهذا الاسم . فقد ورد ذكرها في تاريخ «الامم والملوك» للطبري[٣] باسم الحير ، والحير عند أهل اللغة هو مخفف لفظ الحائر بلغة العامة لاستحسانها التخفيف عادة في الاسماء[٤] .

---

٢) وقد سعت البلدية فى هذا السبيل ، ثم خصصت وزارة الشؤون الاجتماعية خمسة عشر الف دينار فى عام ١٩٤٦ لهذا المشروع الحيوي ولكن بقي الوضع على ما كان فى السابق تقريبا .

٣) راجع الطبري ج١٠ ص ١١٨ .

(٤) وفى تخفيفه بالحير راجع «معجم البلدان » ٣/ ٢٠٣ و«مجمع البحرين» للطريحي فى مادة الحائر . و «لسان العرب» ٥/ ٣٠٣ .

وعلى قول «معجم البلدان» لياقوت الحموي ، فان «الحائر قبر الحسين ابن علي رضي الله عنه» ، ثم يضيف صاحب المعجم على ذلك بقوله : «وانهم يقولون الحير بلا اضافة إذا عنوا كربلاء» .

فصار ياقوت يميز بذلك بين الحائر والحير بأن الاول أخص وهو اسم للقبر وما حوله ، بينما الثاني — في نظره — اسم لمدينة كربلاء وهو الصحيح . غير ان رواية الطبري التي سبقت اليها الاشارة ليس فيها ما يدل على هذا الفرق بين الاسمين ، ولم يتجاوز صاحب «المصباح» فيه حد العرف في قوله : «والحائر معروف . قيل سمي بذلك لأن الماء يحار فيه أي يتردد(٥) » .

ونجد ان معجم «لسان العرب» بعد تعليله لكلمة الحائر وبيان ما ورد فيها من الوجوه المختلفة يذهب ايضا الى قول المؤرخين والجغرافيين في هذه التسمية فيقول : « والحائر كربلاء وسميت بأحد هذه الاشياء » أي بأحد الوجوه التي ذكرها في معنى الحائر مثل بقية أهل اللغة من مجتمع الماء أو حوض يُسيَّب اليه مسيل الماء من الامطار وغير ذلك ، فيقف عند هذا الحد دون ان يتقدم بخطوة اخرى ليبت في وجه تسمية كربلاء بهذا الاسم فترك الامر على غموضه وابهامه .

ونحو ذلك ما ورد عنه في «الصحاح» بقوله : « والحير بالفتح شبه الحضيرة ، والحِمى ، ومنه الحير بكربلاء » ، وفي مادة حير من « تاج العروس » تصريح بأكثر من ذلك في قوله : «الحائر اسم موضع فيه مشهد الامام المظلوم الشهيد أبي عبدالله الحسين » مما يشير الى ان المشهد يقع في وسط الحائر ، وان الحائر محيط به ، ومثله قول الفيروز آبادي في القاموس

---

(٥) المصباح المنير ، للفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ في مادة «حير وحار» .

«والحائر فيه مشهد الحسين» ، ومثل ذلك ما ورد في « مراصد الاطلاع » بأن « الحائر موضع فيه قبر الحسين عليه السلام ، لانه في موضع مطمئن الوسط مرتفع الحروف »[٦] .

وما أقرب قول الطريحي في «مجمع البحرين» من هذا المعنى بقوله «وفي الحديث ذكر الحائر ، وهو في الاصل مجمع الماء ، ويراد به حائر الحسين عليه السلام ، وهو ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام » .

ثم وقد ذكرت « دائرة المعارف الاسلامية » في مادة «حائر hair " » كلا من الحائر والحير إسما لكربلاء على نحو ما ذهب اليه صاحب « معجم البلدان » كما تقدم .

أما الاخبار والروايات الواردة عن طريق الدين فقد ورد فيها ذكر الحائر حينا بمعنى كربلاء ، وحينا للدلالة على القبر المطهر نفسه ، فلا اختلاف من هذه الناحية بين الاقوال بصورة مطلقة في تسمية كربلاء بالحائر تارة وبالحير أخرى كما تقدم . غير ان المصادر كافة تشير الى أمرين :

اولا : وجه تسمية كربلاء بالحائر او الحير .

ثانيا — مبدأ تسميتها بهذا الاسم ، أكانت هذه التسمية لكربلاء من قبل الفتح الاسلامي على عهد الحيرة أم بعد الفتح ؟ ، أكانت من قبل وقعة الطف ام بعدها ؟ مع انها لأمور لها اهميتها التاريخية سكتت عنها المصادر كافة، فأصبحنا اليوم لا نعرف بالضبط هل الحائر في هذا المورد هو وصف للارض وحالته الطبيعية كما يذهب اليه أهل اللغة ، ام هو في الحقيقة اسم للبناء الذي شيد حول الضريح المقدس في اول عهده فسمي بالحائر ؟

(٦) مراصد الاطلاع ص ١٢٦ طبع ايران ١٣١٥ هـ .

اذ ان في الحالة الاولى لابد وان يرجع تاريخ التسمية الى قبل وقعة الطف ولعل الى قبل الفتح ايضا بالنظر الى حالة الارض الطبيعية في هـذه البقعة ، وهذا أمر لم تتثبت منه الى الآن لعدم وجود دليل على ذلك • وفي الحالة الثانية لا بد وان يرجع تاريخها الى بعد الوقعة ، أي الى يوم شـيد فيه اول بناء على القبر المطهر وهذا ما سنبحث عنه فيما بعد في الفصـول القادمـة •

الفصل الثالث

كربلاء والاماكن الاخرى التي سميت بالحائر

ولم يختص قبر الحسين عليه‌السلام وحده باسم الحائر على ما يظهر، فقد ورد أسم الحائر لأماكن عديدة كانت تسمى بهذا الاسم، منها « حائر مَلهم» باليمامة كما ذكره صاحب « معجم البلدان »[٧] . ومنها « حائر الحجاج»[٨] بالبصرة وقد وصفه صاحب «لسان العرب» بانه : « معروف يابس لا ماء فيه وأكثر الناس يسميه الحَيَر كما يقولون لعائشة عيشة ، يستحسنون التخفيف»[٩] .

ومنها حيٌ كبير بظهر سامراء كما يسمى حائرا على ما جاء في «دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية»[١٠] وهو الحائر الذي ذكره البلاذري في تاريخه «فتوح البلدان» بقوله : «ثم استخلف المتوكل في ذي الحجة سنة ٢٣٢ فأقام بالهاروني وبنا بناء كبيرا ، وأقطع الناس في ظهر سر من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها وبنى مسجدا جامعا كبيرا وأعظم النفقة عليه ، وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر

---

(٧) «معجم البلدان» ج ٣ ص ٢٠٣ — ومراصد الاطلاع ص١٢٦ طبع ايران ١٣١٥ هـ .

(٨) مراصد الاطلاع ص ١٢٦ .

(٩) راجع «لسان العرب» ج٥ ص٢٠٣ و ٢٠٤ .

(١٠) راجع دائرة المعارف المذكورة فى مادة « حائر hair "

اليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الاول»[١١] .

فقد ظهر مما تقدم ان كربلاء لم تكن وحدها تسمى بهذا الاسم كما أوضحته «دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية» في لفظة «حائر» بقولها :

« ان هذا الاسم كان قد خصص في الأصل لتعيين مواقع عدة ، ومنها الحائر الحسيني وهو المحوّطة المقدسة لقبر الحسين بكربلاء « مراصد الاطلاع ٢٨٢ وياقوت ١٨٨/٢ والطبري ٧٥٢/٣»[١٢] .

ولرواية الطبري هذه أهمية عظيمة من الناحية التاريخية ، إذ انه يأتي لنا في هذه الرواية بشهادة قيمة بأن كربلاء منذ الصدر الاول من تلك العصور الغابرة كانت محل تعبد من المعابد الدينية ، لها سدنة ورجال دين معينون بوظائف مختلفة كانوا يتقاضون مرتباتهم من الاوقاف التي كانت قد استها أم موسى أم الخليفة المهدي لهذا الغرض » .

وهذه الرواية التي تشير اليها دائرة المعارف المذكورة هي ما أوردها الطبري في الجزء العاشر (ص ١١٨) أثناء عرضه لحوادث عام ١٩٣ من الهجرة على عهد الرشيد بقوله :

« ذكر علي بن محمد عن عبدالله قال أخبرني القاسم بن يحيى قال : بعث الرشيد الى ابن داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحير، قال : فأتى بهم فنظر اليه الحسن بن راشد وقال ما لك ؟ — قال بعث الي هذا الرجل ، يعني الرشيد ، فأحضرني ولست آمنه على نفسي . قال له :

---

(١١) فتوح البلدان : للبلاذري . طبعة اوروبا ١٨٦٦م ص ٢٩٨ ويعني بالمنارة والجامع ملوية سامراء والمسجد الذي بجانبها .

(١٢) يقابل ذلك فى الطبعات المصرية : ياقوت ج٣ ص٢٠٣ والطبري ج١٠ ص١١٨ ومراصد الاطلاع ص١٢٦ طبع ايران ١٣١٥ هـ .

إذا دخلت عليه فسألك فقل له الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع . فلما دخل عليه قال هذا القول . قال ما أخلق ان يكون هذا من تخليط الحسن أحضروه . قال : فلما حضر قال :

ما حملك على أن صيرت هذا الرجل في الحير ؟

قال رحم الله من صيره في الحير . أمرتني أم موسى ان اصيره فيه وان أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً .

فقال : ردوه الى الحير . وأجروا عليه ما اجرته ام موسى .

وأم موسى هي ام المهدي ابنة يزيد بن منصور »(١٣) .

وقد استعرضنا رواية الطبري هذه حرفيا ، وتبين منها بموجب هذا السند التاريخي ان اسم «الحَيْر» يطلق على مدينة كربلاء نفسها كما ذهب اليه صاحب معجم البلدان والصحاح وغيرهما . وأما المشهد الشريف فقد ورد ذكره في هذه الرواية باسم «قبر الحسين بن علي» . وعلى ما يظهر من ذلك ان اسم الحير كان علما لكربلاء في القرن الثاني من الهجرة ، وبقي استعماله شائعا بين الناس بزمن بعيد من بعد هذا القرن الى القرن السابع والثامن ولعل الى ما بعدهما ايضا ، لأن ياقوت المتوفى في عام ٦٢٦ هـ هو في القرن السابع وقد تعرض في «معجم البلدان» الى ذكر الحير اسما لكربلاء كما مر معنا ، وكذلك ذكره صاحب الصحاح من قبله في القرن الرابع الهجري(١٤) .

والظاهر من هذه الرواية ان الحائر في القرن الثاني من الهجرة كان له نظام معين ، وله خدم وسدنة موظفون للقيام بواجب لخدمة ، ومن السدنة

---

(١٣) وهو يزيد بن منصور الحميري من ملوك اليمن .

(١٤) توفى الجوهري صاحب «الصحاح» فى سنة ٣٩٣ هـ .

القائمين بخدمة الحائر في هذا العصر هو ابن ابي داود المتقدم الذكر . واصبح لهذه العتبة المقدسة لاول مرة في تاريخها إذ ذاك أوقاف يصرف منها على رواتب الموظفين وتنظيم شؤونها ، ومن تلك الأوقاف الاموال التي خصصتها أم موسى أم الخليفة المهدي لهذا الغرض .

واذا قارنا ماتضمنته هذه الرواية من غضب الرشيد علي ابن أبي داود والذين كانوا يخدمون معه قبر الحسين في الحير مع الحوادث التي تلت هذا الامر نجد ان الرشيد وإن كان قد تغاضى عنهم وأقر بالظاهر ما كانت قد اقرته أم المهدي من قبل ، ولكنه كان قد عزم في تلك اللحظة على أمر أهول واخطر من ذلك كما أثبتته الحوادث فيما بعد . فدعاه فرط بغضه لآل الرسول الى هدم كربلاء من الاساس ، فأمر توا في نفس السنة ١٩٣ وهي السنة الاخيرة من حياته بهدم الحائر والقبة المطهرة ، والدور المجاورة ، واقتلاع السدرة ، وحرث الارض ليمحي بذلك كل أثر للقبر الشريف كما روى ذلك غير واحد من الرواة والمؤرخين ورواه الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في « أماليه » بسنده عن يحيى بن المغيرة الرازي قال :

« كنت عند جرير بن عبدالحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق فسأله جرير عن خبر الناس ،فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام ، وأمر أن تقطع السدرةفقطعت . فرفع جرير يديه وقال: الله اكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « لعن الله قاطع السدرة ثلاثا » فلم نقف على معناه حتى الآن ، لأن القصد بقطعها تغيير مصرع الحسين حتى لا يقف الناس على قبره »(١٥) .

---

(١٥) راجع «أمالي» الطوسي ص٢٠٦ طبع ايران ١٣١٢ — وأعيان الشيعة ج٤ ص ٣٠٤ و «مجالي اللطف » ص ٣٩ طبع النجف ١٣٦٠ — « والمناقب»لا ن

وأيده السيد محمد بن أبي طالب في «تسلية المجالس» بما نصه :

« وكان قد بني على قبر الحسين عليه‌السلام مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس إلا على زمن هرون الرشيد فانه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده ، وكرب موضع القبر »[١٦] . وقد اقتفى اثره حفيده المتوكل نيرون العرب[١٧] فهدم قبر الحسين عليه السلام وكربلاء اربع مرات في خلال خمس عشرة سنة من حكمه كما سيأتي بيانه .

شهاشوب ج٢ ص ١٨٩ طبع ايران ١٣١٦ هـ ـ و « نزهة اهل الحرمين فى عمارة المشهدين» للسيد حسن الصدر ص١٦ طبع الهند ١٣٥٤ .

(١٦) راجع ١ ـ «تسلية المجالس» لسيد محمد بن ابي طالب ٢ ـ «نزهة اهل الحرمين فى عمارة المشهدين» للسيد حسن الصدر ص١٦ ـ ٣ ـ « اعيان الشيعة» ج٤ ص٣٠٤ .

(١٧) راجع « تاريخ العرب» للسيد امير علي ص ٢٤٧ طبع مصر ١٩٢٨ .

الفصل الرابع

الحائر والحير ـ والحيرة

ومع ان اسم «الحير» بقي يطلق على كربلاء الى عصر متأخر كما مر بيانه ، فلا يعلم اليوم بالضبط متى اندرس استعماله ، أو في أي قرن من القرون الاخيرة غاب هذا الاسم عن الانظار نهائياً ليحل محله اسم «الحائر» وحده في العرف والتاريخ علما لكربلاء ولقبر الحسين عليه السلام معا .

على ان هناك بمسافة غير بعيدة في جنوبي كربلاء موضعا آخر يشتق اسمه هو والحائر من مادة واحدة في اللغة وهو «الحيرة» . وهذان الاسمان كما يلاحظ مشتقان كلاهما من مصدر «الحَيْر» أو الحيرة ، فكأنهما يرجعان حتى في وجه التسمية الى اصل واحد ، خصوصا اذا ما لاحظنا ان كل واحد من هذين الموضعين يقع بجانب الاخر تقريبا .

فهل هناك إذن ، من صلة تاريخية او جغرافية ، او من أي نوع آخر كانت تجمع بين اسم الحائر والحير بكربلاء ، وبين اسم الحيرة بالنجف ؟

فان هذا الامر لمن الأمور التي لا يمكن البت فيها بصورة قاطعة ، وذلك لعدم وجود مستندات تاريخية يمكن استنباط شيء منها . غير ان اقتراب الموضعين ، وتقارب الاسمين ، ورجوعهما الى اصل واحد في اللغة يجعل الباحث يتساءل عن علة هذا الامر ، أو على الاقل ، عن هذه الصدفة في وجه التسمية بينهما ، أكانت ذلك لأمر واقعي ، او على سبيل الاتفاق فقط ؟

والحق يقال ، ان الحيرة تحوم حول تسمية الحائر والحيرة ، لا سيما الحير والحيرة وكل زعم قد لا يجد فيه من سبيل . ومع ذلك كله لا يسع الباحث في التاريخ ان يغض النظر عما بين الاسمين من صلة وإن كانت مجهولة . وقدالقت « دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية » بعض الضوء على هذا الموضوع في مقارنتها بين الاسمين من الناحية التاريخية بقولها :

« وعلى حد قول الطبري (٧٤٥/١)[18] فان بخت نصر كان قد بنى على النجف «حَيرا» على نحو سوق محلي لتجار العرب الموجودين فيبلاده فحصنه ثم ضمهم فيه . ويظهر من ذلك ان الحائر هو بمعنى مكان محوط او محل تعلو جوانبه واطرافه . وبهذا المدلول لشبه تام بين معنى الحائر وبين الاسم الذي سميت به الحيرة في أول عهدها » .

ثم تذهب دائرة المعارف المذكورة في أصل كلمة الحائر الى رأيآخر ، فقد ترتأي بأنه : « من المحتمل ن تكون كلمة (الحائر) من الالفاظ الدخيلة فياللغةالعربية » . غير ان رأيها هذا لا تدعمه بدليل او برهان ، وهو في الحقيقة رأي لا تؤيده القرائن والادلة الى الآن .

وتفصيل ما قام به بخت نصر تجاه العرب وبنائه الحير لهم جاء في كل من الطبري ومعجم البلدان . ومما قال صاحب المعجم :

« ان بدء نزول العرب ارض العراق وثبوتهم بها واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلا اوحى الله الى يوحنا بن اختيار بن زر بابل بن شائيلمن ولد يهوذا بن يعقوب ان إئت بختنصر فمره ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا ابواب ، وان يطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتليهم ، ويستبيح

---

(١٨) يقابلها في الطبعة المصرية ج١ ص٢٩١ . وبختنصر هو ملك الكلدانيين الذي حكم دولة بابل الجديدة من العام ٦٠٤ الى عام ٥٦١ قبل المسيح .

اموالهم ، واعلمه كفرهم بي ، واتخاذهم آلهة دوني ، وتكذيبهم انبيـائي ورسلي ... فأقبل يوحنا من نجران حتى قدم على بختنصر وهو ببابل ، فأخبره بما أوحى اليه وذلك في زمن معد بن عدنان . قال : فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب ، فجمع من ظفر به منهم وبنى لهم حيرا على النجف وحصنه ثم جعلهم فيه ، ووكل بهم حرسا وحفظة »[١٩] .

ويظهر من هذه الرواية ان عداء اليهود للعرب قديم يرجع الى تلك العصور الغابرة فكانوا يكيدون للعرب ما استطاعوا . وعدا هذا الوجه في تسمية الحيرة المنحوتة عن الحير في الاستعمال ذهب صاحب «معجم البلدان» الى وجوه أخرى أيضا .

وبناء على ما تقدم من قول «معجم البلدان» في الحير وتعليله لاسم الحيرة بالوجوه المذكورة ، ثم تعليل «دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية» لهذا الاسم كما تقدم فان الحير وهو مخفف الحـائر بالاصل اسم لنـوع خاص من البناء على نحو حصن او قلعة يحيط بها السور من كل جانب كما تبين مما قام به بختنصر من بناء حير محصن لتجار العرب وجعلهم فيه .

ومن هنا نستطيع ان نستنبط بعض الشيء عن الصلة بين اسم الحائر والحيرة من صلات القومية التاريخية والجغرافية بأن هذا النوع من الابنيـة في هذا القسم الجنوبي من العراق على حافة البادية كانت تسمى عادة بهذا النوع من الاسماء قديما . فسميت الحيرة حيرة لوجود الحير فيها ، وسمي قبر الحسين عليه السلام وما يحيط به بـ «الحائر» لا لصفة طبيعية للارض ، ولا لأن الماء كان يتحير أو يتردد فيه ، وانما لما اشتمل حول القبر من بناء وسور كالحائر .

---

(١٩) الطبري ج١ ص ٢٩١ ومعجم البلدان ص ٣٧٦ و ٣٧٧ .

الفصل الخامس

الحائر فى الفقه والحديث

اولا — حدود الحائر ومساحته :

ويدور البحث كثيرا حول الحائر عن حدوده ومساحته . أما الحائر من حيث مدلوله اللغوي والا صطلاحي كما سبق ، فان مساحته من هذه الوجهة بالطبع يجب ان تكون محدودة بطبيعة الارض الجغرافية يوم حدوث الوقعة أو قبل ذلك حين استلزمت تسمية هذه البقعة بهذا الاسم نظرا لانخفاض بعض اجزاءها بين مرتفعات على شكل حوض ذي حور يسيب اليه مسيل ماء الامطار . وهذا أمر — على فرض صحة التسمية بهذا النحو — قد لايمكن البت فيه اليوم بصورة قطعية في أرض توالي عليها العمران والخراب، والهدم و البنيان مرارا عديدة وبصورة متوالية على مر العصور والاعوام فتساوت اجزاؤها المختلفة تقريبا بان علت بعض منخفضاتها، وتواطئت بعض المرتفعات فيها تدريجيا بحكم الضرورة الهندسية للوقت ، فزال بذلك مع الزمن الأثر الباقي لمعالم التضاريس الارضية التي كان يمكن بها تحديد الحائر جغرافيا بالضبط او ببعض التقريب . اذ لم يبق اليوم في كربلاء غير أثر ضئيل للتموجات الارضية وهي على وشك الزوال نهائيا مع الزمن بصورة تدريجية .

أما الحائر من حيث مدلوله العرفي في التاريخ القديم كما اوضحناه فيما سبق فان في قضية تحديده ومساحته لا بد من الرجوع الى الاخبار

والروايات التي نقلها الرواة والمحدثون عن العصر الاول • وهذه الاخبار مع ما تسوج بها من الاختلافات الكثيرة فانها — في نظرنا — هي الوثـائق والمستندات التاريخية الوحيدة التي لا بد للباحث من الرجوع اليها عنـد الضرورة في مثل هذا الامر ، لانها هي التي تستطيع ان ترسم لنا حدود الحائر وتوضح مفهومـه ومدلوله التاريخي الى درجـة ما حسب العرف والعادة الجارية في تلك العصور السالفة •

وتتلخص هذه الاخبار كما يلي :

ان الرواة في تعريفهم للحائر ميزوا بين الحرم والحائر • وحدود الحائر عندهم ، حسب ما ورد عن الصادق عليه السلام في روايتين ، هي عشرون ذراعا في مثلها • كما جاء في رواية عبدالله بن سنان عنه ان : «قبر الحسين عليه السلام عشـرون ذراعا في عشرين ذراعا مكسـرا روضـة من رياض الجنة »[٢٠] • أو خمسة وعشرون ذراعا في مثلهـا من كل جانب من القبر المطهر كما جاء في رواية أخرى رواها اسحاق بن عمار عن الصادق عليـه السلام ان : « لموضع قبر الحسين بن علي عليهما السلام حرمة معلومة ، من عرفها واستجار بها أجير • قلت : فصف لي موضعها جعلت فداك • قال : إمسح من موضع قبره اليوم ، فامسح خمسة وعشرين ذراعا من ناحية رجليه ، وخمسة وعشرين ذراعا مما يلي وجهه ، وخمسة وعشرين ذراعا من خلفه ، وخمسة وعشرين ذراعا من ناحية رأسه • موضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زواره الى السماء ...»[٢١] •

---

(٢٠) مزار البحار ص ١٤١ — وكامل الزيارة : لابن قولويـه ص ٢٧٢ — و «الحدائق الناضرة» للشيخ يوسف البحراني ج٢ ص٣٤٥ طبع ايران ١٣١٦.

(٢١) كامل الزيـارة ، لابن قولويـه ص ٢٧٢ ومزار البحار ص ١٤٠

وحسب الروايتين المتقدمتين ، فلو اعتبرنا الذراع الواحد كما يقدّر هو بنصف متر أو ما يقرب من ذلك تكون مساحة الحائر بأعلى التقديرين المذكورين عبارة عما يقارب الستمائة وخمسة وعشرين مترا مربعا . وهذه المساحة هي ما يطابق تقريبا تحديد محمد بن احمد بن ادريس الحلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ للحائر في كتابه « السرائر » بأن : « المراد من الحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه ، لأن ذلك هو الحائر حقيقة ، لأن الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء[٣٢] .

ثانيا ـ الحرم والحائر :

أما الحرم ، فهو حسب ما ورد فيه من الاخبار أوسع من الحائر بكثير لشموله على منطقة واسعة مركزها الحائر من فرسخ واحد من كل جانب ، أي مجموع أربعة فراسخ يقع القبر المطهر في نقطتها المركزية ، كما جاء في رواية محمد بن اسماعيل عمّن رواه عن الصادق عليه السلام ان : « حرمة قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من اربعة جوانبه »[٣٣] . او من اربعة فراسخ في اربعة فراسخ على قول . وعلى قول آخر من خمسة فراسخ من اربعة جوانب القبر الشريف كما جاء في رواية منصور بن العباس

و «نزهة أهل الحرمين» ص٢٤ .

(٣٢) راجع مزار البحار ص١٤٢ و «الحدائق الناضرة» للشيخ يوسف البحراني ج٧ ص٢٤٥ طبع ايران ١٣١٦ وكتاب الصلاة من « السرائر » لابن ادريس طبع ايران سنة ١٣٧٠ هـ .

(٣٣) راجع : ١ ـ كامل الزيارة ص ٢٧٢ و ٢ ـ مزار البحار ص ١٤٠ و ٣ ـ الحدائق الناضرة للبحراني ج٢ ص٢٤٥ .

عن الصادق عليه السلام انه قال : « حرم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من اربعة جوانب القبر »[٢٤] . غير ان البعض يستضعفونها ولا يقولون إلا بوجوب القصر للمصلي في غير منطقة الحائر نفسه . ولتحديد الحائر لهذا الغرض لا بد من اعتبار خمسة وعشرين ذراعا من كل جانب من القبر المطهر بأعلى التقديرين فيقع ذلك على حدود البناء الاصلى للحائر وهو — بهذا الاعتبار — عين ما ذهب اليه ابن ادريس المذكور في القرن السادس من الهجرة بأن « المراد من الحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه » كما تقدم . وهذا السور القائم حول الحائر في زمن ابن ادريس المتوفى عام ٥٩٨ هـ هو السور الذي بناه ابو محمد الحسن بن مفضل بن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة بن بويه الديلمي بعد الحريق الذي نشب على أثر سقوط شمعتين كبيرتين في حرم الحسين عليه السلام في سنة ٤٠٧ هـ[٢٥] والذي اقيم حسب القرائن على أساس العمارة التي اقامها عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي في سنة ٣٧٢ هـ ، والتي يرجع بناؤها الى الأسس التي وضعت للحائر في العمارات السابقة من عمارة الداعي الصغير الذي ملك طبرستان بعد أخيه الداعي الكبير في عام ٢٨٣ هـ والى عمارة المنتصر في عام ٢٤٧ هـ والى العمارة التي اقيمت في عهد الامين والمأمون من بعد الرشيد ، فالى العمارة الأصلية للحائر المقدس في أواخر القرن الاول

---

(٢٤) راجع : ١ـ كامل الزيارة ص ٢٧٢ و ٢ ـ مزار البحار ص ١٤١ و ٣ـ الحدائق الناضرة ٣٤٥/٢ .

(٢٥) راجع : ١ـ « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » لأبي الفرج بن الجوزي ج٧ ص٢٨٢ طبع حيدر اباد ١٣٥٨ هـ و ٢ ـ تاريخ ابن الأثير ج٩ ص ١٠٢ و ٣ـ «نزهة اهل الحرمين» ص٢١ و ٤ـ اعيان الشيعة ج٤ ص٣٠٦ و ٣٠٧

وأوائل القرن الثاني من الهجرة • وبناء على ما تقدم ، فان تحديد الحائر يرجع على كل حال الى عهد اول بناء وضع من حول المشهد الشريف في اول عهده والذي جاءت الروايات بتحديده عن الصادق عليه السلام على النحو المتقدم •

أضف الى ذلك كله ، فان الحائر كما وصفه أهل اللغة وابن ادريس في آخر كلامه من انه « الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء » فهو بهذا الاعتبار مصطلح فني معماري لذلك الوقت لا اكثر ولا أقل ، وتلك صفة كل بناء يحيط بموضع ما فلا يجد فيه الماء مخرجاً فيحير فيه بالطبع •

ثالثا ـ الحرم حدوده ومساحته :

وهذا التمييز عند الرواة بين الحرم والحائر متأت ـ حسب الظاهر ـ من أن الاول كما يدل عليه اسمه منطقة آمنة لقدسيّتها كما وردت عن الصادق عليه السلام من ان « حرمة قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من اربعة جوانب القبر » أو « ان حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من اربعة جوانب القبر » •

ولكن هذه المنطقة الواسعة خارجة في كل حال عن حدود الدائرة المشمولة بأحكام الحائر • او ان الحرم بالأصل عبارة عن اراض كانت تبلغ مساحتها اربعة اميال في اربعة اميال كان قد ابتاعها الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء بستين الف درهم من أصحابها سكان الغاضرية ونينوى وتصدق بها عليهم على ان يضيفوا زوّاره ثلاثة ايام ويرشدوهم الى قبره كما رواه محمد بن احمد بن داود القمي في كتاب الزيارات عن خطب السيد رضي الدين علي بن طاوس رحمه الله ونقله عنه بهاء الدين محمد العاملي قدس

سره في كتاب « الكشكول » بما نصه :

« روي ان الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين الف درهم وتصدق عليهم وشرط ان يرشدوا الى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة ايام »[٣٦] . ثم بين في ذيل الخبر مقدار مساحة تلك الاراضي وانها هي حرم الحسين عليه السلام بقوله : « قال الصادق عليه السلام : حرم الحسين(ع) الذي اشتراه اربعة اميال في اربعة اميـال فهو حلال لولده ومواليه ، حرام على غيرهم ممن خالفهم ، وفيه البركة ».

وأما سبب حلّيته على ولد الحسين عليه السلام ومواليه بعد الصدقة هو عدم قيام أهل الغاضرية ونينوى بالشرط حسب القاعدة على ما اوضحه ابن طاوس المذكور مستندا في ذلك على رواية محمد بن داود ، بقوله : « وذكر السيد الجليل السيد رضي الدين علي بن طاوس رحمه الله ، انها انما صارت حلالا بعد الصدقة لأنهم لم يفوا بالشرط . قال : وقد روى محمد ابن داود عدم وفائهم بالشرط في باب نوادر الزمان »[٣٧] .

او ان الحرم باعتبار آخر هو في نظر البعض من الناحية التحليليـة مجموع منطقة امتزجت ارضها ، واختلطت تربتها بدم الحسين عليه السلام فاكتسبت تلك الحرمة وهذه المعنوية ، وذلك لأن مصرع الحسين حيث اريق دمه الطاهر يقع في قلب دائرة الحرم فامتزجت تربة مصرعه بهذا الدم اولا، ثم إنتشرت ذراتها تدريجيا بفعل العوامل الطبيعية من الريـاح والعواصف والامطار والانهار في انحاء هذه المنطقة حاملة معها اجزاء من ذلك الـدم

---

٢٦) راجع : كتاب «الكشكول» للشيخ بهاءالدين محمد العاملي ص١٠٢ طبع مصر ١٣٠٢ هـ .

٢٧) المصدر نفسه .

الطاهر ، وباختلاط تلك الذرات بالتربة في طول تلك المنطقة المستديرة وعرضها اصبحت تلك المنطقة على اختلاف تقديرها وتحديدها حرما آمنا . وحريما لقبر الحسين عليه السلام لها حرمتها وقدسيتها لان تربتها ممتزجة بتربة مصرع الحسين ودم الحسين مقدس لانه من دم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تعلم .

وعلى كل ، فان منشأ هذا التفكيك بين الحرم والحائر عند الرواة والمحدثين يرجع بالأصل لا الى حقيقة تاريخية وانما الى مسألة تعبدية محضة تدور حول الوجوب او التخيير للزائر المسافر في قضية اتمام الصلاة في اربعة اماكن ، في اثنين منهما ، وهما مكة والمدينة تتفق الآراء بالاجماع تقريبا على وجوب الاتمام فيهما ، وذلك في البلد الحرام كله في داخل البيت وخارجه باعتبار ان مكة المعظمة كلها حرم الله ، ثم وفي داخل المسجد النبوي نفسه بالمدينة المنورة وذلك ضمن حدوده الاصلية كما كان عليه المسجد بدء تأسيسه على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون ما أضيف عليه فيما بعد بصورة تدريجية بغية توسيع المسجد .

الأمر الذي يدل دلالة واضحة على تأميم مكة في الاسلام وجعلها أممية أي وطنا حقيقيا لكل مسلم لانه يعتبر فيها كأنه في بيته لعدم اعتباره مشمولا بأحكام التقصير في الصلاة بمكة . وكذلك الحال للمسجد النبوي بالمدينة فكأنهما بهذا الاعتبار ملك لجميع أفراد المسلمين في مختلف اقطار الارض دون أي فرق وتمييز .

ثم التخيير للمسافر بين التقصير والاتمام في اثنين آخرين من الاماكن الاربعة وهما مسجد الكوفة وحائر الحسين عليه السلام وذلك مع القول بأفضلية الاتمام فيهما . وحل هذه المسألة العبادية هو الذي جعل الفقهاء

يبحثون في مؤلفاتهم عن حدود الحائر وحقيقته على ضوء الروايات الواردة فيه ، الأمر الذي يدل على أهمية ابحاثهم لتحديد الحائر ومدلوله من الناحية التاريخية .

والتزام الرواة والمحدثين في تحديد الحائر وتعيين حدوده بالضبط الى هذه الدرجة فهو كما بيناه لأمرٍ عبادي محض كي لا يتجاوزوا حدود ما كان عليه الحائر المقدس في زمن الصادق عليه السلام حين وردت فيه اخبار التخيير للمصلي بين القصر والتمام .

ويظهر من ابحاثهم المسهبة في هذا الصدد بأنه تسرّب أو كاد ان يتسرب بعض الخلط بين مفهوم الحائر والحير فيما يخص أحكام الحائر من الوجهة الشرعية . وكأنما حصل هذا الخلط بين الموضوعين عند العوام اولا ثم بقي مستمرا في الاذهان الى اواخر القرن السادس من الهجرة حين اتى ابن ادريس وفرق بينهما في عام ٥٨٨ هـ في كتاب الصلاة من « السرائر » بقوله : «والمراد بالحائر ما دار عليه المشهد ، لاما دار عليه سور البلد » .

مما يدل على ان الناس الى هذا العهد ما كانوا يفرقون بين الحائر والحير أي بين القبر المطهر والبلد وبخلطهم بينهما كانوا يشملون الحير بأحكام الحائر . فجاء تحديد ابن ادريس فاصلاً للأمر كما تقدم [٢٨] .

---

(٢٨) راجع ذلك مفصلا فى باب صلاة المسافر من كتاب السرائر لمحمد ابن ادريس المتوفى سنة ٥٩٨ من الهجرة طبع ايران سنة ١٢٧٠ هـ وقد الف كتابه هذا حسبما صرح به فى كتاب المواريث فى سنة ٥٨٨ من الهجرة .

رابعا ـ الحائر واختلاف المتاخرين فى تحديده :

وبالرغم مما تقدم ، فقد يظهر من ابحاث المتأخـرين بأن الخلط بين الموضوعين ، ثم افتراض نوع من التوسع في حـدود الحائر بقي مستمرا والترديد سائدا على الاذهان الى عهد قريب . إذ ان العلامة المجلسي في القرن الحادي عشر عاد وبحث نفس الموضوع من جديد بصورة أوسع من قبل ، مستعرضا الآراء المختلفة ، منتهيا منها الى إثبات نوع من السعة في الحائر في المجلد الثامن عشر من دائرة معارفه المسماة بـ « بحار الأنوار » والذي فرغ من تأليفه في عام ١٠٩٧ هـ بقوله :

« أما الحائر فظاهر اكثر الاصحاب اختصاص الحكم به » .

حكى في «الذكرى»[٢٩] عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد انه حكم في كتاب له في السفر بالتخيير بالبلدان الاربعة حتى الحائر المقدس لورود الحديث بحرم الحسين عليه السلام وقدّر بخمسة فراسخ واربعـة وبفرسخ واحد ، قال : والكل حرم وان تفاوتت في الفضيلة وهو غير بعيد لما رواه الشيخ والكليني بسند فيه ضعف عن ابي عبدالله عليه السلام قال : إذا أتيت أبا عبدالله صلوات الله عليه فاغتسل على شاطيء الفرات والبس ثيابك الطاهرة ثم إمش حافيا فانك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، الخبر .

وبسند مرسل عنه عليه السلام قال : حرم الحسين عليه السلام فرسخ من أربع جوانب القبر . وبسند ضعيف آخر عنه قال : حرم قبر الحسين عليه السلام اربعة فراسخ من اربعة جوانبه . والأحوط إيقاع الصلاة في الحائر ، واذا اوقعها في غيره فيختار القصر .

---

(٢٩) كتاب «الذكرى» فى الفقه للشهيد الأول .

وأما حد الحائر ، فقال ابن ادريس : المراد به ما دار سور المشهد والمسجد عليه دون ما دار سور البلد عليه ، لان ذلك هو الحائر حقيقة ، لان الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء ، وقد ذكر ذلك شيخنا المفيد في « الارشاد » لما ذكر من قتل مع الحسين من أهله والحائر محيط بهم إلا العباس (عليه السلام) فانه قتل على المسناة ، واحتج عليه بالاحتياط لانه المجمع عليه[٣٠] .

وذكر الشهيد ان في هذا الموضع حار الماء لما أمر المتوكل باطلاقه على قبر الحسين ليعفيه فكان لا يبلغه انتهى . وأقول : ذهب بعضهم الى ان الحائر مجموع الصحن المقدس ، وبعضهم الى انه القبة السامية ، وبعضهم الى انه الروضة المقدسة وما احاط بها من العمارات القديمة من الرواق والمقتل والخزانة وغيرها .

والاظهر عندي انه مجموع الصحن القديم لا ما تجدد منه في الدولة العلية الصفوية شيد الله اركانهم ، والذي ظهر لي من القرائن وسمعت من مشايخ تلك البلاد الشريفة انه لم يتغير الصحن من جهة القبلة ، ولا من اليمين والشمال بل انما زيد من خلاف جهة القبلة ، وكل ما انخفض من الصحن وما دخل فيه من العمارات فهو الصحن القديم ، وما ارتفع منه فهو خارج عنه ، ولعلهم انما تركوه كذلك ليمتاز القديم عن الجديد ، والتعليل المنقول عن ابن ادريس (ره) منطبق على هذا . وفي شموله لحجرات الصحن من الجهات الثلاثة اشكال . ويدل على ان سعة الحائر اكثر من الروضة المقدسة والعمارات المتصلة بها من الجهات الثلاثة ما رواه ابن قولويه بسندٍ حسن عن الحسن بن عطية عن ابي عبد الله عليه السلام قال : اذا

---

(٣٠) هذا كل ما قاله محمد بن ادريس الحلي في كتاب «السرائر» .

دخلت الحير ـ وفي بعض النسخ ـ الحائر فقل وذكر الدعاء ، ثم تمشي قليلاً وتكبر سبع تكبيرات ثم تقوم بحيال القبر وتقول ، الى ان قال : ثم تمشي قليلا وتقول الى قوله : « وترفع يديك وتضعهما على القبر » .

وعن ثوير بن أبي فاختة عن ابي عبدالله عليه السلام في وصف زيارته حتى تصير الى باب الحائر او الحير ثم إمش حتى تأتيه من قِبَل وجهه .

وعن أبي حمزة الثمالي بسند معتبر عن ابي عبدالله عليه السلام في وصف زيارة الحسين : ثم ادخل الحير او الحائر وقل ... الى قوله : ثم إمش قليلاً وقل ... الى قوله : ثم إمش وقصر خطاك حتى تستقبل القبر، ثم تدنو من القبر وتقول ... الى آخر الخبر ، فهذه الاخبار وغيرها مما سيأتي في كتاب «المزار» إنشاء الله تعالى تدل على نوع سعة في الحائر»[٣١].

وقد جاءت خلاصة هذا الكلام في مجلد «المزار» المنوه عنه بقوله :

« إعلم انه اختلف كلام الاصحاب في حد الحائر ، فقيل انه ما احاطت به جدران الصحن فيدخل فيه الصحن من جميع الجوانب والعمارات المتصلة بالقبة المنورة والمسجد الذي خلفها . وقيل انه القبة الشريفة حسب . وقيل هي مع ما اتصل بها من العمارات كالمسجد والمقتل والخزانة وغيرها . والاول أظهر لاشتهاره بهذا الوصف بين أهل المشهد آخذين عن اسلافهم ولظاهر كلمات اكثر الاصحاب ، قال ابن ادريس في السرائر : المراد بالحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه ، قال لان ذلك هو الحائر حقيقة لان الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء . وذكر الشهيد في «الذكرى» ان في هذا الموضع حار الماء لما أمر المتوكل باطلاقه على قبر الحسين عليه السلام ليعفيه فكان لا يبلغه .

---

(٣١) راجع «بحار الانوار» ج١٨ ص ٧٥٣ في باب الصلاة ، طبع ايران ١٣١١

وذكر السيد الفاضل أمير شرف‌الدين علي المجاور بالمشهد الغروي قدس الله روحه وكان من مشايخنا اني سمعت من كبار الشائبين من البلدة المشرفة ان الحائر هو السعة التي عليها الحصار الرفيع من القبلة واليمين واليسار ، واما الخلف فما ندري ما حده وقالوا هذا الذي سمعناه من جماعة من قبلنا ، انتهى . وفي شموله لحجرات الصحن إشكال والله يعلم .

ولا يبعد ان يكون ما انخفض من هذا الصحن الشريف يكون داخلا في الحائر دون ما ارتفع منها وعليه ايضا شواهد من كلمات الاصحاب[٣٢] .

وجاء الشيخ يوسف البحراني في القرن الثاني عشر فأعاد ما قاله العلامة المجلسي من اقوال العلماء في تحديد الحائر واضاف عليها قوله هذا :

« أقول : وقد اخبرني من أثق به من علماء ذلك البلد وسكنة ذلك المكان منذ مدة من الزمان لما تشرفت بتقبيل تلك الاعتاب وفاوضته في كلام شيخنا المذكور (يعني به المجلسي) ونقله التغيير في الصحن في دبر القبلة . فقال إن سبب ذلك ان هذا المسجد الجامع الموجود الآن في ظهر القبلة السامية لم يكن قبل ، وانما أحدث فيما يقرب من مائتي سنة ولما أحدثوه أخروا جدار الصحن عن تلك الجهة ليتسع مثل باقي جهاته . ثم ان ما اختاره شيخنا المتقدم ذكره من تحديد الحائر الشريف عبارة عن الصحن لاخصوص القبة السامية ، او هي وما اتصل بها من العمارات ودل عليه بعض اخبار الزيارات كما في رواية صفوان الطويلة ونحوها من الاخبار الدالة على سعة ما بين دخول الحائر ودخول القبر بحيث يزيد على الروضة والعمارات المتصلة

بها[٣٣] .

(٣٢) راجع : مجلد «المزار» من بحار الانوار فى تحديد الحائر ص١٤٢ .

(٣٣) راجع : كتاب «الحدائق الناضرة فى احكام العترة الطاهرة» ج ٢

ويتبين من هذه الاقوال مدى الاختلاف التدريجي الذي حصل مع مرور الزمن لدى المتأخرين في مسئلة تحديد الحائر. فبعد ان كان الامر واضحا وجليا لدى الجميع عندما حدده الصادق عليه السلام في اوائل القرن الثاني من الهجرة وذلك حسب الظاهر على أساس البناء القائم اذ ذاك على المشهد الشريف بعشرين أو بخمسة وعشرين ذراعا من كل جانب من القبر ، اعتور التحديد تدريجيا بعض الشك كلما توسع هذا البناء وزيد في اطرافه الابنية والعمارات الجديدة حتى آل به الامر في القرن الحادي عشر على عهد المجلسي ومعاصريه الى القول بنوع من السعة في الحائر كما رأينا .

وهذا الاختلاف فقد أعلن عنه المجلسي في بداية كلامه في « المزار » وأوضحه في الجزء الثامن عشر من البحار فذكر ما استدلوا به « بالتخيير بالبلدان الاربعة حتى الحائر المقدس لورود الحديث بحرم الحسين عليه السلام » فان هذه الاحاديث لاتنطبق على الموضوع لأنها جاءت في آداب الزيارة لا في تحديد الحائر .

وأما ما ذكره ابن ادريس فانه قول" لايفهم منه اليوم مقدار ما كان عليه المشهد والمسجد من السعة في عهد ابن ادريس وكان البناء قد تغير مرارا عديدة من بعده الى زمن المجلسي ، وغاية ما يستفاد من قوله هو التمييز بين الحائر والبلد وان العباس (ع) مدفون خارج الحائر .

وان ما نقله ابن ادريس عن الشهيد بأن الماء حار في هذا الموضع لما أمر المتوكل باطلاقه تعليلا لما ذكره هو في معنى الحائر من أنه الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء فانه تعليل ضعيف ، لان تسمية الموضع بالحائر كانت

ص ٣٤٥ — ٣٤٦ طبع ايران ١٣١٦ هـ للشيخ يوسف بن احمد بن ابراهيم البحراني المتوفى فى ربيع الاول ١١٨٦ هـ .

تسبق عهد المتوكل بأكثر من قرن . ثم ولا يعرف بالضبط أي سور يعنيه ابن ادريس في تحديده للحائر ، أو على أي سور من الاسوار الحالية يجب أن يطبق كلامه ؟ هـل على سور الصحن الخارجي وهو بوضعه الحالي مستحدث بلا شك من بعد ابن ادريس ، أم على السور المحيط بالاروقة والبناء من داخل الصحن ولا نعلم هل أنه كان على موضعه الحالي في القرن الخامس والسادس على عهد ابن ادريس مع العلم بأن البناء قد تغير وتوسع كثيرا من بعد هذا العهد ، ام على السور الداخلي الذي يحيط فعلاً بالحرم والمسجد عبر عنهما ابن ادريس بـ « المشهد والمسجد » مع العلم ان هذا المسجد نفسه كان قد توسع في الحقيقة ، او على حد تعبير الشيخ يوسف البحراني [٣٤] ، كان قد أحدث في القرن العاشر من الهجرة على عهد الدولة الصفوية .وحسب القرائن التاريخية ومنطوق كلامه فان هذا السور الداخلي هو الذي يقصده ابن ادريس وينوه عنه الطريحي في مجمع البحرين .

ومع ذلك كله ، فان تحديد ابن ادريس نظرا لقدمه واقتراب عهـده بالعصور الاولى هو أولى بالاتباع من غيره من المتأخرين . فلو اتبعنا قوله حرفيا فانه لايشمل الا الحرم الذي عبر عنه بـ « المشهد » مع قسم من المسجد الموجود في شمال الحرم على حده القديم قبل توسع المسجد في القرن العاشر .

وعلى هذا التقدير فان تحديد ابن ادريس يطابق تقريبا المساحة التي عينها الصادق عليه السلام للحائر من عشرين او خمسة وعشرين ذراعا من كل جوانب القبر المطهر أي من حيث المجموع مساحة ستمائة وخمسة وعشرين مترا مربعا بأعلى التقديرين . وهذه النتيجة التي انتهينا اليها تختلف عما نقله المجلسي من آراء المتأخرين فيه ، والآراء التي ذكرهـا في المزار والبحار

(٣٤) راجع ما تقدم من قوله في زيارته العتبات المقدسة .

تنصف في أربعة أقسام :

أولا : ـ ان حد الحائر هو القبلة السامية ، أي ما يقع من الحرم تحت حدود القبة وذلك ما ينطبق تقريبا على قول ابن ادريس ببعض التحفظ .

ثانياً ـ القول بأنه الروضة المقدسة وما أحاط بها من العمارات القديمة من الرواق والمسجد والمقتل والخزانة وغيرها ، وأصحاب هذا الرأي يطبقون الحدود على السور المحيط بالاروقة والبناء الموجود في وسط الصحن مع العلم بأن العمارات الملحقة مستحدثة كلها بمرور الزمن .

ثالثاً ـ القول بأنه مجموع الصحن المقدس ، واصحاب هذا الرأي يطبقون تحديد ابن ادريس على جدران الصحن الخارجية فيدخل فيه الصحن من جميع الجوانب مع العمارات المتصلة بالقبة المنورة والمسجد الذي خلفها ، مع العلم أن هذهالانشاآت الواسعةجديدة لايرتقى عهدها الى القرن السادس فمنها ما يرجع عهده الى السلطان أويس الجلائري وابنه السلطان أحمد في القرن الثامن ، ومنها الى عهد الصفويين في القرن العاشر والحادي عشر ، ومنها الى القاجاريين في القرن الثالث عشر .

رابعاً ـ قول المجلسي نفسه ويختلف عن الاقوال المتقدمة لانه يرى أن حد الحائر هومجموع الصحن القديم وذلك بتعديلين ، الاول اخراجه ماتجدد منه في عهد الدولة الصفوية ويعني به القسم الشمالي من الصحن ، ودليله على كون الصحن القديم منالحائر بأنه سمع « من مشايخ تلك البلاد الشريفة ان الصحن لم يتغير من جهة القبلة ولا من اليمين والشمال ، وانما زيد من خلاف جهة القبلة » .

وهذا الدليل ـ كما يلاحظ ـ ضعيف جدا لانه يغاير التاريخ والواقع . وبنفس الدليل الذي أخرج به القسم الشمالي المستحدث من نطاق الحائر

كان يجب ان يخرج به بقية الجهات منه أيضا ، لأن كل جهة من الجهات الثلاث الاخرى من الصحن أنشئت أيضا في عصور مختلفة من بعد العصر الاول . واما تعديله الثاني فهو اخراجه حجرات الصحن من الجهات الثلاث التي قرر دخولها في الحائر ، مع ان الحجرات هي داخلة في السور المحيط بالصحن لاخارجة عنه ، وكأنه بهذا القول اعتبر الحيز حائرا فقط دون ان يكون السورومايضمن السورداخلا فيه وذلكدون الادلاء بدليل لاثباتقوله .

وان ما اورده عن ابن قولويه من روايات الحسن بن عطية وابن أبي فاختة وأبي حمزة الثمالي لاثبات نوع من السعة في الحائر ، فالظاهر ان لامحل لايرادها في مثل هذا المورد ، لان هذه الروايات هي وما ورد منها في تحديد الحائر بعشرين او بخمسة وعشرين ذراعا في مثلها جاءت كلها في زمن واحد ومن مصدر واحد فجاءت كلها عن الصادق عليه السلام . وهل يمكن الاستدلال ببعضها أجتهادا مقابل ما في غيرها من النص الصريح في التحديد .

وعلاوة على ذلك فان ما استدل به العلامة المجلسي من هذه الروايات على نوع من السعة في الحائر من الامر فيها بالمشي مرتين وتقصير الخطىبعد الدخول الى غير ذلك فانها لأمور في حد ذاتها لاتدل على سعة المكان ، بل يمكن تطبيقها حتى في محل صغير .

ولم يبق لأصحاب نظرية التوسع الا دليل واحد لكن لم يقولوا به أو لم يصرحوا به حسب الظاهر وهو أن للحائر مفهوم انتزاعي محض فكان يحد في عصر الصادق عليه السلام بعشرين او بخمسة وعشرين ذراعا في مثلها ، وكذلك يحد في أي وقت آخر بما يبلغ اليه من السعة والتوسع ، وبهذا النحو يكون له صفة التمدد يتمدد بتمدد الجدران ويتوسع كلما

توسعت الابنية والعمارات من حوله ، فيكون حده اليوم « الحصار الرفيع » الذي أشار اليه المجلسي في المزار من قول الامير شرفه الدين علي الغروي . ولكنهم لم يذهبوا الى هذا الرأي فبقيت أبحاثهم تحوم حول الشبهة والتردد في الموضوع . ولم تتوسع في هذا البحث هذا التوسع الا لغايتين :

الاولى ان نحيط بجميع ما جاء عن الحائر في اللغة والتاريخ والفقه والحديث لنكون قد أوفينا الموضوع بعض حقه .

والثانية تمحيص آراء الفقهاء المتقدمين والمتأخرين للوصول الى نتيجة وضعية ثابتة عن الحائر وحدوده في كل الادوار لما لهذا الامر من الصلة بتاريخ بنائه وتطوراته وتوسعاته . ثم وكان الموضوع نفسه بحاجة الى مثل هذا التوسع في البحث والتحقيق لما له من الصلة بمنزلة الحائر الدينية وقدسيته في نفوس المسلمين .

ومع ما تقدم من الآراء المتنوعة فقد توقف المعاصرون عن الاخذ بها ولم يقولوا الا بالقدر المتيقن فيه ومنهم الشيخ جعفر التستري من أبرز فقهاء القرن الثالث عشر فانه بعد استعراضه التام لاقوال الاصحاب يقتصر بالقول على الروضة المقدسة وحدها كما تجد رأيه في آخر كلامه التالي :

« إختلف أصحابنا في تحديد الحائر . فقال ابن ادريس — فذكرنا قوله المذكور فيما تقدم — وذهب بعضهم أن الحائر مجموع الصحن المقدس . وبعضهم انه القبة السامية ، وبعضهم الى أنه الروضة المقدسة وما أحاط بها من العمارات القديمة من الرواق والمقتل والخزانة وغيرها .

وقال المجلسي (ره) : الاشهر عندي انه مجموع الصحن القديم لا ما تجدد منه في الدولة الصفوية .

واحتج على ذلك بالاخبار الدالة على إنك اذا دخلت الحائر فقف وقل

وذكر الدعاء ، ثم تمشي قليلا وتكبّر سبع تكبيرات ، ثم تقوم بحيال القبر وتقول ، الى أن قال : ثم تمشي قليلا وتقول الى قوله ثم ترفع يديك ثم تضعهما على القبر ونحو ذلك مما فيه الامر بالمشي مرتين وتقصير الخطى بعد دخوله فانها تدل على نوع سعة في الحائر . وهذا القول قوي ويدل عليه أصل مسألة الصلاة هناك وعنوانها فانها تدل على نوع سعة لكن الضبط والتحديد غير معلوم ، والاحوط الاقتصار على الروضة المقدسة » (٣٥) .

ولما لم يكن الضبط والتحديد معلوما من بين هذه الآراء المختلفة فالاصح في نظره البقاء على الحد المتفق عليه وهو الروضة المقدسة أي داخل الحرم الشريف وهذا يرجع بالطبع الى أصل التحديد في عصر الصادق عليه السلام. فيكون بذلك العود على البدء .

---

(٣٥) راجع: كتاب « خصائص الحسين» ص ١٩٠ — ١٩١ للشيخ جعفر التستري المتوفى عام ١٣٠٣ من الهجرة ، طبع ايران .

الفصل السادس

مناطق الحرم والحائر ـ وترتب قاعـدة الشرفية بينهما

ليس الغرض من الحرم في هذا المورد ما يسمونه عادة بـ «حرم الحسين» والذي هو داخل الروضة المقدسة ، وانما المقصود هو المناطق المنصوص عليها في الروايات بأنها حريم ومحترم للقبر المطهر ولها حرمتها كما سبق بيانها فيما تقدم . وهذه المناطق هي مختلفة من حيث الاتساع فتبدأ من دائرة صغيرة حول القبر فتأخذ بالتوسع من دائرة الى أخرى حتى تبلغ دائرة واسعة جدا تشمل بقعة كربلاء وأطرافها الى مسافة بعيدة ، فهي تبدأ اولا من عشرين ذراعا ، الى خمسة وعشرين ذراعا ، الى فرسخ واحد ، الى اربعة اميال ، الى اربعة فراسخ ، فالى خمسة فراسخ من كـل جانب من القبر المطهر حسب الاحاديث المختلفة ، فانها مناطق متداخلة بعضها في بعض ولكنها ليست هي والحائر كلها على درجة واحدة من الشرف والفضيلة . لان كلما توسعت دائرة من دوائر منطقة الحرم وابتعـدت بذلك عن محيط الحائر او مركز الدائرة كلما قلت فضلا ومنزلة ، وبالعكس كلما تدانت واقتربت من المركز كلما زادت قدسية وحرمة كما تنبىء بذلك الروايات والاحاديث الكثيرة .

فقد روى المجلسي في « المزار » من بحار الانوار بهذا الصدد نقلا عن « المصباح » بأن : « الوجه في هذه الاخبار ترتب هذه المواضع في الفضل، فالاقصى خمسة فراسخ ، وأدناه من المشهد فرسخ ، وأشرف الفرسخ خمس وعشرون ذراعا ،واشرف الخمس والعشرين ،عشرون ذراعا ، واشرف العشرين

ما شرّف به ، وهو الحديث نفسه ونحوه قال في التهذيب » [٣٦] .

فعلى ذلك تأتي قاعدة الشرفية بين هذه المناطق على ترتب المواضع حسب قاعدة الاقرب فالاقرب الى موضع دفنه عليه السلام ، فيكون الحائر المحدد بعشرين ذراعا في عشرين هو اشرف تلك المناطق كلها .

وقد امتازت ارض كربلاء وحدها بهذا الشرف في الاسلام ، ولم تنل بقعة أخرى من بقاع الارض مثل تلك المكرمة العظيمة . ولعل من اسباب ذلك امتزاج ارضها ، كما سبق بيانه ، بذرات من تربة مصرعه عليه السلام وكانت تلك التربةهي ممتزجة بدمه الطاهر فأصبحت تلك المناطق على أختلاف درجاتها مقدسة نسبيا حسب ترتب المواضع من حيث القرب والبعد عن قلب الدائرة في وسط الحائر ، فصارت تلك المناطق واسعة حرما وحريما للحائر وهو تلك المنطقة الصغيرة حول القبر المطهر . فان هذه المناطق كلها حرم" وان تفاوتت في الفضيلة وذلك لما رواه الشيخ والكليني عن الصادق عليه السلام فانه قال : « اذا أتيت ابا عبدالله عليه السلام فأغتسل على شاطيء الفرات ، والبس ثيابك الطاهرة ، ثم أمش حافيا فأنك فيحرم من حرم اللهوحرم رسوله ... الى آخر الخبر » [٣٧] .

ولكن ما العلة مع ذلك كله في حصر الحائر في دائرة صغيرة بين تلك المناطق الواسعة مع أهميته وعظيم منزلته في الدين ؟ فانه جاء محصورا حسب مفهوم الروايات في منطقة ضيقة ما كانت تتجاوز دائرة هذه المنطقة كلهـا حسب الظاهر حدود أول بناء كان قد شيد في أول عهده على القبر المطهر وهو البناء الذي بقيقائما بما أدخل عليهمن التحسين اومن التوسع التدريجي

(٣٦) راجع : « المزار » من بحار الانوار ص ١٤١ .

(٣٧) راجع : « بحار الانوار » ج ١٨ ص ٧٥٣ طبع ايران ١٣١١ هـ .

الى زمن الصادق عليه السلام حين وردت عنه الروايات الكثيرة من طرق عديدة في تحديد الحائر المقدس بعشرين ذراعا في عشرين ، او بخمسة وعشرين ذراعا في مثلها من كل جوانب القبر .

وهذا التحديد الذي تنطق به الروايات لقبر الحسين عليه السلام هو حسب التحليل التاريخي تحديد" للبناء الموجود على القبر وما كان يشتمل عليه البناء اذ ذاك في أطرافه وجوانبه . وبغير هذا التعليل لايعقل أن تأتي الروايات في تحديد الحائر على أساس خط وهمي افتراضي محض قد ينطبق من جهة على حدود البناء القائم ، وقد لاينطبق عليها من جهة أخرى فيقع حينا داخل حدود البناء وحينا خارجه . كما ولا يمكن القول بأي صورة من الصور بأنه كان قد روعي في تشييد البناء في اول عهده من بعد وقعة الطف كل المقاييس التي وجدت لها فيما بعد تأييدا من هذا النوع الذي نوهت عنه الروايات في حرمة الحائر وقدسيته .

وهذا الامر مما يدل دلالة واضحة على أن لاصلة بين لفظ « الحائر » في هذا المورد وبين مفهومه الجغرافي من منخفض من الارض يحير فيه الماء كما وصفه أهل اللغة .

أضف الى ذلك ان الروايات عن الائمـة في الحائر جاءت معبرة عنه بألفاظ مختلفة تدل على كل شيء الا على مدلول جغرافي له ، فترى ان هذه الروايات تعبر عن الموضع حينا بلفظ « عند القبر » ، وحينا آخر بكلمـة « تحت القبة » ، وتارة بـ « الروضة » كما جاء في رواية عن الصادق عليه السلام ان « قبر الحسين عشرون ذراعا في عشرين ذراعا متكسرا روضة من رياض الجنة .. الى آخر الخبر » .

وتارة أخرى بـ « المشهد الشريف » . كما وعبرت عنه أيضا بـ « حرم

الحسين » أي داخل الروضة من حول القبر وهو غير مفهوم الحرم المتقدم الذكر ، او بتعابير أخرى مختلفة (٣٨) .

فتوارد التعابير العديدة وبهذه الكثرة في الروايات للدلالة على موضع واحد هو الحائر ليس دليلا الا على أن للحائر نفسه مدلول ومفهوم مثلها وأنه في عداد تلك التعبيرات اللفظية المختلفة من حيث الدلالة والمعنى .

وخلاصة القول ، فان ما يستنتج من الاخبار والروايات هو أن الحائر اسم للبناء الذي شيد لأول مرة حول القبر المطهر من بعد وقعة الطف ، وهذا كلما يستطيع الباحث أن ينتهي اليه بنتيجة البحث والتحقيق ، حتى وان تسمية المحل بالحائر لاترتقي الى قبل الاسلام ، ولا الى قبل الواقعة نفسها. وأن لاصلة بين هذا الاسم وصفة الارض الجغرافية بوجه من الوجوه لعدم وجود أي دليل تاريخي على ذلك .

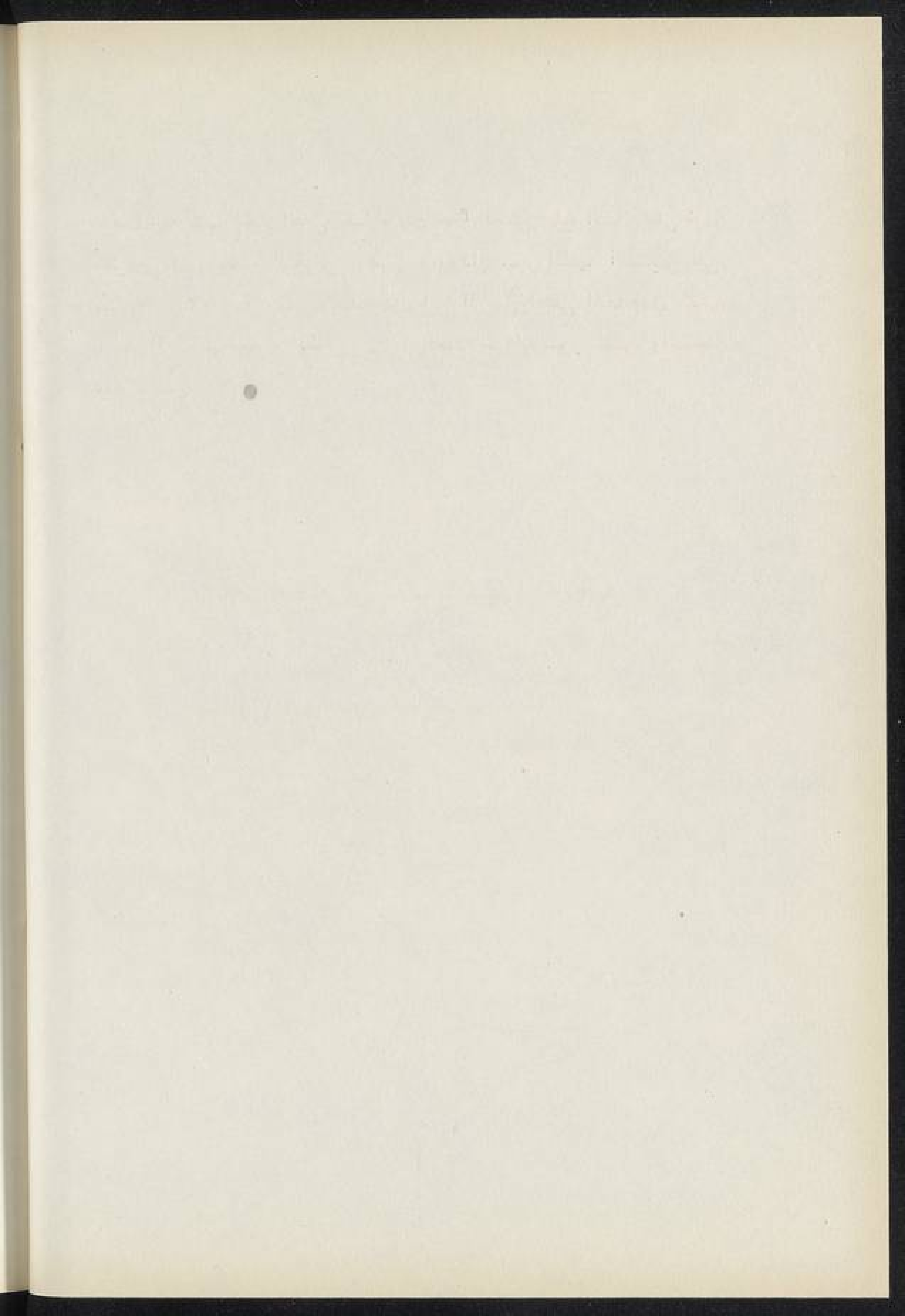
وهذا القول تؤيده اللغة ، والقرائن ، والروايات معا بالاتفاق ، لأن الحائر على قول « لسان العرب » هو فناء الدار أو ما يحيط بها من كل جانب لقوله : « وقالوا لهذهالدار حائر واسع ،والعامة تقول حير وهوخطأ ،والحائر كربلاء سميت بأحد هذه الاشياء » (٣٩) .

ثم يقربه « الصحاح » من هذا المعنى بقوله : « الحير بالفتح الحمى ، ومنه الحير بكربلاء ».. واذا مالا حظنا الكلمة من ناحية الاشتقاق فان الحائر والحارة من مادة واحدة في اللغة ، والحارة هي مجموعة المساكن ، او كما عبر عنه أهل اللغة هي « كل محلة تدانت مساكنها » فيرى من ذلك أن الحائر لغة ، وعلى الاخص في مثل هذا المورد ، اسم للبناء لالشيء آخر وهو ما

(٣٨) في مسئلة تعدد التعبير عن الحائر راجع الجزء الثاني ص ٣٤٥ — ٣٤٦ « الحدائق الناضرة » للشيخ يوسف البحراني ، ايران ١٣١٦ هـ .

(٣٩) راجع : معجم «لسان العرب » ج٥ ص ٣٠٣ — ٣٠٤ .

تذهب اليه كتب رجال الدين أيضا • لأن حائر الحسين عليه السلام على قول الطريحي في « مجمع البحرين » هو : « ما دار سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام » • ومثل ذلـك قول ابن ادريس الحلي المتقدم في كتاب « السرائر » في تحديد الحائر بأن : « الحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه » •



الباب الثاني

الحائر والحير والتحقيق فيهما تاريخيا

١ ـ التحقيق فى اسم الحائر والحير تاريخيا .
٢ ـ الحائر ومبدأ ظهور هذا الاسم لقبر الحسين عليه السلام .
٣ ـ الحائر والوجه فى تسميته .
٤ ـ الحائر والحير والتحقيق فى الحير تاريخيا .

الفصل الاول

التحقيق فى اسم الحائر والحير تاريخيا

فبعد ان أستعرضنا البحث في الحائر المقدس من نواحيه المختلفة في الفصول السابقة ، بقي أن نعرف الآن مبدأ ظهور هذا الاسم في التاريخ الاسلامي لتعيين قبر الحسين عليه السلام به ٠ وهذا ما سنبحث عنه في هذا الباب بالطرق التحليلية وذلك بتحليل الادوار دورا بعد دور باحثين عن الحائر والحير في التاريخ والرواية بصورة منظمة عسانا أن نقع بطريقة الحصر على ضالتنا المنشودة ٠

لم يرد في التاريخ اوالحديث ذكر لكربلاء باسم الحائر او الحير من قبل وقعة الطف ، او اثناء هذه الوقعة ، او بعدها بزمن يسير ٠ اذ ان الاحاديث النبوية المنبئة بقتل الحسين عليه السلام بأرض العراق تضمنت كل الاسماء عدا اسم الحائر ٠ فمنها ما ورد فيه اسم كربلاء ، واسم نينوى ، والطف ، وارض الطف ، وشط الفرات ، وشاطي الفرات ، ولا واحد منها ورد فيه اسم الحائر أو الحير ، مع انها جاءت بأسماء هذه الارض كلها ٠

ومن بعد عصر النبوة لم نجد له أيضا من أثر ٠ فعندما مر أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في طريقه الى صفين ووقف هناك وبكى ذاكرا مصرع ابنه الحسين واصحابه في تلك البقعة لم يرد أيضا ذكر لاسم الحائر أو الحير في هذا الخبر ٠

ثم اذا تقدمنا بخطوة أخرى في التاريخ واقتربنا من وقعة الطف نجد ان الحسين عليه السلام لما وصل حدود هذه الارض واجتازها قرية فقرية ،

وسأل عن اسم كل واحدة منها ، ذكروا له اسماء مختلفة مثل اسم نينوى ، والغاضرية ، وشفية ، والعقر ، وكربلاء ، وغيرها ، ولم يرد ذكر لاسم الحائر أو الحير في عداد تلك الاسماء المختلفة الكثيرة .

ثم ، ومن يوم نزول الحسين عليه السلام كربلاء في اليوم الثاني من المحرم سنة احدى وستين من الهجرة الى يوم العاشر منه يوم الوقعة لم يرد في الاخبار المتعلقة بهذه المدة أي ذكر ، او على الاقل ، أي اشارة ولو خفية الى اسم الحائر .

ثم ، ومن سوق الاسارى والسبايا الى الكوفة فالى الشام ، ثم رجوعهم من الشام ومرورهم بكربلاء في طريقهم الى المدينة لم يرد أيضا أي ذكر أو اشارة الى اسم الحائر بدلا عن اسم كربلاء في الاخبار والروايات المتعلقة بتلك المدة .

ثم ، اذا وجهنا النظر من الحوادث التاريخية الى الاحاديث الدينية نجد أن الروايات المأثورة عن السجاد والباقر عليهما السلام فيما يخص قبر الحسين وفضل زيارته أو غير ذلك لم يرد فيها أي ذكر لاسم الحائر او الحير . فبلغنا الآن السنة ١١٤ هـ يعني الى وفاة الباقر عليه السلام ولم نجد أثرا لاسم الحائر او الحير في التاريخ فمتى كان ظهوره اذن ؟

ولا يمكن تعيين مبدأ ظهوره بالضبط ، غير أننا نعلم من القرائن بأنه لم يظهر الا من بعد عام ١١٤ من الهجرة . فلو كان الحائر وصفا لحالة الارض في هذا المورد كما يزعم كان ينبغي ان يكون مبدأ ظهوره قبل الوقعة وحتى قبل الاسلام في الفترة التي كانت هذه الارض يبابا غير عامرة وغير آهلة بالسكان فيوجد له ذكر في التاريخ والحديث . مع العلم بأنه لم يرد ذكر الحائر الا في السنوات الاخيرة من الدولة الاموية كما جاء ذكره في مثل

حديث الحسين بن بنت ابي حمزة الثمالي الذي زار قبر الحسين عليه السلام في آخر زمن بني امية كما يصرح به [١] • او في بعض الروايات الواردة عن الصادق عليه السلام حوالي هذا الوقت من قبله او بعده في فضيلة زيارة الحسين عليه السلام • ولم يرد اسم الحائر في كلها وانما في بعضها دون البعض لتعيين المشهد الشريف به •

فيستدل من ذلك كله ، ان اسم الحائر لكربلاء ليس قديما ، وانه اسم حادث لم يكن معروفا من قبل ، ولا يرتقي عهده الى قبل الاسلام ، ولا الى عصر النبوة ، ولا الى حين وقعة الطف ، ولا الى زمن السجاد والباقر في القرن الاول الى الشطر الاول من القرن الثاني من الهجرة أي الى وفاة الباقر عليه السلام في سنة ١١٤ وانما ظهر هذا الاسم لأول مرة لتعيين قبر الحسين حوالي عام ١٢٥ هـ كما يستفاد من حديث الحسين بن بنت أبي حمزة المتقدم الذكر ومن بعض روايات الصادق عليه السلام •

وهذا ما يدعو الى التساؤل عن سبب ظهور هذا الاسم لكربلاء في مثل ذلك الوقت ؟

---

(١) راجع : كتاب «الاقبال» للسيد ابن طاووس ص ٥٦٨ طبع ايران ١٣١٢ هـ ، و « نزهة أهل الحرمين » ص ١٤ — ١٥ طبع الهند ١٣٥٤ هـ ، و« اعيان الشيعة » ٣٠٣/٤ ، و « البحار » ١٠ / ٣٠٠ ، و« كامل الزيارة » ص١١١—١١٢ . وراجع فصل الحائر ووصفه فى الفصل الاول من هذا الكتاب.

الفصل الثاني

الحائر ومبدأ ظهور هذا الاسم

قد لايكون من السهل البت في قضية مضى عليها اكثر من الف ومائتين واربعين عاما . ولكن التاريخ أمر قد لايمكن اغفاله ، وهو لايقصر عن بذل الادلة والقرائن اللازمة احيانا . فاذا ما امعنا النظر بصورة واسعة في عصر الصادق عليه السلام وما ورد عنه من الاحاديث ، او ما ورد في عصره من الاخبار في الموضوع من طرق أخرى ،نجد ان اسمي الحائر والحير يظهران لأول مرة في التاريخ في هذا العصر فيصبح كل واحد منهما من ذلك الحين فقط معروفا وشائعا في كل من التاريخ والحديث ، ويحشران ضمن غيرهما من الاسماء المختلفة التي كانت تتعين بها كربلاء الى ذلك الوقت . ومع ذلك كله ، لم يظهر اسم الحائر والحير في مبدأ الامر لتعيين كربلاء وقبر الحسين عليه السلام الا بصورة تدريجية ، اذ لم نجد لهما أثرا الا في البعض من الروايات الواردة عن الصادق عليه السلام في فضيلة زيارة الحسين والحث عليها لا في كلها [1] .

الامر الذي يدل على ان اسم الحائر الى ذلك التاريخ لم يكتسب بعد تلك الصفة القطعية ليكون علما لقبر سيد الشهداء كما اصبح له مثل هذه الصفة تقريبا من بعد الربع الاول من القرن الثاني من الهجرة ، وذلك ـ حسب الظاهر ـ الى حين يحدثنا فيه الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي المار ذكره

(١) للتثبت من ذلك يمكن الرجوع الى الروايات الواردة فى الموضوع عن الصادق عليه السلام فى « كامل الزيارة » لابن قولويه .

بحديث شخوصه من الكوفة مشيا على الاقدام الى زيارة الحسين عليه السلام في آخر زمن بني امية ويتطرق في هذا الحديث مرارا الى ذكر الحائر وباب الحائر كأمر مألوف . ويرجع عهد هذا الحديث — حسب القرائن — الى بعد الربع الاول من القرن الثاني أي قبل انقراض الدولة الاموية في عام ١٣٢ من الهجرة .

وبناء على ذلك ، فان ظهور اسم الحائر والحير لم يسبق القرن الثاني كما يلاحظ ، ولعله أيضا من نتاج الربع الاول من هذا القرن من بعد وفاة الباقر عليه السلام في عام ١١٤ هـ لخلو الاحاديث من اسم الحائر والحير الى هذا التاريخ .

ولم يتصف قبر الحسين عليه السلام بـ « الحائر » الا بعد ان شيد عليه البناء من قبة وسقيفة ، ثم أحيط هذا البناء من أطرافه بسور خارجي يبعد مسافة عن البناء من كل جانب على شكل قلعة أو حصن كان الغرض منه حسب الظاهر في بادىء الامر محافظة البناء القائم في وسطه من الطوارىء الخارجية لاسيما اثناء الليل بحيث لايستطيع ان يلج أحد الى الداخل الا بعد ان يجتاز المدخل الرئيسي لهذا السور ،ثم يقطع الفناء التي تفصل الحرم عنه . وبذلك كانت تسهل مراقبة من يدخل الروضة المقدسة أو من يخرج منها في تلك الظروف الدقيقة الحرجة من العهد الاموي الجائر .

الفصل الثالث

الحائر والوجه في تسميته

أما السبب في تسميته بالحائر ، فان ما يستدل من ظاهر القرائن بأن هذا الاسم في القديم كان يطلق عادة على كل بناء عام لغرض الايواء او الاجتماع أو كلاهما معا . وقد عد المؤرخون والجغرافيون اماكن كثيرة بهذا الاسم كما سبق وباسم الحير احيانا كما أشار اليه الطبري بأن بختنصر الملك الكلداني كان قد أسس بالحيرة « حيرا » على نحو سوق محلي لتجار العرب الموجودين في بلاده .

ولما شيدوا البناء على المرقد الشريف وأحاطوه بسور من أطرافه أطلقوا عليه اسم الحائر ، لانه لم يتسن ان يسمى باسم آخر . اذ انه لم يكن بمسجد — حسب الموازين — ليسمى مسجدا ، ولا بجامع ليسمى جامعا . فكان من الطبيعي ان ينحصر الامر في تسمية تناسب الوضع اذ ذاك ، فسمي بهذا الاسم الذي يرجع عهده كما أسلفنا الى بعد الوقعة لا الى قبلها .

ولعله كان من المألوف اطلاق مثل هذا الاسم على هذا النوع من البناء في ذلك العصر . أو لعلهم باطلاق مثل هذا الاسم المتواضع البسيط على قبر الحسين عليه السلام أرادوا التكتم والتستر به كي لايثيروا الشبهة حوله فتتحرك ضغينةالامويين وتقستهم العمياءعلى الزائرين فيصبحوا مورد الاضطهاد والمعاقبة الشديدة من ناحية الامويين في ذلك الدور الارهابي العظيم من تاريخ الاسلام .

وهذا البناء بهذا الشكل وبهذه الكيفية هو الذي ـ على ما يستنتج من البحث والتمحيص ـ سمي بالحائر في أول عهده • ولا نظننا نبتعد عن الواقع بهذا التعليل ، بل نظن أننا قد اقتربنا به الى الحقيقة • لأنه علىقول « لسان العرب » يقال : « لهذه الدار حائر واسع » ، والحائر الواقع في هذا المورد ليس حسب الظاهر الا ما يدور حول الدار وهو السور الذي يحيط بها من أطرافها • وبهذا التقريب يتفق مدلول الحائر مع تعبير أهل اللغة بأنه: « الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف » • وللاماكن المسورة مثل هذه الصفة أيضا وسطها مستو وأطرافها مرتفعة بحيث لايجد الماء له من مخرج ان أطلق فيها لانسداد جوانبه • فأصبح الاسم بهذا الاعتبار مصطلحا فنيا معماريا في ذلك العصر لكل بناء به سور من أطرافه يحير فيه الماء بالاصطلاح الفني • ولذلك فلم يسم قبر الحسين عليه السلام بالحائر الا بعد أن أحيط بسور من كل جانب حسب الظاهر •

فالحائر اذن ، في عرف ذلك العصر هو السور الذي كان يحيط بالقبر المطهر حريما له وصونا للمشهد من الطواريء كما بينا • ولربما يكون أيضا بمثابة مأوى وملجأ للمنقطعين من الزوار يأوون في داخله كما جرت عليه العادة فيما بعد والى الآن في هندسة العتبات المقدسة في العراق وفي ايران بتزويد أسوارها الخارجية بحجرات في أطرافها من الداخل لمثل هذه الغاية •

وقد يجد هذا التعليل لاسم الحائر مصداقه في أقوال رجال الدين منه قول ابن ادريس في كتاب « السرائر » بأن الحائر هو « ما دار سور المشهد والمسجد عليه » • ثم قضى الاستعمال بصورة تدريجية أن يطلق اسم الحائر على السور وما يتضمنه السور في داخله على سبيل اطلاق اسم الظرف على المظروف فعرف الكل بالحائر كما يفهم ذلك من أقوال المتأخرين مثل الطريحي

في «المجمع» بأن الحائر « ويراد به الحائر الحسيني عليه السلام وهو ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام » .

ولذلك ماكان يرد اسم الحائر ـ كما قلنا ـ الا في البعض من الروايات الواردة عن الصادق عليه السلام لا في كلها وذلك بصورة الاجمال والايجاز في جمل صغيرة مثل : « وكلما دخلت الحائر فسلم » أو : « كما قلت حين دخلت الحائر » التي وردت في رواية سعدان بن مسلم الكوفي من ثقاة الاصحاب [١]. اومثل : « فاذا أتيت باب الحائر » في رواية أبي الصامت[٢]. أو في مثل الجمل الواردة منها في رواية أبي حمزة الثمالي : « ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل [٣] ... ثم امش وقصر خطاك حتى تستقبل القبر [٤] ... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومىء اليهم أجمعين وتقول [٥] ... ثم در في الحائر وأنت تقول [٦] ... » .

وهذه الفقرة الاخيرة من رواية أبي حمزة الثمالي في آداب زيارة الحسين عليه السلام بأن على الزائر من بعد طوافه وزيارته للقبر المطهر تحت السقيفة أن يخرج من السقيفة ويقفه بحذاء قبور الشهداء في خارج السقيفة ويومىء اليهم أجمعين وهو يقول . ثم يدور بعد ذلك في الحائر ويقول كذا وكذا من الدعاء فان هذه الفقرة تؤيد ما ذهبنا اليه بأن الحائر هو ما كان يحيط بسقيفة قبر الحسين وبقبور الشهداء من جدار أو سور كان بمسافة عن المشهد ويدور حوله من جوانبه وأطرافه بحيث يتمكن الزائر من أن يدور في الحائر حول المشهد الشريف على وضع الرواق او الصحن بالنسبة الى الحرم

---

(١) كامل الزيارة ص٢١٩ . (٢) المصدر نفسه ص٢٢١ . (٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩ . (٤) المصدر نفسه ص ٢٣٠ . (٥) المصدر نفسه ص ٢٤٢ . (٦) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

المقدس في هذا اليوم .

وقد جرت العادة في هذا العصر ان يسمى البناء في مجموعه بـ « صحن الحسين » أو « حرم الحسين » ، تارة ، و « جامع الحسين » أو « مسجد الحسين » تارة أخرى ،و « الروضة الحسينية » حينا ، و « الحضرة الحسينية» حينا آخر وهي تعابير مستحدثة وجدت على مر الايام والعصور بالتدريج وما كانت معروفة في أول العهد ، ولذلك فانهم في القديم كانوا ينعتونه بـ « حائر الحسين » أو « الحائر الحسيني » فقط كما يدل عليه أقوال اللغويين والمؤرخين مثل قول « معجم البلدان » : « والحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه» أو مثل قول لسان العرب : « والحائر كربلاء » أو الصحاح : « ومنه الحير بكربلاء » الى غير ذلك من الاقوال الكثيرة .

أما اليوم ، فبخلاف ما كان عليه في دور الجحود من العصر الاموي الغاشم فقد كثرت الاوصاف والاسماء التي ينعت بها قبر الحسين عليه السلام بالتفخيم والاجلال بدل اسم الحائر المتواضع البسيط . فهو والمراقد المشرفة الاخرى لأئمة العرب الخالصين من آل هاشم بالنجف والكاظمية وسامراء يعبر عنها في العرف والرسميات بكلمة « العتبات المقدسة » اظهارا لما حازه أئمة الحق والهدى على مر الايام من الاحترام والتقدير والحب العميق في قلوب المسلمين كافة .

وبقي اسم الحائر قرونا عديدة علما لقبر سيد الشهداء ورد ذكره في كل قرن في كتب اللغة والتاريخ والحديث ، غير أنه أخذ شيئا فشيء بالافول والزوال التدريجي حتى أصبح لا ذكر له في الكتب الا نادرا ، ولا شيوع له في الافواه بتاتا ، فأصبح اليوم في خبر كان وأخواتها ولكن لماذا ومتى كان انقراضه ؟ ولعل آخر مرحلة من حياته هي ما ورد عنه في القرن الحادي عشر الهجري في « مجمع البحرين » للطريحي .

الفصل الرابع

الحائر والحير والتحقيق فى اسم الحير تاريخيا

وقد كانت كربلاء تسمى قديما بـ « الحير » كما سبق . والحير وان كان مخفف الحائر على ما يذهب اليه أهل اللغة كالحرث والحارث ، والمخفف يؤدي عادة نفس المعنى الذي يؤديه المخفف عنه ، ويقوم كل واحد منهما بدل الآخر بدون فرق أو تمييز ، غير ان العرف واستعمال التاريخ كأنهما خالفا القاعدة في هذا المورد لاختلاف ظاهر في مدلول اللفظين وكيفية اطلاقهما ، فخصص كل واحد منهما لمعنى غير الآخر وان تقارب مدلولهما في الاصل . لأن الحير أصبح في الاستعمال — حسب الظاهر — علما لمدينة كربلاء نفسها بينما صار الحائر علما لقبر الحسين عليه السلام ، كما يستفاد ذلك من اطلاق المؤرخين والجغرافيين لهما . فمن ذلك قول معجم البلدان : « الحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه . وأنهم يقولون الحير بلا اضافة اذا عنوا كربلاء » .

ومفاد هذا القول أن الحير بذاته علم لكربلاء نفسها دون الحاجة الى تعريفه بطريق الاضافة ، مما يدل بأن الحائر والحير وان كانا من أصل واحد وأحدهما مخفف الآخر الا انهما ليسا بمترادفين في الاستعمال ، وليس لهما مدلول واحد لأن الفرق بينهما في الدلالة كالفرق بين اسم كربلاء وبين اسم حرم الحسين في هذا اليوم ، فلعل من يقصد كربلاء دون أن يكون قاصدا لحرم الحسين وبالعكس .

ولم تتصف كربلاء بالحير — على ما يظهر — الا بعد أن تمصرت

وأصبحت مدينة تكونت فيها البيوت والاسواق ، والحوانيت والصرائف كما يمكن أن يستفاد هذا المعنى من كلمة الحير نفسها قياسا على ما أراد بها صاحب « معجم البلدان » من بناء الحير في قضية بختنصر مع تجار العرب بأنه : « جمع من ظفر به من تجار العرب وبنى لهم حيرا على النجف وحصنه ثم جعلهم فيه » .

وكما فسرت معنى الحير في هذا المورد « دائرة المعارف الاسلامية » الفرنسية بأن بختنصر « بنى هناك لتجار العرب الموجودين في بلاده حيرا أي محلا على نحو سوق محلي جمعهم فيه » .

ففي معنى الحير اذن ، على هذا الوصف ، مفهوم العمران والسكان ، ومعنى المدينة ذات الاسواق والتجمع . ويؤيد ذلك ما رواه صاحب معجم البلدان في وجه تسمية الحير بأن « تبعا الاكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم : حيروا به أي أقيموا به » .

ففي معنى الحير الاقامة والسكنى ومايتبعها من حياة وحضارة واسقرار .

وما أقربنا بهذا المدلول الاصطلاحي التاريخي لكلمة الحير من مؤداه اللغوي الذي يعطينا اللغويون بقولهم : « والحير بالفتح ، شبه الحضيرة ، والحمى ، والبستان ، ومنه الحير بكربلاء »[1] .

وفي كل هذه المعاني اللغوية لكلمة الحير تتغلغل روح الحياة والعمران ، والحضارة والحركة . ففي « الحضيرة » منها مفهوم التجمع واجتماع الاقوام ، وفي « الحمى » منها مدلول مايحتمى به ويدافع عنه في الملمات كالبيت والبلد والموطن ، وفي « البستان » منها مفهوم أرض أدير عليها جدار فيها الشجر والزرع على تعريف أهل اللغة ، ومثله بالطبع لايخلو من اناس يسكنونه

---

(١) راجع : « الصحاح » وغيره من المعاجم .

ويعيشون فيه . اما قولهم الاخير « ومنه الحير بكربلاء » اي من هذا النوع الحير الذي في كربلاء .

ومتى ما اطلق اسم « الحير » على كربلاء لابد وان كربلاء آنذاك كانت آهلة بالسكان وعامرة بالاسواق فمبدأعمران كربلاء قديما بالتجارة والسكان والاهلين كمدينة يقترن ـ حسب الظاهر ـ بمبدأ اطلاق اسم الحير عليها .

واذا ما أردنا أن نعرف مبدأ عمرانها الحقيقي ، وبدأ حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يجب أن نعرف على الاقل مبدأ اطلاق هذاالاسم عليها .

ولا نريد بقولنا هذا أن ننفي كل حياة أو حركة او تجارة أو عمران لكربلاء قبل تسميتها بالحير ، وانما المراد أن كربلاء اتصفت بالحير حين أن تمصرت فاصبحت مدينة ذات شأن ، لأن في الاخبار والروايات ما يدل على انها اتوا بزمن يسير من بعد الوقعة اصبحت محط الرحال ومحطة التجارة والقوافل نظرا لأهمية موقعها الديني ، وثانيا لوقوعها بين المناطق الغنية بالحاصلات والمنتوجات الزراعية ، ولما نالته سريعا من الشهرة الواسعة ومن اقبال الناس على زيارتها من كل حدب وصوب .

ومما جاء عن الحركة التجارية فيها بقليل من بعد وقعة الطف ما رواه سبط ابن الجوزي عن السدي بأنه قال :

« نزلت بكربلاء ومعي طعام للتجارة . فنزلنا على رجل فتعشينا عنده ، وتذاكرنا قتل الحسين عليه السلام ، وقلنا ما شرك أحد في دم الحسين الا ومات أقبح موتة . فقال الرجل : ما أكذبكم ، أنا شركت في دمه ، وكنت فيمن قتله وما أصابني شيء . فلما كان آخر الليل اذا بصياح ، قلنا ما الخبر؟ قالوا قام الرجل يصلح المصباح فأحترقت اصبعه ثم دب الحريق في جسده فأحترق . قال السدي فانا والله رأيته كأنه حممة » [1] .

---

(١) راجع : « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٢٩٧ .

وهذا الخبر صريح في أن كربلاء من بعد وقعة الطف صارت آهلة بالسكان والنفوس والبيوت ، وكانوا يتعاطون بالتجارة فيها . كما وتدل أخبار أخرى على شخوص خلق كثير من أنحاء البلاد الى كربلاء من بعد الوقعة بقليل ، وأن القبر المطهر كان « ظاهرا عامرا يقصده الناس للزيارة وقضاء الحوائج ، ويظهر منه المعجز الباهر فيشهده البر و الفاجر » .

وقد ورد في أصل نوادر علي بن أسباط وهو من أصحاب أبي عبدالله الصادق عليه السلام أن في العام الذي قتل فيه الحسين عليه السلام قصد قبره النساء العقم من أطراف البلاد حتى جاء الى قبره الشريف نحو مائة ألف امرأة فتخطين قبره الشريف فحملن كلهن وولدن »[1] .

ويظهر من هذه الاخبار أن بدأ العمران في كربلاء لم يتأخر بكثير عن حدوث الوقعة . ولكن متى ومن أي وقت صارت تعرف بالحير ؟ لعلهاسميت بالحير من أول عهدها بالعمران فسمتها العامة بهذا الاسم بالنظر الى السور الموجود فيها ، ثم لازمها هذا الاسم حتى صار علما لها في العصور الاولى من تاريخ الاسلام ، اذ نجد في أخبار الصادق عليه السلام اسم الحير فيأوائل القرن الثاني من الهجرة ، وقد رأينا فيما سبق أن الطبري في حوادث سنة ١٩٣ يعبر عن كربلاء أيضا بهذا الاسم في أواخر هذا القرن . ولكن لم يقدر له البقاء طويلا على ما يظهر كما قدر لاسم الحائر فأنقرض استعمال هذا الاسم وزال سريعا مع الزمن اذ لم يعد له ذكر بعد القرن الثالث والرابع من الهجرة .

---

(١) راجع : « نزهة اهل الحرمين » ص١٤ — وكتاب «خصائص الحسين» للشيخ جعفر التستري ص ١٦٠ طبع ايران ١٣٠٦ — و « بحارالانوار » ج ١٠ ص ٢٤٤ .

الباب الثالث

الحائر وشؤونه العامة

١ ـ الحائر ووصفه فى العصر الاول .
٢ ـ الحائر ومكانته الدينية السامية .
٣ ـ الحائر وأثره فى العالم الاسلامي .
٤ ـ الحائر ووضعه العام فى العصر الاول .
٥ ـ الحائر أرضه المباركة وتربته المقدسة .
٦ ـ الحائر مراسم اتيانه وآداب زيارته .
٧ ـ الحائر ومواسم زياراته .
٨ ـ الحائر وأول من سكنه من الاشراف العلويين .

الفصل الاول

الحائر ووصفه في العصر الاول

وكان الحائر في العصر الاول كما يتراءى للباحث الثاقب من خلال الاخبار والاحاديث هو بناء مربع الشكل يتراوح كل ضلع منه بين عشرين أو خمسة وعشرين مترا [1] ، يستقر بناؤه على قاعدة مستوية ترتفع بعض الشيء عن سطح الارض تبعا للأصول المتبعة منذ القديم في هذا القسم الجنوبي من العراق خشية تسرب الرطوبة الى أسس البناء . وتعلو من جوانبه الجدران المرتفعة الهندسية الشكل ، والمنظمة الهيئة ، وهي مطلية من خارجها بالكلس الابيض الناصع ، فيلمع للناظر عن بعيد كبيضة نعامة في وسط الصحراء . وفوق هذا البناء الجميل البسيط تستقر سقيفة تعلوها قبة هي أول قبة من قباب الاسلام الخالدة التي خيمت لأول مرة في الجانب الشرقي من الجزيرة العربية بين ضفة الفرات وحافة الصحراء في الاتجاه الشمالي .

وتخرج من وسط جدران الحائر ثغرتان ، احداهما نحو الجنوب وهي المدخل الرئيسي للحائر المقدس كما هو لحد اليوم ، والاخرى من جهة الشرق وهي المدخل الذي يصل بين الحائر وبين المدينة الى حيث مرقد أخيه العباس عليه السلام على مشرعة الفرات ، وقد زين حول كل مدخل منهما بالخطوط والنقوش البارزة تحمل الآيات القرآنية العظيمة بالكتابة الكوفية القديمة ، ولعل من بينها ، بل في مقدمتها تلك الناطقة بفضل الشهادة وخلود الشهداء :

---

(١) راجع الفصول السابقة في حدود الحائر ومساحته.

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)
لما لهذه الآية الكريمة من المناسبة الواقعية في مثل هذا المقام .

وقد ترك لنا الاقدمون في كتاباتهم لحسن الحظ بعض الشيء عن الحائر ووصفه في أوائل الربع الثاني من القرن الثاني من الهجرة مما يستطيع أن يصور الآن في أذهاننا بعض الفكرة عنه ولو عن بعد ، ومن ذلك ما ورد بطرق عديـدة عن الحسين ابن بنت ابي حمزة الثمالي من ثقـاة الشيعة ورجالهم [٢] ، بقوله :

« خرجت في آخر زمن بني أمية وأنا اريد قبر الحسين عليه السلام ، فأنتهيت الى الغاضرية ، حتى اذا نام الناس اغتسلت ، ثم أقبلت أريد القبر ، حتى اذا كنت على باب الحائر خرج الي رجل جميل الوجه ، طيب الريح ، شديد بياض الثياب فقال : انصرف فانك لاتصل .

فانصرفت الى شاطيء الفرات فآنست به ، حتى اذا كان نصف الليل اغتسلت ، ثم أقبلت اريد القبر ، فلما انتهيت الى باب الحائر خرج الي الرجل بعينه فقال :

ياهذا ، انك لاتصل .

فأنصرفت . فلما كان آخر الليل اغتسلت ، ثم أقبلت أريد القبر ، فلما انتهيت الى باب الحائر خرج الي ذلك الرجل فقال :

ياهذا ، انك لاتصل .

---

٢) أبو حمزة الثمالي هو فى الرعيل الاول من ثقاة أعيان الطائفة واركان حملة الحديث . خدم اربعة من الائمة الهداة وكفانا مؤنة التعريف له ما روي فى تشريفه عن الامامين الصادقين عليهما السلام من قولهما : ابو حمزة فى زمانه مثل سلمان فى زمانه . وقد توفى ابو حمزة فى سنة ١٥٠ هـ .

فقلت : فلم لا أصل الى ابن رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة؟ وقد جئت أمشي من الكوفة وهي ليلة الجمعة وأخاف ان أصبح هيهنا وتقتلني مسلحة [٣] بني أمية . فقال : انصرف فانك لاتصل .

فقلت : ولم لا أصل ؟ . فذكر السبب .

فانصرفت ، وجئت الى شاطيء الفرات حتى اذا طلع الفجر اغتسلت وجئت ، فدخلت فلم أر عنده أحد . فصليت عنده الفجر ، وخرجت الى الكوفة » [٤] .

ويستفاد من هذا الخبر كما يستفاد من غيره من الاخبار التي سيأتي بيانها بأن الحائر المقدس في الربع الاول من القرن الثاني من الهجرة وربما في القرن الاول أيضا ، كان ظاهرا ، عامرا ومعروفا يأتيه الزائرون من كل حدب وصوب ، وكان عليه بناء وسقيفة ، وقبة ومسجد [٥] ، وعلى مقربة منه سدرة عالية هي التي قطعها الرشيد في أواخر ايام حياته في عام ١٩٣ بعد أن هدم القبر المطهر وكرب موضعه ليغير بذلك مصرع الحسين عليه السلام حتى لايقف الناس على قبره .

---

(٣) المسلحة جمعها المسالح اي محل السلاح وهي المخافر القائمة فى العهد الاموي على حدود كربلاء لمنع الزوار من الوصول اليها ومعاقبتهم باشد العقوبات حتى القتل .

(٤) راجع : ١ ـ « كامل الزيارة » لابن قولويه ص ١١١ ـ ١١٢ . ٢ ـ كتاب « الاقبال » لابن طاوس ، ص ٥٦٨ طبع ايران ١٣١٢ . ٣ ـ « بحار الانوار » ج ١٠ ص ٣٠٠ . ٤ ـ «نزهة أهل الحرمين » ص ١٤ـ ١٥ طبع الهند ١٣٥٤ . ٥ـ « اعيان الشيعة » ج٤ ص ٣٠٣ .

(٥) راجع : ١ ـ « نزهة الحرمين » ص ١٥ . ٢ ـ « اعيان الشيعة» ج٤ ص ٣٠٤ .

وكان للحائر المقدس كما يظهر من ذلك نظام يقوم بتنظيمه وخدمته القَوَمة والسدنة ولا يدخله احد الا عن اذنهم . وكان السدنة في غاية النظافة تفوح منهم الروائح الطيبة مرتدين الملابس البيض للقيام بالخدمة . وكان الزائرون يتهافتون عليه ويتوافدون من الاماكن القريبة والنائية الى زيارة القبر المطهر وبعضهم يقطعون الطريق مشيا على الاقدام وسعيا على الرأس لاسيما في ليالي الجمعة كما يتبين من الخبر المتقدم الذكر . وخوفا من المسالح القائمة على حدود كربلاء في العهد الاموي الجائر لمنع الزوار من الوصول اليها ومعاقبتهم بالعقوبات الشديدة حتى القتل [٦] ، كان الزائرون من جانبهم يتخذون الغاضرية ملجأ ومحطا لرحالهم لقربها من كربلاء ، وكان الائمة ولاسيما الصادق عليه السلام يحثون شيعتهم على الاكثار من الزيارة للحائر المقدس ويأمرونهم بأتخاذ المقام بنينوى أو الغاضرية اذ يستدل من ذلك مما رواه أبو حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام بأنه قال : « اذا أردت الوداع بعد فراغك من الزيارات فأكثر منها ما استطعت ، وليكن مقامك بنينوى او الغاضرية . ومتى أردت الزيارة فأغتسل وزر زورة الوداع » [٧] .

فمن الغاضرية او نينوى بعد الغسل وفي جنح الظلام وستر الليل كان الزائرون يلجون أفراداً او جماعات الى داخل الحائر لزيارة القبر المطهر ، ثم ينصرفون قبل طلوع الشمس خوفا من مسالح الامويين .

ويظهر أيضا ان شاطيء الفرات في هذا العهد كان على مقربة من الحائر

---

(٦) راجع : « كامل الزيارة » لابن قولويه بهامش صحيفة ٢٦١ عما ورد فى الصفحة ١٧٦ منه عن زيارة الحسين الليثي الكوفى من ثقاة الشيعة لقبر الحسين عليه السلام .

(٧) المصدر نفسه ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

بأقرب ما هوعليه الآن [٨] ولهوضع جميل ومنظر بديع كان يأنس به الانسان.

وهذا هو الحائر خلف ستار الماضي السحيق على ما يتراءى منظره عن بعد في مستهل القرن الثاني من الهجرة أي باربعين سنة تقريبا من بعد الوقعة.

---

(٨) راجع أواخر حديث ابي حمزة الثمالي ويتبين منه ان قبر العباس(ع) كان يقع على شط الفرات حيث دفن على مسناته راجعه فى « نزهة أهل الحرمين » ص ١٦ و « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٤ .

الفصل الثاني

الحائر ومكانته الدينية السامية

كان الأئمة الاطهار ومن ورائهم الشيعة في كل عصر يعلقون أهمية كبيرة على الحائر المقدس وزيارته ، فكانوا يحثون الناس ويشجعونهم على الزيارة ولو مرة واحدة في الحياة لما يعدّون لهذه الزيارة من المثوبة والأجر الجزيل عند الله . فقد وردت في ذلك روايات كثيرة عن الأئمة وأظهر تلك الروايات ما ورد عن السجاد والباقر والصادق والهادي عليهم السلام .

فمن ذلك ماورد في فضيلة كربلاء وقدسيتها عن السجاد علي بن الحسين عليهما السلام انه قال . اتخذ الله أرض كربلاء حرما آمنا مباركا قبل أن يخلق الله ارض الكعبة ويتخذها حرما ، الى آخر الحديث [1] .

ومثل ذلك ما ورد عن ابي جعفر محمد الباقر عليه السلام : خلق الله تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين الف عام ، وقدسها وبارك عليها . فما زالت قبل خلق الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله افضل أرض في الجنة ، وافضل منزل ومسكن يسكن الله فيه اوليائه في الجنة [2] .

وهذا التقديس العظيم لكربلاء متأتٍ من ان بها مصرع الحسين ومدفنه كما ورد فيه عن الصادق عليه السلام انه قال :

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » لابن قولويه ص ٢٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٠ .

« إن الله اتخذ بفضل قبره [٣] كربلاء حرما آمنا مباركا قبل ان يتخذ مكة حرما » [٤] .

فان مصرع الحسين عليه السلام ومدفنه في هذه الارض هو الذي منحها هذا الشرف العظيم في الاسلام ، وفضلها على بقية بقاع الارض كما نطقت به روايات أخرى ومن ذلك ما ورد في هذا التفضيل عن الصادق عليه السلام انه قال :

« إن الله تبارك وتعالى فضل الارضين والمياه بعضها على بعض ، فمنها ما تفاخرت ، ومنها ما بغت ، فما من ماءٍ ولا أرض الا عوقبت لتركها التواضع لله حتى سلط الله المشركين على الكعبة ، وأرسل الى زمزم ماءً مالحا حتى أفسد طعمه . وأن ارض كربلاء وماء الفرات أول ارض وأول ماءٍ [٥] قدس الله تبارك وتعالى ، فبارك الله عليهما فقال لها تكلمي بما فضلك الله فقد تفاخرت الارضون والمياه بعضها على بعض ، قالت: أنا ارض الله المقدسة المباركة ، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر ، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دوني بل شكرا لله . فأكرمها الله وزادها لتواضعها وشكرها لله بالحسين عليه السلام وأصحابه . ثم قال أبو عبدالله

---

(٣) أي قبر الحسين عليه السلام .

(٤) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٦٧ .

(٥) وقد ذكر ياقوت في « معجم البلدان » في لفظة «الفرات» رواية عن الصادق (ع) في فضل ماء الفرات قال فيه : « وروي أن اباعبد الله جعفر بن محمد الصادق شرب من ماء الفرات ثم استزاد واستزاد ، فحمد الله وقال : نهر ماأعظم بركته ! ولو علم الناس مافيه من البركة لضربوا على حافته القباب. ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة الا برأ » . وقال صاحب المعجم ايضا قبل ايراده الرواية المتقدمة : والفرات في أصل كلام العرب اعذب

عليه السلام : من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله تعالى » [٦] .

ومثل هذه الروايات عن قدسية كربلاء وأفضليتها لكثيرة [٧] حتى وان البعض منها جاءت معبرة عنها بـ « قبة الاسلام » وذلك في رواية الصادق عن ابيه عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقبر ابني بأرض يقال لها كربلاء هي البقعة التي كانت فيها قبة الاسلام التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان » [٨] .

وكان الأئمة الاطهار يحثون الناس ويؤكدون على الشيعة زيارتها فكان الباقر عليه السلام يذكر فضيلة الغاضرية ويريد منها كربلاء ، ثم يؤكد عليهم وجوب زيارتها بقوله : «فزوروا قبورنا بالغاضرية »[٩] . ومثله ابنه الصادق عليه السلام فكان يقول لشيعته :

« زوروا كربلاء ولا تقطعوها ، فان خير اولاد الانبياء ضمنته ، ألا وان

المياه . قال عز وجل : « هذا عذب فرات ، وهذا ملح اجاج » .

(٦) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٧١ .

(٧) والعجب من الدكتور مصطفى جواد فقد انكر ان تكون كربلاء اقدس المدن عند الشيعة اذ كان المستر لونكريك قد كتب في الصفحة ٢٣٢ من كتابه « أربعة قرون من تاريخ العراق » بهذا المعنى مانصه : « حتى اذا وافت اخبار هجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم اياها وهي أقدس المدن الشيعية واغناها » فانكر الدكتور المزبور على المؤلف الانكليزي قوله هذا ورد عليه في هامش رقم (١) من نفس الصفحة بما نصه : « قول المؤلف (اقدس المدن الشيعية) فيه نظر لأن البلد الاقدس هو النجف الاشرف كما هو معلوم ـم . ج ـ » .

(٨) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٦٩ .

(٩) المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

الملائــكة زارت كربلاء ألف عام من قبل ان يسكنها جدي الحسين عليه السلام . وما من ليلة تمضي الا وجبرائيل وميكائيل يزورانه . فأجتهد يا يحيى —ويحيى من روي عنه هذا الخبر— ان لاتفقد من ذلك الموطن»[١٠] .

فبمثل هذه الروايات الصادرة عن اهل بيت النبوة كانت تتأيد في النفوس أفضلية كربلاء وقدسيتها فيندفع الزائرون في موجات عظيمة منذ العصر الاول الى زيارتها بغية كسب الاجر والثواب في الدارين .

فان ما كان يصدر من ناحية الائمة بهذا الصدد لم يكن مجرد اعلان عن أمر ، او محض دعاية لقضية . وانما كانت قضية حقيقة وعقيدة ثابتة ، وقضية اسلام وايمان راسخ ، لأن عمل الائمة أنفسهم أيضا كان على ذلك مما يدل على أن الرواية كانت منبعثة عن عقيدة واقعية راسخة ، وبعيدة كل البعد عن الشوائب النفسانية والانانيات البشرية ، فمن ذلك ماورد بالطرق المتعددة مرفوعا الى أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليه السلام وهو في مرضه فقد روى أبو هاشم الجعفري قال :

« بعث الي أبو الحسن عليه السلام في مرضه والى محمد بن حمزة . فسبقني اليه محمد بن حمزة فأخبرني أنه ما زال يقول : ابعثوا الى الحائر . فقلت لمحمد : ألا قلت أنا اذهب الى الحائر ؟ ثم دخلت عليه فقلت له : جعلت فداك ، انا أذهب الى الحائر . فقال انظروا في ذلك ، ثم قال : ان محمدا ليس له سر من زيد بن علي وأنا أكره ان يسمع ذلك ، قال فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال : ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر ؟ فقـدمت العسكر [١١] فدخلت عليه فقال لي أجلس حين أردت القيام ، فلما رأيته أنس

---

(١٠) المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

(١١) اي سامراء .

بي ذكرت قول علي بن بلال فقالي لي : ألا قلت له ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر وحرمة النبي (ص) والمؤمن أعظم من حرمة البيت ، وأمره الله ان يقف بعرفة انما هي مواطن يحب الله ان يذكر فيها . فأنا احب يدعى لي حيث يحب الله ان يدعى فيها والحائر من تلك المواضع » (١٢) .

وفي نقل آخر عنه قال : « دخلت أنا ومحمد بن حمزة على أبي الحسن عليه السلام نعوده وهو عليل ، فقال لنا : وجهوا قوما الى الحائر من مالي . فلما خرجنا من عنده قال لي محمد بن حمزة المشير : يوجهنا الى الحائر وهو بمنزلة من في الحائر ؟ قال فعدت اليه فأخبرته فقال لي : ليس هو هكذا ، ان لله مواضع يحب ان يعبد فيها وحائر الحسين عليه السلام من تلك المواضع » (١٣) .

وزيادة على ما ورد في الخبرين السابقين فقد قال أبو جعفر الهاشمي :

« دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو محموم عليل ، فقالي لي : يا أبا هاشم ابعث رجلا من موالينا الى الحائر يدعو الله لي . فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال لي وسألته ان يكون الرجل الذي يخرج ، فقال السمع والطاعة ولكنني أقول انه افضل من الحائر اذ كان بمنزلة من في الحائر ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحائر . فأعلمته عليه السلام ما قال . فقال لي : قل له كان رسول الله (ص) أفضل من البيت والحجر وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر ، وان لله تعالى بقاعا يحب ان يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحائر منها » (١٤) .

---

(١٢) كامل الزيارة ص ٢٧٣ ، ومزار البحار ص ١٤١ .

(١٣) كامل الزيارة ص ٢٧٣ ، ومزار البحار ص ١٤١ .

(١٤) المصدر نفسه ص ٢٧٤ ، ومزار البحار ص ٢٤١ .

فيظهر من كل ذلك ما كان يعلقه الائمة من الاهمية العظيمة على الحائر وانه أفضل واشرف بقعة من بقاع العالم حيث يحب الله تعالى ان يعبد ويدعى فيها ، وانـه يستجيب لمن دعاه في الحائر . وكان عمل الائمة انفسهم على ذلك أيضا .

الفصل الثالث

الحائر وأثره في العالم الاسلامي

إن قتل الحسين عليه السلام ودفنه في كربلاء تلك البقعة المقدسة جاء مغايرا لمرامي الحزب الاموي في قلب الاسلام [1] . فقد اصبح الحائر بعد

(١) فمن اعمال بني امية الكثيرة ومحاولاتهم لقلب الاسلام استنصار ابي سفيان وشعوره للروم ضد المسلمين يوم اليرموك فقد رآه عبد الله بن الزبير اذا كانت الروم ظهرت على المسلمين قال ابو سفيان : « ايه بني الاصفر » فاذا كشفهم المسلمون قال ابو سفيان : وبنو الاصفر الملوكملوك الروم لم يبق منهم مذكور (النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٢٩) . ثم دعوته للاموية واستهتاره بالمبادىء الاسلامية علنا يوم تولى عثمان ودخل عثمان داره فدخل عليه بنو امية حتى امتلأت بهم الدار ثم اغلقوها عليهم ، فقال ابو سفيان بن حرب : اعندكم احد من غيركم ؟ قالوا لا . قال يابني امية تلقفوها تلقف الكرة فو الذي يحلف به ابو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة فانتهره عثمان وساءه بما قال وامر باخراجه (شرح النهج ٢/٤٠٠) . ثم ولما افضى الامر الى عثمان بن عفان اتى ابو سفيان قبر حمزة فركله برجله ثم قال : ياحمزة ان الامر الذي كنت تقاتلنا عليه بالامس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من بني تيم وعدي (النزاع والتخاصم ص ٥٧) وان رسول الله (ص) لعن

الحجاز مركزا دينيا جديدا في قلب الامبراطورية الاسلامية الجديدة جاثيا ما بين ضفة الفرات وحافة الصحراء على مفترق الطرق من العالم القديم ليمد أنوار النبوة المشعة من المدينة المنورة الى بقية اقطار العالم من بلاد الهلال الخصيب وايران والهند وقفقازيا وتركستان والصين وغيرها ، ويجعل كربلاء وبيت الله الحرام في مصاف واحد ليدركها من لم يستطع ان يدرك ذاك من المسلمين الحقيقيين المتمسكين بتعاليم نبيهم العظيم ودينهم القويم .

وقد خطا الحائر بعد لأي في مستهل القرن الثالث من الهجرة بخطوة أوسع من ذي قبل في الاتجاه الشرقي نحو اقطار الشرق الاقصى فجثا حرم الرضا عليه السلام على أبواب الهند في خراسان ليبعث بهذا النور في الاتجاهات المختلفة الاخرى من مصدره المدينة وكربلاء . فضربت هاشم قبابها الذهبية العالية في انحاء العالم المعمور في الحجاز وعلى ضفة الفرات ودجلة والنيل [٢] والبحر الابيض المتوسط [٣] ، وعلى ضفاف نهر بردى في الشام [٤] ، وفي

ابا سفيان فى سبعة مواطن وآخرها يوم العقبة ليستنفروا برسول الله ناقته وكانوا أثني عشر رجلا منهم ابو سفيان (شرح النهج ج٢ ص ١٠٢) . واما اعمال بقية الامويين فهي اظهر من الشمس ولا مجال للاطالة فيها .

(٢) العتبات المقدسة فى العراق وجامع راس الحسين عليه السلام بالقاهرة .

(٣) وجامع راس الحسين فى عسقلان .

(٤) قبر الست زينب الكبرى بنت امير المؤمنين عليهما السلام خارج دمشق . ومقابر السيدة سكينة والسيدة فاطمة الصغرى بنات الحسين (ع) ، والسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع) ، ومقام رؤوس شهداء كربلاء الستة عشر ، وجميعها فى تربة باب الصغير بالشام . وكذلك قبر السيدة رقية بنت الحسين (ع) فى وسط الشام قرب السوق الكبير .

خراسان الى الهند [٥] ، والى الصين [٦] وبقيت أمية الطاغية مطمورة مخذولة وملعونة منكودة . ومع ان هذا الحزب قد توارى نهائيا غير ان آثاره بقيت مقتفية ، ومبادئه قائمة الى يومنا هذا .

ولعل في ما تقدم سر بعض ما جاء في الرواية التالية وهي رواية قدامة ابن زائدة المشهورة عن السجاد علي بن الحسين عليه السلام نذكرها بتمام سندها الطويل فيما يلي :

وروى ابو عبدالله أحمد بن محمد بن عياش قال حدثني ابو القاسم جعفر ابن محمد بن قولويه قال حدثني ابو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري (ره) قال حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال حدثنا محمد بن سلام بن يسار (أو سيار) الكوفي قال حدثني احمد بن محمد الواسطي قال حدثني عيسى بن أبي شيبة القاضي قال حدثني نوح بن دراج قال حدثني قدامة بن زائدة عن أبيه قال :

« قال علي بن الحسين عليه السلام : بلغني يا زائدة انك تزور قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام أحياناً . فقلت : ان ذلك لكما بلغك . فقال لي : فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لايحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الامة من حقنا .

فقلت : والله ما أريد بذلك الا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من

---

(٥) قبر الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) بطوس . وفى الهند « امام بارات » وهي أماكن مصغرة لحرم الحسين ومرقده يزورونها هناك .

(٦) وفى شمال الصين قبورا لائمة الشيعة وملوكهم من العلويين وقد جاء وصفها فى كتاب « الشيعة وفتحها الدول النسطورية فى آسيا الوسطى » تاليف المستشرق الافرنسي (ا . بلوشة) وتعريب مؤلف هذا الكتاب ولم يطبع بعد .

سخط ، ولا نكبر في صدري مكروه ينالني بسببه . فقال : والله ان ذلك لكذلك فقلت والله ان ذلك لكذلك ، يقولها ثلاثا وأقولها ثلاثا فقال : أبشر ثم ابشر، ثم ابشر، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون فانه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل ابي عليه السلام ، وقتل من كان معه من ولده وأخوته وسائر أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الاقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت انظر اليهم صرعى ولم يواروا . فعظم ذلك في صدري ، وأشتد لما أرى منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فقالت : مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وابي واخوتي ؟ فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع وقد ارى سيدي واخوتي وعمومتي وولدعمي وأهلي مضرجين بدمائهم ، مرملين بالعرى ، مسلبين لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد ، ولا يقربهم بشر ، كأنهم اهل بيت من الديلم والخزر .

فقالت : لايجزعنك ما ترى ، فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله الى جدك وابيك وعمك ولقد أخذ الله ميثاق اناس من هذه الامة لاتعرفهم فراعنة هذه الارض ، وهم معروفون في أهل السموات أنهم يجمعون هذه الاعضاء المتفرقة وهذه الجسوم المضرجة فيوارونها ،وينصبون بهذا الطف علما لقبر ابيك سيد الشهداء لايدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام . وليجتهدن ائمة الكفر واشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره الا ظهورا وأمره الا علوا . فقلت : وما هذا العهد وما هـذا الخبر ؟ .

فقالت : نعم ، حدثتني ام ايمن ان رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الايام فعملت له حريرة ، وأتاه علي عليه

السلام بطبق فيه تمر . ثم قالت ام ايمن فأتيتهم بعس [٧] فيه لبن وزبد . فأكل رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله (ص) وشربوا من ذلك اللبن ، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد ، ثم غسل رسول الله (ص) يده وعلي يصب عليه الماء . فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ، ثم نظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين نظرا عرفنا به السرور في وجهه ، ثم رمق بطرفه نحو السماء مليا ، ثم انه وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ، ثم خرّ ساجدا وهو ينشج [٨] . فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه وأطرق الى الارض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر . فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام ، وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله (ص) وهبناه ان نسئله حتى اذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة : ما يبكيك يارسول الله ؟ لا ابكى الله عينيك فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك . فقال يا أخي سررت بكم سرورا ما سررت مثله قط ، واني لانظر اليكم واحمد الله على نعمته عليّ فيكم اذ هبط عليّ جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تبارك وتعالى أطلع على ما في نفسك ، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهنأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لايفرق بينك وبينهم يحبون كما تحبى [٩] ، ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ، ومكاره تصيبهم بأيدي اناس ينتحلون ملتك ويزعمون انهم من امتك ، براء من الله

---

(٧) العس ، بالضم والسين المشددة القدح الكبير .

(٨) نشج الباكي نشيجا ، اي غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

(٩) الحبا وهو العطاء بلا من ولا جزاء .

ومنك خبطا خبطا [١٠] ، وقتلا قتلا . شتى مصارعهم ، نائية قبورهم ،خيرة من الله لهم ولك فيهم ، فأحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه . فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم .

ثم قال لي جبرئيل : يامحمد ، ان اخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمتك ،متعوب من اعدائك ثم مقتول بعدك يقتله أشر الخلق والخليقة ،واشقى البرية يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون اليه هجرته وهو مغرس شيعته وشيعة ولده وفيه على كل حال يكثر بلواهم ، ويعظم مصابهم . وان سبطك هذا واومأ بيده الى الحسين مقتول في عصابة من ذريتك واهل بيتك واخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على اعدائك واعداء ذريتك في اليوم الذي لاينقضي كربه ولا تفنى حسرته .وهي اطيب بقاع الارض واعظمها حرمة يقتل فيها سبطك وأهله ، وانها من بطحاء الجنة . فاذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الارض من أقطارها ، ومادت الجبال وكثر اضطرابها ، واصطفقت [١١] البحار بأمواجها ، وماجت السموات بأهلها غضبا لك يامحمد ولذريتك ، واستعظاما لما ينتهك من حرمتك ، ولشر ما تكافيء به في ذريتك وعترتك ، ولا يبقى شيء من ذلك الا أستأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك ..

ثم يبعث الله قوما من أمتك لايعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم ، ويقيمون رسما لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علما لأهل الحق وسببا للمؤمنين الى الفوز ، وتحفه

(١٠) خبط خبطا ضرب ضربا شديدا .

(١١) أصطفقت الاشجار اضطربت واهتزت .

ملائكة من كل سماء مائة ألف ملـك في كل يوم وليلة ، ويصلون عليه ، ويطوفون عليه ، ويسبحون الله عنده ، ويستغفرون الله لمن زاره ، ويكتبون أسماء من يأتيه زائرا من أمتك متقربا الى الله تعالى واليك بذلك .

وسيجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ، ويمحوا أثره ، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم الى ذلك سبيلا .

ثم قال رسول الله (ص) : فهذا أبكاني وأحزنني .

قالت زينب : فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله ابي عليه السلام ورأيت عليه أثر الموت منه ، قلت له : يا أبة حدثتني ام أيمن بكذا وكذا وقد أحببت ان أسمعه منك . فقال : يابنية ، الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد ، أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبرا صبرا ، فوالذي فلق الحبة ، وبرء النسمة ما لله على ظهر الارض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم . ولقد قال لنا رسول الله (ص) حين أخبرنا بهذا الحديث ان ابليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحا فيجول الارض كلها بشيطانه وعفاريته فيقول : يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا فيهلاكهم الغاية ، وأورثناهم النار الامن أعتصم بهذه العصابة فأجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم ، وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم ، ولا ينجو منهم ناج . ولقد صدق عليهم ابليس وهو كذوب انه لاينفع مع عداوتكم عمل صالح ، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر .

قال زائدة : قال علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهـذا الحديث خذه اليك ما لو ضربت في طلبه آباط الابل حولا لكان قليلا »[١٢] .

---

(١٢) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٦٠ — ٢٦٦ و ٥٨ ، و « البحار » ج ١٠ ص ٢٣٨ .

ويظهر من قول السجاد لزائدة في مقدمة هذا الحديث ولك « مكان عند سلطانك الذي لايحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا » .

أن زائدة هذا كان من الموظفين الكبار أو المقربين في الدولة الاموية وكان في عين الوقت من الشيعة المخلصين والرواة الموثقين . وهو زائدة بن قدامة الثقفي ، وقد عده الشيخ الطوسي (ره) في رجاله من أصحاب الباقر عليه السلام . وجاء عن ابنه قدامة بن زائدة في كتاب « منتهى المقال ، في أحوال الرجال » لأبي علي بن اسماعيل (ص ٢٤٦ طبع ايران ١٢٩٩) أن « قدامة بن زائدة الثقفي أسند عنه ق » أي انه من أصحاب الصادق .

وجاء في ترجمته أيضا في كتاب « تنقيح المقال » ما نصه : « وروى ابن قولويه في الكامل عن قدامة بن زائدة عن أبيه زائدة مسندا عن علي بن الحسين عليه السلام حديثا يتضمن ما يؤول اليه أمرهم بعد ما أصابهم بالطف ما أصابهم . والحديث متنه يدل على صحته كما تدل روايته على جلالة رواته وكمال ايمانهم ، الا أنه ليس في الحديث وصف قدامة بالثقفي ، لكن الظاهر أنه هذا فأنه ليس في رواتنا قدامة بن زائدة سواه » (١٣) .

---

(١٣) راجع : « تنقيح المقال » للمامقاني ج٢ باب القاف ص ٢٨ طبع النجف ١٣٥٠ هـ .

الفصل الرابع

الحائر ووضعه العام فى العصر الاول

كانت ترتسم على حدود كربلاء وأطرافها الحصون والمخافر او المسالح المدججة بالعتاد والسلاح والرجال في العهد الاموي لمنع الزائرين من الوصول اليها ، وكان المخالف يعرض نفسه في الغالب الى أنواع العذاب وحتى عقوبة الموت والقتل . وكانت المراقبة شديدة ، اذ كانت المسالح تراقب حركة المرور والسير في أطراف الحائر بشدة متناهية ، فقل من كان يستطيع من الزوار أو القادمين ان يفلت منها الا بطرق غير اعتيادية من الغاضرية ونينوى كما سنرى فيما بعد . وهذا الخوف الشديد من المسالح القائمة على الحدود كان مانعا قويا من الوصول الى الحائر في تلك العصور الغابرة .

وسبب المنع هذا كان امرا طبيعيا ، لان توجه النفوس وتهافت الناس على زيارة قبر ريحانة الرسول كان يغاير سياسة الدولة الاموية كل المغايرة حتى وانه كان يهدد كيان هذه الدولة التي ارتكبت بالامس جريمة محاربته وقتله فكيف بها اليوم ان تسمح وتتساهل مع الناس في أمر زيارة قبره ؟لان ذلك كان يؤل بالطبع الى ثبوت أحد الامرين : أحقية هـذا الشـهيد أو احقيتهم ، فكانوا يتجنبون المغامرة في أمر يكون فيه سقوط ملكهم وفضيحتهم، ولذلك فانهم كانوا يمنعون الزيارة ويشددون على الناس كل التشديد بأنواع العقوبات المختلفة على يد تلك المسالح القائمة في أطراف البقعة لهذا الغرض.

وبالرغم مما كان يناله الناس من الاذى والعذاب والتنكيل أو القتـل والموت في هذا السبيل لم ينقطع مع ذلك حبل اتصالهم بالحائر المقدس فكانوا

يأتونه افرادا وجماعات في الليل وتحت جنح الظلام يزورون ثم يرجعون الى اماكنهم قبل طلوع الشمس كما مر معنا في حديث الحسين بن بنت ابي حمزة الثمالي في الفصل الاول من هذا الباب ، وبقي هذا الوضع سائدا اكثر من سبعين سنة على ما يظهر أي من بعد الوقعة بقليل الى انقراض الامويين في عام ١٣٢ من الهجرة لان الاحاديث الواردة تنطق كلها بهذا المعنى كما سنرى .

ويظهر لنا الحائر في هذا العهد قائما في وسط هذه البقعة تحيط بها المسالح الاموية في دائرة من كل جانب وهي تراقب الحائر بعين يقظة عن بعد . وعندما يسدل الليل ستاره ترى اشباحا متحركة قد انتشرت في هذه البقعة من كل جانب هي اشباح الزائرين يأتون الى الزيارة افرادا او جماعات من الاماكن القريبة والبعيدة من الغاضرية ونينوى والقرى المجاورة ، ومن الكوفة وغيرها . وتجد الحائر في كل ليلة لا سيما ليالي الجمعة قد اكتظ بالوافدين فتجدهم بين باك وناع ، وبين ساجد وراكع ، وبين مقبل ومودع دموعهم جارية والعبرات تخنقهم وهم مغتبطون على ما كتب الله لهم من الثواب العظيم في هذه الزيارة ثم تجد الحائر في النهار من قبل طلوع الشمس بقليل قد استدلت ستائره وأغلقت أبوابه ، وبقي صائما الى الليل من كل داخل أو خارج ، وقادم او مغادر ، لانه عاد وصار تحت تلك المراقبة الشديدة من قبل المسالح الشاهرة السلاح على المارين . فانقطعت بذلك كل حركة بين هذه البقعة وغيرها .

هذه حالة الحائر ووضعه في العهد الاموي الجائر على ما يظهر لنا من خلال الاخبار والاحاديث الواردة .

ومهما بلغ من تشدد الامويين في منع الزيارة خلال السبعين سنة الاولى من تاريخ الحائر المقدس مع ذلك لم يتمكنوا من السيطرة لا على العوامل

الطبيعية ، ولا على معتقدات الناس الدينية وتمسكهم بآل بيت النبـوة . فكلما كان يشتد المنع كلما كانت تزيد المقاومة ، فان المقاومة الفعالة لتلك القوة الطائشة كانت آخر وسيلة تشبث بها المسلمون تجاه الفئة الطاغية ، فكم من أعناق ضربت ، ورؤوس قطعت ، واعضاء مثلت ، وأجسام علقت أو أجساد سحقت تحت حوافر الخيل ولم ينقطع الزائرون مع ذلك عن الزيارة لما انطوت عليه النفوس من العقيدة الثابتة في اعماق قلوبهم .

واما تلك العوامل القوية التي كانت تدفع بالنفوس بهذه الكيفية الى زيارة الحائر بالرغم من وجود تلك الموانع العظيمة فهي كثيرة ولكن أهم تلك العوامل هي :

الايمان والعقيدة الدينية الكاملة بآل بيت الرسالة .

حث الائمة وتشجيعهم الشيعة على الزيارة والدعاء في الحائر .

وجود الملاجيء القريبة للاختفاء كنينوى والغاضرية .

كان لهذه العوامل وغيرها مجتمعة ومتفرقة تأثيرها الفعّال على النفوس التواقة وتسهيل أمر زيارتها والتخاطر بها في مثل هذا السبيل ولو ادى بها الى القتل والموت . وسنبحث فيما يلي تأثير كل واحد من هذه العوامل على انفـراد .

اولا ــ ان عقيدة الناس بآل بيت الرسالة ورسوخ هذه العقيـدة في أعماق قلوب الامة كانت هي العامل الاكبر في تشييد الحائر واقامة شعائره والاقبال على زيارته من كل حدب وصوب كما يحدثنا التاريخ به . وقد دلت الآثار والاخبار الكثيرة على ان الناس كانوا يقصدون القبر المطهر منذ أول عهد للزيارة وقضاء الحوائج فيظهر منه المعجز الباهر للبر والفاجر[1] ، ومن

عهده للزيارة وقضاء الحوائج فيظهر منه المعجز الباهر للبر والفاجر[1]،ومن

ذلك ما رواه علي بن أسباط وهو من أصحاب ابي عبد الله الصادق عليه السلام في « أصل النوادر » ونقله عنه العلامة السيد حسن الصدر في كتابه « نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين » بأن « في العام الذي قتل فيه الحسين عليه السلام قصد قبره النساء العقم من أطراف البلاد حتى جاء الى قبره الشريف نحو مائة الف امرأة فتخطين قبره الشريف فحملن كلهن وولدن»[٣] .

فأصبح القبر المطهر والحائر مزارا عاما للمسلمين ، ورمزا خالدا للبطولة ، وشعارا دائما للتضحية ، وكعبة للاحرار والمفكرين اولئك الذين عاكستهم الظروف وخانتهم الاحوال او خالفتهم الايام فكانوا يؤمون قبره، ويعيدون ذكره ، ويعتبرون امره . فمنهم مصعب بن الزبير ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وقبلهم عبدالله بن الحر الجعفي بعد الوقعة بقليل في عام ٦١ من الهجرة ، والمختار الثقفي وأمثالهم الكثيرون .

ثانيا ـ حث الائمة الشيعة وتشجيعهم على زيارة الحائر والدعاء فيه .
اذ كان الائمة عليهم السلام من السجاد علي بن الحسين فصاعدا يحثون ويشجعون شيعتهم وأتباعهم ومواليهم على زيارة الحائر والدعاء فيه ، فكلما كان يشتد المنع من ناحية الامويين كلما كان يزداد الحث من ناحية الائمة على الزيارة وبيان ما لزيارته عليه السلام من الثواب العظيم والاجر الجزيل عند الله تعالى ، فكانت تتعارض وتتحارب هاتان القوتان ، قوة السياسة وقوة الدين وكان النصر في كسر قيود المنع لهذه الاخيرة بالنتيجة بما كان للدين من تأثير فعال على النفوس . وكان هذا الحث المستمر على الزيارة بمثابة المقاومة الفعلية تجاه المنع وقد انتصر الشيعة بالنتيجة على اعظم قوة ارهابية

---

٣) البحار ج ١٠ / ٢٤٤ و « خصائص الحسين » للشيخ جعفر التستري ص ١٦٠ .

عرفها التاريخ .

فما كانت تخلو مجالس الائمة من ذكر الشهيد وفضائله واللعن على خصومه واعدائه وقد مر معنا حديث قدامة بن زائدة الثقفي عن السجاد عليه السلام في الفصول المتقدمة .

وكان الباقر عليه السلام مثل أبيه في امر قضيتهم فكان يستهون الخطب ويثبت بأن الثواب على قدر الخوف في زيارة الحسين عليه السلام ، فمن ذلك ما رواه محمد بن مسلم عنه في حديث طويل قال :

« قال لي ابو جعفر محمد بن علي عليه السلام : هل تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ — قلت : نعم ، على خوف ووجل . فقال : ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف ، ومن خاف في اتيانه أمن الله روعته يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين وانصرف بالمغفرة وسلّمت عليه الملائكة ... »[٣] .

ثم كان عليه السلام يبين ما لزائر الحسين من حسنة في كل خطوة وهو ما رواه عنه سدير الصيرفي وهو من كبار صيارفة وتجار الكوفة في ذلك العصر ، فقال : « كنا عند ابي جعفر عليه السلام فذكر فتى قبر الحسين عليه السلام . فقال له ابو جعفر عليه السلام : ماأتاه عبد فخطا خطوة الا كتب الله له حسنة ، وحط عنه سيئة »[٤] .

وكأن المنع كان قداشتد في اوائل عصر الصادق على عهد هشام بن عبدالملك وذلك على أثر خروج زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ومقتله في عام ١٢١ من الهجرة فصاروا يشددون في المنع ويمثلون بمن وقع بأيدي

(٣) راجع : « كامل الزيارة » ١٢٧ رقم ٥ .

(٤) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٣٤ رقم ٧ .

المسالح من الزائرين كما يستنبط ذلك من رواية مسمع بن عبدالملك البصري فقد قال : « قال لي ابو عبدالله عليه السلام : يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ قلت : لا ، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة ، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم ان يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي . قال : افما تذكر ما صنع به ؟ قلت : نعم . قال : فتجزع ؟ قلت : إي والله واستعبر لذلك حتى يرى اهلي اثر ذلك عليّ ، فامتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي . قال : رحم الله دمعتك ، اما انك من الذين يعدون من اهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ، ويخافون لخوفنا ويأمنون اذا امنا »[٥] .

وهذا الخوف الذي كان يخامر النفوس ويساور القلوب كان ينقلب سريعا الى راحة وسكينة وطمأنينة بأحاديث الصادق الاكيدة عليه السلام فتحل العزيمة محل هذا الخوف الشديد من الامويين ومسالحهم فكان الناس بعد ذلك يسيرون نحو الحائر بشوق ولهفة متزايدة . فكانت تنعكس هذه الاحاديث في مختلف انحاء العالم الاسلامي تتناقلها الالسن والمحابر من بلد الى بلد فتثير الهمم وتهيج النفوس التواقة الى الزيارة من كل فج عميق من مختلف انحاء الجزيرة العربية ، ومن بلاد فارس وغيرها وهم يتحملون الصعاب والشدائد الجمة في هذا السبيل وقلوبهم خائفة وجلة الى حين العودة الى الاوطان . ومن ذلك ما رواه ابن بكير الارجاني من بعض مقاطعات ايران الجنوبية . وقد روى ابن بكير عن الصادق عليه السلام وقال :

« قلت له : اني انزل الارجان وقلبي ينازعني الى قبر ابيك ، فاذا

---

(٥) المصدر ١٠١ — ٦ .

خرجت فقلبي وجل مشفق حتى ارجع خوفا من السلطان والسعاة واصحاب المسالح . فقال يا ابن بكير، اما تحب ان يراك الله فينا خائفا ؟ اما تعلم انه من خاف لخوفنا اظله الله في ظل عرشه وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش ، وامنه الله من افزاع يوم القيامة ، يفزع الناس ولا يفزع ، فان فزع وقرّته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة »(٦) .

ويظهر ان العقوبة قد اشتدت بعد ذلك ولم تقف عند حد التمثيل بالزائرين من قطع الايدي والارجل او غيرها من الاعضاء ، بل تعدت الى فرض عقوبة الموت على المخالفين ليمنعوا بها كل حركة بين الحائر المقدس وبين بقية الاقطار الاسلامية . ولكن جاءت الاحاديث فيها ملطفة للقلوب بقدر ما جعلها الخوف مترجرجة مترعزعة بل واكثر ، مستهونة الخطب وكاشفة لها الصراط المستقيم في محاربة الجور . وهذا ما رواه صفوان الجمّال عن الصادق عليه السلام وقال:

«قلت : فما لمن قتل عنده يعني عند قبر الحسين جار عليه السلطان فقتله ؟ قال اول قطرة من دمه يغفر له بها كل خطيئة ، وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتى يخلص كما خلصت الانبياء المخلصين ، ويذهب عنها ما كان خالطها من ادناس طين اهل الكفر والفساد . ويغسل قلبه ويشرح ويملأ ايمانا ، فيلقى الله وهو مخلص من كل ما يخالطه الابدان والقلوب ، ويكتب له شفاعة في اهل بيته واخوانه ، وتتولى الصلوة عليه الملائكة»(٧) .

فبمثل هذه الاحاديث الصادرة عن الامام الصادق عليه السلام كانت تعود السكينة الى النفوس فتستهون الموت في سبيل الجهاد لله .

وقد بقي هذا الوضع الارهابي سائدا على الحائر المقدس وقاصديه

---

(٦) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٢٥ — ١٢٦ رقم ٢ .

(٧) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٦٥ — ١٦٦ رقم ٣ .

طوال العهد الاموي الجائر ، فالزائرون من جهتهم في حالة خوف ووجل ، والاحاديث تتوارد بالحث على الزيارة والاستخفاف بالموانع مهما كانت عظيمة فكانت الحرب اذن سجالا بين القوة والعقيدة ، وبين السياسة والدين، تلك السياسة التي تلاشت وتلك القوة التي اندحرت بالنتيجة في هذا الميدان امام العقيدة والدين ، فتقوضت بتلك المقاومة الفعالة اركان الدولة الاموية في عام ١٣٢ من الهجرة اي تماما في اواسط عصر الصادق الطويل . ولما اثمرت الجهود المتواصلة ، وانقشعت غيوم الارهاب موقتا في افق العالم الاسلامي بزوال كابوس الامويين وعهدهم تنفست كربلاء الصعداء مدة وجيزة من الزمن على عهد السفاح واوائل حكم المنصور الدوانيقي ، وبذلك عادت الامور الى مجراها فصار الزائرون يؤمون كربلاء من مختلف الانحاء حتى من الاصقاع النائية بكل حرية واختيار لما الفوا في زيارتها من البركة ، وقضاء الحوائج ، وحسن العاقبة كما يستنبط ذلك مما رواه موسى بن القاسم الحضرمي من زيارة رجل يماني اتى من اليمن ليزور الحائر المقدس في اوائل عهد المنصور في صيف سنة ١٣٧ من الهجرة واليك ما رواه موسى بن القاسم المذكور بهذا الصدد وقد قال :

« قدم ابو عبدالله عليه السلام في اول ولاية ابي جعفر فنزل النجف فقال يا موسى ، اذهب الى الطريق الاعظم فقف على الطريق ، فانظر فانه سيأتيك رجل من ناحية القادسية ، فاذا دنا منك فقل له ها هنا رجل من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوك ، فسيجيء معك .

قال : فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد ، فلم أزل قائما حتى كدت اعصى وانصرف وادعه اذ نظرت الى شيء مقبل شبه رجل على بعير . فلم أزل انظر اليه حتى دنا مني ، فقلت : ياهذا هاهنا رجل من ولد رسول

الله (ص) يدعوك وقد وصفك لي ، قال : اذهب بنا اليه . قال : فجئت به حتى اناخ بعيره ناحية قريبا من الخيمة ، فدعا به فدخل الاعرابي اليه ودنوت انا فصرت الى باب الخيمة اسمع الكلام ولا أراهم . فقال ابو عبدالله (ع) : من أين قدمت ؟ قال : من أقصى اليمن . قال : انت من موضع كذا وكذا ؟ قال نعم : انا من موضع كذا وكذا . قال : فبما جئت هاهنا ؟ قال جئت زائرا للحسين عليه السلام . قال ابو عبدالله عليه السلام : فجئت من غير حاجة ليس الا للزيارة ؟ قال جئت من غير حاجة الا ان أصلي عنده وازوره فاسلم عليه وأرجع الى أهلي فقال ابو عبدالله (ع) : وما ترون في زيارته ؟ قال : نرى في زيارته البركة في انفسنا واهالينا واولادنا واموالنا ومعايشنا وقضاء حوائجنا .

قال : فقال ابو عبدالله عليه السلام افلا ازيدك من فضله فضلا يا اخا اليمن ؟ قال : زدني يا ابن رسول الله . قال : ان زيارة الحسين عليه السلام تعدل حجة مقبولة زاكية مع رسول الله (ص) . فتعجب من ذلك . قال : أي والله ، وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله (ص) . فتعجب . فلم يزل ابو عبدالله (ع) يزيد حتى قال : ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله (ص) »[٨] .

فكان الزائر الى مثل هذا الوقت يأتي من وطنه الى زيارة الحائر راكبا فكانت الزيارة على الاكثر من نصيب الاغنياء والموسرين ولم تشمل الطبقات المتوسطة والفقيرة ممن كانوا يستطيعون تحمل نفقاتها الكثيرة فكانت تبقى محرومة من تلك الاجتماعات الاسلامية العظيمة التي كانت تنعقد في كربلاء حول قبر الحسين عليه السلام فيطلع البعض على حالة البعض الآخر من

(٨) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٦٢ — ١٦٣ .

اخوانهم من بقية الاقطار الاسلامية • ولاشتراك هذه الطبقات في درك فيض تلك المجتمعات العامة صارت تتوارد الاحاديث ناطقة بما للزائر ماشـيا من الثواب في كل خطوة كما رواه الحسين بن ثوير بن ابي فاختة قال:

« قال ابو عبدالله عليه السلام : يا حسين ، من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي صلوات الله عليهما ان كان ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحى عنه سيئة • حتىاذا صار في الحائر كتبه الله منالمفلحين المنتجبين ، حتى اذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين »(٩) •

ثم تزداد الحسنات وتقل السيئات بنسبة اكثر من ذلك في حديث جابر المكفوف عن ابي الصامت فقد قال :

« سمعت ابا عبدالله عليه السلام وهو يقول : من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا فقد كتب الله له بكل خطوة الف حسنة ، ومحى عنه الف سيئة، ورفع له ألف درجة • فاذا اتيت الفرات فاغتسل ، وعلق نعليك ، وامشحافيا، وامش مشي العبد الذليل ، فاذا اتيت باب الحائر فكبر اربعـا ، ثم امش قليلا ، ثم كبر اربعا ، ثم ائت رأسه فقف عليه فكبر اربعا ، وصلّ اربعـا واسئل الله حاجتك »(١٠) •

وقد أصبح الحائر في هذا العهد مجتمعا اسـلاميا عاما بفضل هـذه الاحاديث الواردة عن الصادق والائمة عليهم السلام والتي كانت تنعكس في الاقاليم الاسلامية القريبة والنائية تنقلها الالسن والرواة • فكان يجتمع في الحائر في المواسم المعينة الاغنياء والموسرين ، والفقراء والمستضعفين على حد سواء ولم يتخلف عن زيارته ممن استطاع اليه سـبيلا • حتى وانهـا

---

(٩) المصدر ص ١٣٢ •

(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٣ رقم ٤ •

اصبحت عادة مألوفة يزار في المواسم وغيرها . اذ كان لصدور هذه الاحاديث أثره الفعال في توجيه النفوس الى كربلاء وبكثرة متزايدة ، فصاروا يأخذون معهم الاطعمة اللذيذة والمآكل الطيبة والحلويات وغيرها كأنهم ذهبوا يقضون الوقت في الحائر ، فصدر فيه النهي الشديد اذ روى ابو المضا وهو من أهل الرقة من أعمال الشام على الفرات بأن الصادق عليه السلام قال له :

« تأتون قبر ابي عبدالله عليه السلام ؟ قلت نعم . قال : أفتتخذون لذلك سُفرا ؟ قلت نعم . فقال : اما لو أتيتم قبور آبائكم وامهاتكم لم تفعلوا ذلك . قلت : أي شيء نأكل ؟ قال : الخبز واللبن »(١١).

ومثله ما خاطب الصادق عليه السلام به الفضل بن عمرو بلهجة شديدة وهو يقول له :

« تزورون خير من ان لا تزورون ، ولا تزورون خير من ان تزورون . قال قلت : قطعت ظهري . قال : تالله ان احدكم ليذهب الى قبر ابيه كئيبا حزينا وتأتونه انتم بالسُفر ، كلا حتى تأتونه شعثا غبرا »(١٢) .

وعلى اثر صدور هذا النهي الشديد للزائرين من تطييب السُفر وأخذ المآكل اللذيذة معهم الى الحائر المقدس اراد البعض من الصحابة استعطاف الصادق عليه السلام في أمرهم فجاءه محمد بن مسلم يستعطفه في ذلك بان الزائر في طريقه الى زيارة الحائر يحتاج ما يحتاجه في طريق الحج من انواع الزاد ومختلف المآكل والمشارب . غير ان الصادق عليه السلام في جوابه يصف له ما يحتاجه الزائر في هذا السبيل من المُثل الاسلامية العليا من الاخلاق الكريمة ، والسجايا الرفيعة ، والخصال الحميدة التي يتميز بها

(١١) المصدر ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(١٢) المصدر نفسه ص ١٣٠ — ١٣١ .

المسلم الحقيقي من غيره . وقد قال محمد بن مسلم :

« قلت لابي عبدالله عليه السلام : اذا خرجنا الى أبيك أفلسنا في حج ؟ قال : بلى . قلت : فيلزمنا ما يلزم الحاج .قال : من ماذا ؟ قلت: من الاشياء التي يلزم الحاج . قال : يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك ، ويلزمك قلة الكلام الا بخير ، ويلزمك كثرة ذكر الله ، ويلزمك نظافة الثياب ، ويلزمك الغسل قبل ان تأتي الحائر ، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلوات على محمد وآل محمد ، ويلزمك التوقي لاخذ ماليس لك ، ويلزمك ان تغض بصرك ، ويلزمك ان تعود الى أهل الحاجة من اخوانك اذا رأيت منقطعا والمؤاساة ، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها ، والورع عما نهيت عنه ، والخصومة وكثرة الايمان والجدال الذي فيه يذهب الايمان .فاذا فعلت ذلك تم حجك وعمرتك ، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك واغترابك عن أهلك ورغبتك فيما رغبت ان تنصرف بالمغفرة والرحمة والغفران » (١٣) .

وقد بلغ الصادق عليه السلام بأن البعض عند زيارتهم للحائر المقدس يتخذونه مقاما يقضون فيه أياما وليالي فيضيقوا على الآخرين .فأصد الامر بعدم أتخاذه موطنا ، والانصراف عنه بعد الزيارة وطلب الحوائج . وهـذا ما رواه علي بن الحكم عن الصادق عليه السلام انه قال :

« إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين مكروب شعثا مغبرا عطشانا فان الحسين قتل حزينا مكروبا شعثا مغبرا جائعا عطشانا، وسله الحوائج وأنصرف عنه ولا تتخذه وطنا » (١٤) .

بهذه الاحاديث التي كان لها قوة التشريع السماوي نظم الصادق عليه السلام شؤون الحائر خير تنظيم . فانه في الخمسة والثلاثين سنة من عهده

---

(١٣) المصدر نفسه ١٣٠ — ١٣١ .

(١٤) راجع كامل الزيارة ص ١٣١ رقم (٣) .

الطويل مابين عام ١١٤ وعام ١٤٨ من الهجرة وجه عنايته التامة نحو الحائر المقدس وتنظيم مختلف شؤونه وأحواله ان كان هو في المدينة او في الكوفة او في الحائر نفسه . اذ كافح في هذه المدة الارهاب الاموي وقاوم قوتهم الغاشمة بكل وسيلة ، وحث النفوس من الاقطار القريبة والبعيدة على الزيارة بالرغم من المخاطر والموانع وهذب نفوس الزائرين من الادناس والارجاس ، ورسم حدود واجبات وتكاليف الوافدين والقادمين والزائرين نحو الحائر المقدس ولم يأل جهدا — حسب الظاهر — في تشييد وتوسيع وتحسين الحائر بقدر الامكان حسب ما كانت تسمح به الظروف والاحوال الراهنة بتوجيه الاموال اليه لهذا الغرض أو لانفاقها على الخدم والسدنة ، او الفقراء والمعوزين وابناء السبيل . فما كان يجري في الحائر شيء في هذا العهد الا بأمر او اشارة منه عليه السلام .

ثالثا — وجود نينوى والغاضرية على مقربة من كربلاء :

ومن العوامل المهمة في تسهيل أمر الزيارة وتردد الزائرين وجود نينوى والغاضرية بجانب الحائر . ومن هاتين القريتين فان الغاضرية بالاخص كانت تقع على الطريق فكان يستطيع الزائرون أن يجعلونها بالظاهر هدفا فيمكثون فيها حينا لابعاد شبهة المسالح الاموية عنهم ثم يلجون منها سرا الى الحائر المقدس . ولعل الزوار في طول العهد الاموي الجائر سلكوا هذا السبيل للتخلص من العيون والرقباء الصلفين ، وكان العمل على ذلك وجاءت الاحاديث مؤيدة له وبهذا المعنى ما رواه أبو حمزة الثمالي وهو من ثقاة الاصحاب ورواة الحديث عن الصادق عليه السلام انه قال :

« إذا أردت الوداع بعد فراغك من الزيارات فأكثر منها ما استطعت ، وليكن مقامك بنينوى أو الغاضرية . ومتى أردت الزيارة فأغتسل وزر زورة

الوداع ، فاذا فرغت من زيارتك فاستقبل بوجهـك وجهه والتمس القبر وقل ... » (١٥) .

والظاهر أن لنفس هذا السبب وردت أحاديث كثيرة في فضل الغاضرية فمنها ماورد عن الصادق عليه السلام بأن « الغاضرية تربة من بيت المقدس » (١٦) . كما وأن بعضها الاخرى جاءت معبرة عن كربلاء باسم الغاضرية ، ومنها ماورد عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وهو يحث الشيعة والموالـين على الزيارة واتخاذ الغاضرية مقاما لهم بقوله : « فزوروا قبورنا بالغاضرية » (١٧) .

والغاضرية قرية عامرة في الصدر الاول كانت تمتد على رقعة واسعة في الشمال الشرقي من كربلاء وفي طريقها كان يقع مرقد العباس عليه السلام حيث دفن على مشرعة الفرات في المحل الذي أستشهد فيه ، فيكون موقع الغاضرية ـ حسب الظاهر ـ في البساتين الواقعة اليوم على الجهة اليمنى من نهر الحسينية في الشمال الشرقي من المدينة بين تل الهيابي ومقام الامام جعفر الصادق و « أربع نهران » (١٨) وهي لاتزال معروفة باسم « الغاضريات »

(١٥) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٥٤ رقم ٢ .

(١٦) المصدر نفسه ص ٢٦٩ رقم ٧ .

(١٧) المصدر نفسه ص ٦٩ رقم ٦

(١٨) شيد هذا المقام اثرا تذكاريا في الموضع الذي كان يغتسل فيه الصادق عليه السلام في نهر الفرات قبل زيارته للحائر المقدس ، ولا زال المقام مشيدا لى حد كتابة هذه الاسطر ان قدر له البقاء بعد هذا من الهدم المنظم الذي يجري الآن للاماكن الاثرية وغير الاثرية في كربلاء على يد عبد الرسول الخالصي الذي جاء خلفا لطاهر القيسي متصرف كربلاء السابق .

واما « اربع نهران » فهو علم معروف بهذه الكيفية .

وهي جمع الغاضرية الاسم القديم لهذا الموضع . وكان يسكن الغاضرية قوم من بني عامر من بني أسد .

ومثلها نينوى فانهاكانت قرية عامرة تقع في شرق الحائر الى الجنوب الشرقي منه وقد ورد ذكرها أكثر من ذكر الغاضرية في التاريخ مما يدل على كثرة ارتياد الزائرين لها ، ومن هاتين الثغرتين كانوا يلجون الى الحائر المقدس سرا ثم يعودون اليهما في عهد الارهاب . وهذه العوامل الثلاثة هي أهم العوامل التي ساعدت الشيعة والموالين في العصر الاول على زيارة الحائر المقدس وتشييد معالمه واقامة شعائره الاسلامية : الايمان ، والاحاديث ، والملاجيء للزائرين .

وبالرغم مما تقدم من ارهاب الامويين واضطهادهم للوافدين فقد يمكن أن تعتبر السنين السبعين التي مرت على الحائر بعد وقعة الطف الى انقراض الدولة الاموية بأنها كانت نسبيا خير سنين مضت على كربلاء وعلى القبر المطهر في عهد كل من الدولتين الاموية والعباسية ، لأن الامويين وان حاربوا الحسين عليه السلام وصرعوه قتيلا فانهم اكتفوا بهذا الخزي فهادنوا قبره المطهر ولم يمسوه بسوء ، وان ما أقاموه من المخافر والمسالح حوله لمنع الزائرين ومطاردتهم لم يكن القصد منها —حسب الظاهر — الا لدرء الاخطار ومنع حدوث الثورات الداخلية التي كانت تحدث على أثر التجمع في الحائر كما كان من أمر كل من عبيدالله بن الحر الجعفي وسليمان بن صرد الخزاعي وغيرهم . ولكن العباسيين فكأنهم لعدم الاشتراك في دمه الطاهر اغتالوا القبر المطهر ، وسعوا في محوه وتطميسه مرارا عديدة حتى طالت عليهم الالسن وهجتهم الشعراء فقالوا :

تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثـله   هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ولعل السبب في عدم تعرض الامويين للحائر المقدس وتعرض العباسيين له كرات عديدة كان يرجع بالاصل الى موقع العاصمة في كل دور • ولا يغرب عن البال ما كان لعواصم الدولتين من القرب او البعد عن الحائر من التأثير الفعال على مقدراته ، اذ أن الشام لبعدها عن هذه البقعة في العصر الاموي ما كانت لتستطيع أن تشرف تمام الاشراف على ما يجري فيه أو من حوله كما كان الحال في بغداد في الدور العباسي وبغداد على مقربة منه • كما وأن التدابير المتخذة في الشام ضد الحائر ما كانت تصل دور التنفيذ حرفيا مثل ما كانت تنفذ الاوامر في العهد الثاني لنفس الاسباب ، ولذلك لم يصب الحائر في العصر الاموي كما أصيب في الدولة العباسية من الخراب والهدم • وهذا هو السبب لاعتداء العباسيين على قبر الحسين وحائره •

الفصل الخامس

الحائر أرضه المباركة وتربته المقدسة

أولا — فضيلة كربلاء وقدسية تربتها فى الاسلام

أعطيت كربلاء ، حسب النصوص الواردة ، بأكثر مما اعطي لأي ارض أو بقعة أخرى من المزية والشرف في الاسلام ، فكانت أرض الله المختارة ، وارض الله المقدسة المباركة ، وارض الله الخاضعة المتواضعة ، وحرما آمنا مباركا ، وحرما من حرم الله وحرم رسوله ، وقبة الاسلام التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان ، ومن المواضع التي يحب الله أن يعبد ويدعى فيها ، وأرض الله التي في تربتها الشفاء [١] فان هـذه المزايا وأمثالها التي اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لاي بقعة من بقاع الارض حتى

(١) كامل الزيارة ص ٢٦٧ — ٢٧٣ وغيره من كتب الحديث .

الكعبة كما يلاحظ .

وقد جرت على ألسنة الشعراء واقلام الكتاب من بعد الوقعة والى يومنا هذا المقارنة بينها وبين الكعبة ، وتفننوا بمختلف اساليب النثر والنظم في اثبات فضلها ، وقداستها ، وشرفها ، واستطالة أرضها على جميع الاقطار بالفضل والشرف . وهذه الارض المباركة لم تنل هذا الشرف العظيم في الاسلام الا بالحسين عليه السلام كما نص عليه الحديث : « وزادها في تواضعها وشكرها لله بالحسين (ع) واصحابه » [٢] .

وليس أحاديث فضل هذه التربة وقداستها منحصرة بأحاديث الائمة عليهم السلام ، اذ ان امثال هذه الاحاديث لها شهرة وافرة في أمهات كتب بقية الفرق الاسلامية عن طريق علمائهم ورواتهم وهي هذه التربة التي يسميها أبو ريحان البيروني في كتابه « الآثار الباقية » التربة المسعودة في كربلاء .

ومنها ما رواه السيوطي في كتاب « الخصائص الكبرى » طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٠ هـ في باب اخبار النبي (ص) بقتل الحسين وروى فيه ما يناهز العشرين حديثا عن أكابر ثقاتهم كالحاكم والبيهقي وابي نعيم وامثالهم من مشاهير رواتهم عن ام الفضل بنت الحارث وام سلمة وعائشة وأنس بن مالك واكثرها عن ابن عباس وأم سلمة وانس ويقول الراوي في أكثرها انه دخل على رسول الله (ص) والحسين في حجره وعينا رسول الله تهرقان الدموع وفي يده تربة حمراء ، فيسأله الراوي عن التربة فيقوله له : « أتاني جبرائيل فأخبرني ان امتي ستقتل ابني هذا واتاني بتربة من تربته حمراء وهي هذه » . وفي هذه وفي البعض الآخر منها : « انه يقتل بأرض العراق وهذه تربتها » وانه اودع تلك التربة عند أم سلمة زوجته فقال : اذا رأيتيها وقد

---

(٢) المصدر « ٢٧١ » .

فاضت دما فأعلمي ان الحسين قتل • وكانت تتعهدها أم سلمة حتى اذا كان يوم عاشوراء عام شهادة الحسين وجدتها قد فاضت دماً ، فعلمت ان الحسين قـد قتل [٣] •

فلا إختلاف اذن بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم في فضل كربلاء وقدسية تربتها ولم نشأ ان نتوسع في هذا الباب بأكثر مما يتصل بأصل الموضوع اتصالا وضعيا لولا ما كان قد أثاره البعض من مروجي الكذب والباطل ، ممن دأبهم الاختلاق وديدنهم البهتان والافتراء ، فرأينا من الواجب توضيح الامر وتنوير الاذهان ردا لأقوالهم ودحضا لمزاعمهم الباطلة المخالفة للحقيقة والواقع • فقد أثار نفر من الجاهلين لاغراض سياسية ومنافع ذاتية شبهة ضد الشيعة ، فأخذوا يوسعون هذه الشبهة حتى صوروها حقيقةواقعية فادخلوها في أذهان العوام تدريجيا حتى اصبحت عقيدة راسخة في نفوس الجهال والمستضعفين ، فتعدت من هؤلاء الى الاوربيين البسطاء فانعكست تلك الاباطيل الواهية في كتابات المستشرقين المساكين ، البعيدين كل البعد عن عوائد المسلمين واختلافاتهم المذهبية حتى أدت بالبعض من هؤلاء الاجانب الى الاستفسار عن هذه المسألة من المراجع الشيعية العليا في العراق بغية تدوين ما يدلون به من معلومات في دوائر المعارف البريطانية [٤] • فانظر الى أي درجة تبلغ الدعايات الضارة ، وعلى ذلك يجب أن يقاس ما بلغت اليه هذه الشبهة من السخافة •

وتلك الشبهة هي أن صور البعض من خصوم الشيعة وأعداء التشيع

---

(٣) راجع : « الارض والتربة » ص ٥٦ للعلامة الجليل كاشف الغطاء .

(٤) انظر ما جاء فى مقدمة كتـاب « الارض والتربة الحسينية » عن سبب تأليفه .

بأن « التربة » التي يستعملها الشيعة للسجود عليها في الصلاة بدعة ، وأنها بدعة في الدين . والحالة أن الامر بسيط جدا ، وعلى غاية البساطة ولا يستلزم أي طعن في أهم فرقة من الفرق الاسلامية التي أثبتت تمسكها بمبادىء الدين القويم وآل بيت الرسالة بأكثر من الغير . ولما انبثت دعوتهم الباطلة وانتشرت بين العوام ، وارتوت واينعت على مر الايام فأصبحت ثمرة ناضجة زادوها نغمة أخرى فقالوا أنها وثنية ، وأن السجود على تربة الحسين ضرب من عبادة الاصنام والاوثان دون ان يميزوا بين السجود على الشيء وبين السجود للشيء ، فسموا التربة أقراصا ، ودعوها ألواحا ، وحجرا و«حكرا» الى غير ذلك من اسماء وأوصاف خيالية أرادوا بها تقوية دعواهم وتأييد تقولاتهم الواهية .

ونحن خدمة للحقيقة ، وتنويرا للرأي العام الاسلامي المغلوب على أمره من قبل البعض من النفعيين والانتهازيين ، وارشادا للمستشرقين الاوربيين المخدوعين بأقوال المهوسين المضلين رأينا من الواجب أن نستعرض هذا الموضوع من الناحيتين التاريخية والدينية لما له من الصلة بتربة الحسين عليه السلام وقدسيتها فنستعرض بالترتيب عادة تقديس التربة في الاسلام ، ثم اختلاف الشيعة مع الآخرين في ما يجوز وما لايجوز عليه السجود ، ثم سبب اختيار تربة كربلاء وما ورد فيها من الحديث وعمل الائمة على ذلك ، ثم سر السجود على تربة الحسين من وجهة الدين مع بيان الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء ودفع شبهة المفترين على الشيعة لسجودهم على التربة .

ثانيا ــ عادة تقديس التربة والتبرك بها في الاسلام .

١ ــ تقديس التربة في الصدر الاول :

إن عادة تقديس التربة عادة اسلامية عريقة يرجع عهدها الى عصر النبوة

في أواسط عصر الدعوة كما يستفاد ذلك من مختلف كتب العامة عن طريق رواتهم ولا من ذلك شيء عن طريق رواة الشيعة . فكانت عادة تقديس تربة الشهداء ، وتربة قبر النبي (ص) ، وتربة بعض الصحابة أيضا والاستشفاء بها عادة مألوفة عند المسلمين الاولين . وقد نجد هذه العادة في المجتمع الاسلامي الاول منذ السنة الثالثة من الهجرة أي من بعد وقعة أحد بقليل ، فقد إستشهد فيها حمزة سيد الشهداء فصاروا يأخذون من تربته للاستشفاء ولمعالجة الصداع ،وكذلك كانوا يتبركون ويتداوون بتراب حرم الرسول(ص) كما يستفاد ذلك مما أورده السيد البرزنجي في كتابه « نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الاولين والآخرين » وننقلهحرفيا :

« ويجب على من أخرج شيئا من ذلك (أي من المدينة) رده الى محله ولا يزول عصيانه الا بذلك ما دام قادرا عليه . نعم استثنوا من ذلك مادعت الحاجة اليه للسفر به كآنية منتراب الحرم وما يتداوى به منه كتراب مصرع حمزة رضى الله عنه للصداع وتربة صهيب رضى اللهعنه لاطباق السلف والخلف على نقل ذلك » [٥] .

ولما توفى النبي (ص) صاروا يأخذون من تربته الشريفة كما يستفاد ذلك مما نقله السيد نور الدين الشافعي السمهودي في كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » بما نصه : « وعن المطلب قال : كانوا يأخذون منتراب القبر (يعني قبر النبي) فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم ، وكانت فيالجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت » [٦] . غير انـه لم يبين سبب منع عائشة لهم ، ألكون الدار ملكا لها ؟

---

(٥) نزهة الناظرين ، للبرزنجي ص ١١٦ طبع مصر ١٣٣٢ هـ .

(٦) راجع : « وفاء الوفا » للسمهودي ج١ ص ٣٨٥ طبع مصر ١٣٢٦ هـ .

وقد تعدت هذه العادة حدود تربة الشهداء والنبيين الى تربة البعض من الصحابة ، فكانوا يتبركون ويتداوون بتربة صهيب الرومي كما نصت عليه الفقرة الاخيرة مما رواه البرزنجي في « نزهة الناظرين » ولم يعرف السبب في تقديسه دون الآخرين .

٢ ــ تطور هذه العادة في العصور الوسطى :

ويظهر أن الامر لم يقف عند هذا الحد ، فتطورت هذه العادة بمرور الزمن تطورا تدريجيا فصاروا يتبركون بموضع أقدام الرجال ومن ذلك ما رواه الشيخ عبدالقادر الفاكهي في كتابه « حسن التوسل في زيارة افضل الرسل » بأن : « الشيخ الامام السبكي وضع حر وجهه على بساط دار الحديث التي مستها قدم النواوي لينال بركة قدمه وينوه بمزيد عظمته كما اشار الى ذلك بقوله :

وفي دار الحديث لطيف معنى — على بسط لها أصبو وآوي
لعلي ان انال بحر وجهي — مكانا مسه قدم النواوي »[٧]

ثم تجاوز الامر بالتدريج مع الزمن في تقديس الرجال الى التبرك بتراب الاقدام فحسب ، وانما التبرك حتى بالتراب الذي تطئه بغلة المتبرك به ، فمن ذلك ما نقله ابن خلكان في ترجمة جلال الدولة بن ألب ارسلان السلجوقي بقوله :

« وعاد الشيخ ابو اسحاق الى بغداد في أقل من اربعة اشهر ، وناظر إمام الحرمين هناك . فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين للوداع وأخذ بركابه حتى ركب ابو اسحاق فظهر له في خراسان منزلة عظيمة

المشار اليه فهو من اشهر رجال الجماعة .

---

(٧) راجع : « حسن التوسل » للفاكهي المطبوع بهامش كتاب « الاتحاف بحب الاشراف » في هامش الصفحة ٦٠ منه طبع مصر ١٣١٨ هـ . واماالنواوي المشار اليه فهو من اشهر رجال الجماعة .

وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته ويتبركون به » [٨].

فيظهر من ذلك كله ان اعادة تقديس التربة فالاستشفاء والتبرك بها من تربة الشهداء وتربة النبي (ص) وتراب الحرم ، حتى وتراب قبرصهيب الرومي كانت معروفة عند المسلمين الاولين في صدر الاسلام . ثم التبرك والاستشفاء بموضع اقدام الرجال من وضع حر الوجه وتمريغ الجبين على تراب وطئته اقدامهم طلبا لليمن والبركة ؛ أو ما هو أحط من ذلك بكثير وهو التبرك بتراب وطئته حوافر بغلتهم الى غير ذلك من الامور التي كانت مألوفة في العصور الوسطى وبعدها . فلا غرابة اذن في تقديس الشيعة لتربة الحسين عليه السلام وهي اطيب وازكى واتقى واطهر من أي تربة اخرى لما ورد فيها من حديث ولم يرد في غير تربة النبي وحمزة عند الآخرين شيء . وتربة الحسين هي من تربة الرسول الاكرم .

ثالثا ـ وجه الاختلاف بين الشيعة وغيرهم فى أمر السجود

ومسألة ما يجوز وما لايجوز السجود عليه

يرجع عمل المسلمين عموما في أمر السجود على الارض الى الحديث النبوي المأثور : « جعلت لي الارض مسجدا وطهورا » . فمرجع عمل الشيعة وغيرهم من المذاهب الاسلامية الاخرى هو هذا الحديث لا غيره . ولكن ما هو ، اذن ، وجه الاختلاف بين الفريقين ؟ ولماذا يختلفان في هذا الامر اختلافهم في بقية الفروع ؟ فيجوّز الاخرون السجود على كل شيء ولا تجوزه الشيعة الا على الارض وما ينبت من الارض غير المأكول والملبوس

---

(٨) وفيات الاعيان لابن خلكان ج٢ ص ١٢٢ طبع مصر ١٣١٠ هـ والشيخ ابو اسحاق الشيرازي هو صاحب كتاب « المهذب والتنبيه » .

والمعادن.ومنشأ هذا الامر ــ حسب الظاهر ــ هو اختلاف فقهي بين الفريقين في تأويل وتفسير الفاظ الحديث المتقدم . فيظهر الاختلاف بينهما في نقطتين أدتا الى الاختلاف بينهما في العمل ، الاولى اختلافهم في معنى الارض ومدلولها ، والثانية في المسجد وطهارته أي في موضع السجود وطهارته . وهذا ما سنبينه بالترتيب فيما يلي :

اولا ــ الاختلاف بين الفريقين في معنى الارض ومدلولها :

وهذا الاختلاف هو الذي أدى بالنتيجة الى اثارة حرب دينية من ناحية فرقة على فرقة اخرى من المسلمين لا يسع لاحد ان يناقش في صحة اسلامهم بأي وجه من الوجوه . والمسألة في حد ذاتها بسيطة جدا بحيث لو القيت على أقل طفل أو ابسط عامي من أي ملة أودين فهمها واستساغها فورا فكيف بالعقلاء والمثقفين والمهذبين من أهل الدراية والبصيرة في الامور الدينية والاجتماعية . فترى الشيعة ان القصد من «الارض» الوارد ذكرها في هذا الحديث هو ما يدل عليه لفظ الارض في اللغة ، وهي هذه الارض التي تفهمها ويفهمها كل انسان ، ولذلك لا يصح السجود عند الشيعة الا على الارض حسب منطوق الحديث ، والارض في نظرهم هي الارض وما ينبت من الارض غير المأكول والملبوس والمعادن لان المأكول والملبوس والمواد المعدنية وهي غير الارض والصعيد ، ولا يجوز السجود عليها لله.فعندالشيعة لايجوز السجود على الأبسطة والأقمشة والطنافس ، ولا على الحديد والفضة والذهب والنحاس وغيرها من المعادن ، ولا على الصخور المعدنية من الرخام والغرانيت وامثالها ، ولا على الاثمار والفواكه وما يأكله الانسان من الحبوب واللحوم وغيرها مما لا يطلق عليه اسم الارض او لا يشمله مفهوم الارض.

ولما لم يكن من السهل على كثير من الناس لا سيما العوام منهم فهم

مثل هذه المسألة الفقهية ذات الفروع الكثيرة لتمييز الاشياء التي يجوز السجود عليها عن التي لا يجوز السجود عليها فتخلصا من مشاكل هذه المسألة صاروا يسجدون على التراب وهو القدر المتيقن من الارض بلا إشكال. والى هذا الحد لم نجد ما يوجب التهويل على الشيعة وعلى سجودهم على التراب وهو الذي تتطلبه الآية الكريمة في أمر التيمم « فتيمموا صعيدا طيبا » .

واما المرحلة الثانية من هذه المسألة ، فانه لما لم يتيسر وجود التراب في كل مكان وذلك في عيشة متحضرة ، ولا حمله لانه يتناثر فاستلزم تحضير او استصحاب قطعة من التراب لهذا الغرض وكان الاصلح ان تكون من تراب مكبوس صلب لا يتفتت ولا يتناثر لتكون مسجدا وموضعا للجبهة حين السجود لله ، وهذه هي التربة المربعة أو المدورة او المستطيلة الشكل التي يسميها المخالفون بـ « الاقراص والالواح » طعنا وتقريعا وليست هي في الواقع غير قطعة من التراب وهو الصعيد الطيب اتخذها الشيعة مسجدا لان لا يقع السجود على غير التراب . واتخاذهم لها ليس الا تسهيلا للعوام الذين يصعب عليهم التمييز بين ما يجوز وما لا يجوز السجود عليه من الاشياء كما بيناه مع العلم ان الشيعة لا يقدسون تلك الالواح ولا يلتزمون بالسجود عليها كما يظنه المخالفون ، فيصلون على كل ما يشمله مصداق الارض من الاخشاب والورق وخوص النخيل وغير ذلك على حد سواء .

والى هذا الحد لم نجد ايضا في عمل الشيعة ما يوجب تقريعهم أو التهويل عليهم ، غير انهم يختلفون مع الغير في مفهوم لفظ «الارض» فيجوّز غيرهم السجود على كل شيء ولا يجوز الشيعة السجود لا على البُسُط والاقمشة والطنافس ، ولا على المعادن من الحديد والنحاس والذهب والفضة

وأمثالها ، ولا على الصخور المعدنية من الرخام والغرانيت وغيرها ، ولا على الطين المفخور بالنار ، ولا على الاثمار والفواكه وما يأكله الانسان من اللحوم والحبوب وغيرها ، ولا على الاوساخ وأمثالها لعدم اطلاق لفظ «الارض» عليها في العرف واللغة ، فعمل أي الفريقين أقرب الى الحقيقة والواقع ؟

ثانيا ـ اختلاف الفريقين في طهارة الارض والمسجد :

أما الاختلاف الثاني بين الفريقين فيدور حول عهارة المسجد في الصلاة، فترى الشيعة ان الارض التي يسجد عليها الانسان لله يجب ان تكون طاهرة بقرينة « مسجدا » من جهة ، وبقرينة «طهورا» صفة للارض من جهة اخرى في هذا الحديث ، بينما غيرهم يرى ان موقف المصلي يجب ان يكون طاهرا، ولكن بأي قرينة ؟ فالتزم الشيعة فيه بطهارة «المسجد» أي محل وضع الجبهة نظرا لما ورد في ذلك من احاديث عن الائمة ولذلك لم تجوّز الشيعة السجود على اذيال العباء لشبهة تلوثها على الارض بالاوساخ ، كما والتزم غيرهم بطهارة «الموقف» أي بطهارة محل وضع القدمين في الصلاة ولذلك لم يجوزوا وضع القدمين في حالة الصلاة على اذيال العباء لنفس الشبهة .

ولذلك صار الشيعة يختارون قطعة من تراب طاهر نظيف للسجود عليها لسببين : الاول ان يكون المسجد طاهرا ، والثاني ان يكون السجود على ما يجوز السجود عليه من مدلول الارض ومفهومها في الشرع والعرف واللغة . وكنا نريد ان نمر مرور الكرام على هذه المسائل كلها لولا ان دعت الحاجة اليه لتنوير الاذهان ودفع شبهات المفترين . وقد لا يفوت الخبير في تعليل هذه المسائل بأن الدين قد تلقاه الشيعة من منهل عربي محض لم يكن للموالي من الفرس أو غيرهم يد فيه حتى لا يدركوا مدلول الالفاظ الشرعية ومفاهيمها ، فانهم قد تلقوا الدين عن الائمة والائمة هم وُلد من هو افصح

من تكلم بالضاد ، وفهم الائمة للدين والتشريع هو غير فهم الموالي وحتى غير فهم العرب انفسهم له ، لانهم عرب وثانيا لان التشريع كان في بيتهم ، والتشريع في الحقيقة هو تراثهم ونتاج عقلية وتفكير هذا البيت العظيم ، لا تراث ولا نتاج عقلية أي بيت في العرب غير بيت النبوة • فكان الائمة اعرف بأمور التنزيل والتشريع من غيرهم فان الكثير من الصحابة مع اتصالهم بعهد النبوة وقربهم من النبي (ص) ما كانوا يعرفون اسرار التشريع كما كان يعرفه آخر واحد من أئمة الشيعة مع بعد الزمن بينه وبين المشرع لان التشريع تراثهم ونتاج عقلهم • وان الرومانيين في أمر الفقاهة كانوا يميزون بين الفقيه الروماني في روما وبين الفقيه في القوانين الرومانية من أهل المستعمرات • ولم ينقسم المسلمون في احكام الدين الا بعد ان اصبح الامر بيد الموالي فكل واحد منهم نظر الى الاسلام بمنظار عقليته العنصريةفكان هذا الانقسام والتفرق البغيض ، ثم زاده نفر من الضالين المضلين تصديعا وتفريقا • فيا ليت كان العود على الوحدة ونبذ الاختلاف •

رابعا — سبب اختيار التربة من تراب كربلاء

١ — تربة حمزة سيد الشهداء في أحد ومصيبته على المسلمين الاولين •
٢ — تربة الحسين سيد الشهداء في كربلاء ومصيبته على الاسلام •

وأما سبب اتخاذ التربة من تراب كربلاء او من تربة حائر الحسين عليه السلام لورود الحديث فيها عن الائمة ، وأصل هذه العادة يرجع الى عهد النبوة يوم وقعت تلك المعركة الهائلة في السنة الثالثة من الهجرة بين قريش والمسلمين في أحد وانهد فيها اعظم ركن للاسلام بقتل حمزة بن عبدالمطلب عم النبي (ص) وأخوه من الرضاعة وكان من أقوى حماة الاسلام فعظمت رزيته على الرسول الاكرم وعلى عموم المسلمين ولا سيما بعد ان

مثلت به هند بنت عتبة وأم معاوية بن ابي سفيان تلك المثلة الفظيعـة التي قطّعت بها أعضاء حمزة واستخرجت كبده فلاكته بأسنانها ثم لفظته وعملت من كبده أساور وخلاخل تزينت بها شماتة به لانه كان قد قتل اباها عتبـة رأس الكفر والشرك في يوم بدر الكبرى . وحزنا عليه وحدادا على مصيبته العظيمة أمر النبي نساء المسلمين بالنياحة عليه واقامة المآتم له ، واتسع الامر في تكريمه وتأبينه الى ان صاروا يأخـذون من تراب قبره فيتبركون بـه ويسجدون عليه لله تعالى ويعملون منه المسابح . وقد نصت بعض الاخبار ان فاطمة عليها السلام جرت على ذلك ولعلها كانت هي اول من بادر بذلك فاقتدى بها المسلمون . ولما استشهد حمزة في أحد لقب بسيد الشهداء وسمي أيضا اسد الله وأسد رسوله .

وهذا ما نص عليه المجلسي في «المزار» نقلا عن «المزار الكبير» باسناده عن ابراهيم بن محمد الثقفي عن ابيه عن الصادق عليه السلام قال : « ان فاطمة بنت رسول الله (ص) كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات ، وكانت (ع) تديرها بيدها تكبّر وتسبّح حتى قتل حمزة ابن عبدالمطلب فاستعملت تربته وعملت التسابيح فاستعملها الناس . فلما قتل الحسين (ع) عدل بالامر اليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية »(٩) .

وكان لقب « سيد الشهداء » في الاسلام يختص بحمزة بن عبد المطلب وكانوا يسجدون على تراب قبره ، ولما قتل الحسين عليه السلام انتقلت اليه هذه المرتبة العظيمة كما نقله العلامة الجليل كاشف الغطاء في كتاب « الارض والتربة » بما نصه :

« حمزة دفن في احد وكان يسمى سيد الشهداء ويسجدون على تراب

(٩) راجع : « مزار البحار » ص ١٤٦ .

قبره . ولما قتل الحسين عليه السلام صار هو سيد الشهداء وصاروا يسجدون على تربته » [١٠] .

ومما يلاحظ ان مزية الشهادة والتضحية في سبيل المثل الانسانية والاسلامية العليا انحصرت في هذا الفرع الناضر من الهاشميين ولم تتعد الى غيرهم فتسلسلت في فرعين فقط من هذا البيت وذلك في ولد علي وفاطمة . وكان عمل الشيعة في أمر السجود الى زمن الصادق عليه السلام كما يظهر من الاخبار بأنهم كانوا يحملون معهم «خُمرة» وهي عبارة عن مقدار من تراب في صرة أعدوها ليكون السجود على التراب حسب منطوق الحديث ، وقد جرى العمل على ذلك الى ان تطورت الخُمرة تطورا عمليا الى قطعة من تراب بصورة لوح حفظا له من التفتت والتبعثر وتسهيلا للمصلين .

ولما كان تعفير الجبين بالتراب والسجود على الارض فريضة لانه ابلغ في التواضع والخضوع لله ، وعلى ما ينبت من الارض من الورق والخشب وغيره سنّة [١١]، فلماذا لايكون السجود على انقى وأزكى واجود واطيب وأقدس تربة في الارض وهي تربة الحسين عليه السلام تلك التربة الزاكية الطيبة المقدسة التي نطقت بفضلها الاحاديث الكثيرة ؟ والانسان سائر في الحياة نحو الكمال على سنّة التدرج والتكامل ويتطلب من الاشياء أجودها وأحسنها . وتربة الحائر هي تلك التربة الفُضلى ، وتؤخذ هذه التربة من هذا الطين الاحمر الطاهر النظيف الذي يأتي به الفرات من أعالي الجبال وبطون الوديان فيتركه على جانبيه في ارض كربلا ، فيمتزج بتربة كربلاء الطاهرة النقية ومن هذا الطين المترسب في بطون النهر تصنع عادة تلك

(١٠) راجع : « الارض والتربة الحسينية » ص ٤٩ طبع النجف .

(١١) راجع : « الحدائق الناضرة » للبحراني ج٣ ص ١٧٨ .

الالواح المختلفة الشكل من الحجم الكبير والصغير التي تستعملها الشيعة في الصلاة . ولا غرابة في أي ناحية من هذا الامر ولا يجد الانسان الكامل ما يوجب هذا التهويل والتقريع على عملهم مع العلم بانه قلما تصنع هذه الالواح من تراب القبر ، بل وليس من الممكن صنعها لعدم امكان الوصول اليه وهو مشيد في بناء ضخم من الرخام والصخور المعدنية الصلبة. ولعله في العصور الاولى كان يمكن أخذ بعض الشيء من تراب الحائر او تراب الاطراف القريبة من القبر الشريف ، أما اليوم فليس ذلك الا من الامور المستحيلة وكل من يدعي ذلك هو بهتان وادعاء لا ظل له من الحقيقة . والقول بأنها من تربة القبر المطهر قول بالتقريب أي من تراب كربلاء وهذا هو الواقع .

خامسا ــ عمل الائمة فى السجود على تربة الحسين (ع)

من بعد وقعة الطف وحث الشيعة على ذلك

وأما العمل في العصر الاول فانهم كانوا يأخذون التربة من القبر المطهر أو من جوانبه القريبة ولا سيما من جانب الرأس الشريف . وأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو « زين العابدين الإمام الرابع من أئمة الشيعة الاثنى عشر المعصومين »[١٢] . فانه بعد ان فرغ من دفن ابيه وأهل بيته وانصاره أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف فشد تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة ومسبحة وهي التي كان يديرها بيده حين ادخلوه بالشام على يزيد فسأله ماهذه التي تديرها بيدك ؟ فروى له عن جده رسول الله (ص) خبرا محصله ان من يحمل السبحة صباحا ويقرأ الدعاء المخصوص لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وان لم يسبّح . ولما رجع الإمام

---

(١٢) راجع : « الارض والتربة الحسينية » ص ٥١ .

عليه السلام هو وأهل بيته الى المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها، ويعالج بعض مرضى عائلته بها . فشاع هذا عند العلويين وأتباعهم ومن يقتدي بهم »[١٢] .

فيظهر من ذلك ان السجاد هو أول من صلى على هذه التربة وجرى على ذلك الائمة من بعده ، اذ ان ابنه « الباقر الخامس من الائمة تأثره في هذه الدعوة فبالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها »[١٣] . وفي عهد الصادق عليه السلام فقد زاد على ذلك ونوه كثيرا بفضل هذه التربة وقدسيتها لشيعته وكان الشيعة في هذا الوقت قد تكاثروا فصاروا من أهم الطوائف الاسلامية في الثقافة والعلم والفنون المختلفة ، فكان يحثهم على التبرك بتربته والسجود عليها كما رواه الشيخ الطوسي قدس سره في «المصباح» عن معاوية بن عمار قال :

« كان لابي عبدالله الصادق عليه السلام خريطة من ديباج صفراء فيها تربة ابي عبدالله الحسين عليه السلام ، فكان اذا حضرته الصلاة صبّها على سجادته ويسجد عليه ، ثم قال : ان السجود على تربة ابي عبدالله عليه‌السلام يخرق الحجب السبع »[١٤] . وكان هذا عمل الصادق (ع) طول حياته ، وقد روى صاحب «الوسائل» عن الديلمي قال : « كان الصادق عليه‌السلام لا يسجد الا على تربة الحسين عليه السلام تذللا لله واستكانة اليه »[١٥] .

---

(١٢) المصدر نفسه ص ٥٠ ــ ٥١ .

(١٣) المصدر ص ٥٢ .

(١٤) « مصباح المجتهد » للطوسي ص ٥١١ طهران ١٣٣٨ و « المزار »

(١٥) راجع : « الارض والتربة » ص ٥٣ .

وقد بقيت الائمة من ولده على ذلك يحركون عواطف شيعتهم ويحفزون هممهم ويوفرون لهم الدواعي الى السجود عليها والالتزام بها لما كانوا يذكرون في أحاديثهم من الاجر الجزيل والثواب العظيم لمن يتبرك بها ويواظب عليها ، فالتزمت الشيعة بها هذا الالتزام في جميع الادوار والى يومنا هذا مع مزيد الاهتمام وعظيم الاعتناء . ولم تمض غير مدة يسيرة ـ حسب الظاهر ـ حتى صارت الشيعة تصنع من هذه التربة أو على الاكثر من تربة كربلاء الواحا يحملونها لوقت الصلاة كما هو المتعارف الى اليوم ، اذ نجد لهذه الالواح المصنوعة من تربة الحائر سندا تاريخيا يرجع الى اواسط النصف الثاني من القرن الثالث من الهجرة أي الى عصر الامام الثاني عشر الحجة بن الحسن عليه السلام .

فقد روى الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» عن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري عن صاحب الزمان عجل الله فرجه انه كتب اليه يسأله عن السجود على لوح من طين القبر هل فيه فضل ؟ فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك وفيه الفضل [١٦] .

ومثل ذلك ما ورد عنه عليه السلام ايضا في فضيلة التسبيح بتربته وهو ما رواه الشيخ في «التهذيب» عن نفس الراوي محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري قال : « كتبت الى الفقيه اسأله : هل يجوز ان يسبّح الرجل بطين القبر وهل فيه فضل ؟ فأجاب : وقرأت التوقيع ومنه نسخت ، تسبح به فما من شيء من التسبيح أفضل منه .. » [١٧] .

والتوقيع المشار اليه في هذا الخبر هو ما كان يصدر من الاجوبة أو

(١٦) المصدر ص ٤٤ والمزار ص ١٤٦ .

(١٧) راجع : « الحدائق الناضرة » للبحراني ج٣ ص ١٧٩ .

الاوامر للشيعة من الناحية المقدسة أي من ناحية الامام الثاني عشر عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى كما هو معلوم .

سادسا — سر السجود على تربته عليه السلام

أما السر في اختيار التربة من القبر المطهر او الحائر أو كربلاء على الاكثر للسجود عليها في الصلاة ، فعدا ما ورد في فضلها وقدسيتها ، وعدا كونها أطيب وازكى واتقى واطهر وأقدس من أي تربة اخرى ، وعدا ما ورد في فضل السجود عليها لله تعالى من خرق الحجب السبع ، وعدا ذلك مما ذكر أو لم يذكر فلعل السر فيه ايضا من بعض النواحي الروحية ان يتذكر المصلي في معراجه في الاوقات الخمس ما اصاب الاسلام والدين من قتل الشهيد بن الشهيد وابي الشهداء على يد تلك الفئة الباغية التي ما برحت تكيد للدين والمسلمين في جاهليتها واسلامها .

اذ ان في الاولى ارتكبت قتل حمزة سيد الشهداء والتمثيل به أفظع تمثيل فانهد بقتله أعظم ركن للاسلام وقد حاولوا بذلك اقتلاع الدعوة من جذورها ، فاتخذ المسلمون تربته شعارا يتبركون به ويستشفون بها تخليدا لذكراه في الاسلام . وفي اسلامها أقدمت تلك الفئة على قتل الشهيد لاقتلاع جذور النبوة اذ لم يبق على وجه الارض يومئذ سليل للنبوة غير الحسين عليه السلام ، وبقتله سيقضى في زعمهم على الدعوة الاسلامية والنبوة في آن واحد . ولما قتل الحسين ظلما وعدوانا اتخذ المسلمون تربته شعارا يسجدون عليها لله تعالى فيتذكرون ان الصلاة بعد الحسين قامت على تضحية الحسين بنفسه وأهله وذويه على ساحة المجد والشرف بأرض كربلاء .

فكلما سجد المصلي لله تعالى على هذه التربة في مشارق الارض ومغاربها اخترقت امام بصره وبصيرته تلك الحجب المادية الكثيفة التي تحجب بينه

وبين الحقيقة وما الصلاة الا معراج المؤمن من حضيض المادة الى سماء الحقائق ، فيتمثل امامه مصرع الحسين ، ويتذكر مصابه ، ويتصور ما حل بالاسلام من موجة كفر وطغيان ، فيسجد لله شكرا على تربته الطاهرة المقدسة بأن الحسين لولاه وتضحيته لما كان يتنعم أحد بنعمة الاسلام اذ ما كان يبقى على وجه البسيطة للاسلام ذكر او خبر .

والى مثل هذا الرأي يذهب احد اساطين العلم في هذا الوقت في سر السجود على تربة الحسين عليه السلام بقوله : « ولعل من جملة المقاصد السامية أن يتذكر المصلي حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الامام نفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ وتحطيم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد . ولما كان السجود أعظم اركان الصلاة وفي الحديث (أقرب ما يكون العبد الى ربه حال سجوده) ناسب ان يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية اولئك الذين وضعوا اجسامهم عليها ضحايا للحق ، وارتفعت أرواحهم الى الملأ الاعلى ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع ، ويحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة . ولعل هذا هو المقصود من ان السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر »[١٨] .

ثم يصف مزايا هذه الارض الطبيعية وما كان لها من المكانة والحرمة عند الامم القديمة قبل الاسلام بقوله : « وان اسمى تلك البقاع وانقاها تربة ، واطيبها طينة ، وازكاها نفحة هي تربة كربلاء ، تلك التربة الحمراء الزكية كانت قبل الاسلام قد اتخذت نواويس ومعابد ومدافن للامم الغابرة كما يشعر به كلام الحسين عليه السلام في احدى خطبه المشهورة حيث يقول : « وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء — ص ٣٧ » .

---

(١٨) راجع : « الارض والتربة الحسينية » ص ٤٢ — ٤٣ .

ثم يستمر في التعليل بأن كيف تسامت هـذه التربة بانضمام شـرفها الجوهري الى طيبها العنصري فأصبحت بذلك أشرف بقاع الارض بالضرورة والفطرة بقوله : « أليس من صميم الحق والحق الصميم ان تكون اطيب بقعة في الارض مرقدا وضريحا لاكرم شخصية في الدهر ؟ نعم ، لـم تزل الدنيا تمخض لتلد أكمل فرد في الانسانية وأجمع ذات لاحسـن ما يمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية ، واسمى روح ملكوتية في اصقـاع الملكوت وجوامع الجبروت ، فولدت نورا واحدا شطرته نصفين : سـيد الانبياء محمدا ، وسيد الاوصياء عليا ، ثم جمعتهما ثانيا فكان الحسين مجمع النورين وخلاصة الجوهرين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : حسين مني وانا من حسين . ثم عقمت ان تلد لهم الانداد أبد الآباد . واذا كان من حق الارض السجود عليها ، وعدم السجود على غيرها ، أفليس من الافضل والاحرى ان يكون السجود على أفضـل واطهر تربـة من الارض ؟ وهي التربة الحسينية ، وما ذاك الا لانها أكرم مادة ، وأطهر عنصرا ، وأصفى جوهرا من سائر البقاع ، فكيف وقد انضم شرفها الجوهري الى طيبهـا العنصري ، ولما تسامت الروح والمادة ، وتساوت الحقيقة والصورة صارت هي أشرف بقاع الارض بالضرورة كما صرح بذلك بعض الافاضل من كتاب هذا العصر[١٩] . وشهد به الكثير من الاخبار والآثار واليه اشار السـيد قدس سره في منظومة الفقه الشهيرة بالبيت المشهور :

ومن حديث كربلا والكعبة   لكربلا بان علو الرتبة »[٢٠]

---

(١٩) هو العلائلي فى كتابه « سمو المعنى » . والعقاد فى « ابو الشهداء » ص ١٥٤ .

(٢٠) راجع : « الارض والتربة » ص ٣٨ — ٤١ .

سابعا ــ خلاصة البحث ودفع شبهة المفترين

وبيان الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء

اما المخالفون وتهويلهم على الشيعة في أمر السجود على تربة الحسين عليه السلام فيظهر انهم لم يميزوا مع الاسف تلك المسألة الدينية البسيطة في الفرق بين السجود للشيء وبين السجود على الشيء ، فانهم لم يميزوا بينهما أو تعمدوا ان لا يميزوا بين الحالتين لاغراء العوام والجهال وحملهم على اظهار العداء للشيعة ليؤدي الحال الى التفرقة بين صفوف الامة كما ارادوه ، وهذا أتعس وانكى مما لو كانوا يجهلون المسألة لان تجاهلهم ادى الى صدع الوحدة وتفريق الكلمة . مع العلم ان السجود في كل حال هو لله تعالى وحده ان كان على التراب أو على البسط والطنافس الحريرية فان السجود له وحده على كل حال . غير انه ابلغ في التذلل والاستكانة الى الله اذا كان على التراب لان السجود على التراب فريضة ، وعلى غير التراب سنّة والفرق ظاهر بين الفريضة والسنة في اداء الاعمال الدينيـة ، وكان الصادق عليه السلام « لا يسجد الا على تربة الحسين عليه السلام تذللا لله واستكانة اليه »[٢١] وكم لسجوده من الفضل عند الله على تربة صرع عليها جده الحسين وهو يقدم تلك التربة الى الله ويسجد عليها شكرا له علـى قضاه صابرا محتسا ، وفي ذلك منتهى الخشوع والرضا . وعلى ذلك ايضا عمل الشيعة صابرين محتسبين على محن كثيرة .

فالسجود هو لله تعالى ، وهل يمكن ان يقال بأن السجود على البسط الحريرية هو سجود للبسط ، كذلك لا يمكن ان يقال بان السجود على تربة الحسين هو سجود للحسين لان الحسين ليس بمعبود وانما هو عبد من عباده الصالحين وفي السجود على تربته سجود للواحد القهار لا لشيء آخـر كما

(٢١) الارض والتربة ص ٥٣ نقلا عن « الوسائل » .

اراد ان يصوره المغرضون في اذهان العوام ، وكفاهم بهذا جوابا ان كانوا يؤمنـــون .

واليك ما يقوله علم من اعلام الدين والعلم في هذا العصر بهذا الصدد «ومن السخافة او العصبية الحمقاء قول بعض من يحمل اسوأ البغض للشيعة ان هذه التربة التي يسجدون عليها صنم يسجدون له ، هذا مع ان الشيعة لا يزالون يهتفون ويعلنون في السنتهم ومؤلفاتهم ان السجود لا يجوز الا لله تعالى ، وان السجود على التربة سجود له لا سجود لها . ولكن اولئـــك الضعفاء من المسلمين لا يحسنون الفرق بين السجود للشيء والسجود عـــلى الشيء ، السجود لله عز شأنه ولكن على الارض المقدسة والتربة الطاهرة ، وسجود الملائكة كان لله وبأمر من الله تكريما لآدم . نعم ، قد صار السجود على التربة الحسينية من عهد قديم شعارا شائعا لهذه الطائفةالشيعية يحملون ألواحها في جيوبهم للصلاة عليها ويضعونها في ســجاداتهم ومســاجدهم ، وتجدها منثورة في مساجدهم ومعابدهم . وربما يتخيل بعض عوامهم ان الصلاة لا تصح الا بالسجود عليها ــ الارض والتربة ص ٤٧ــ٤٨ » .

ومع ذلك كله فانه لمن الخطل الظن بأن الشيعة يلتزمون ذلك او يعتبرون بأن الصلاة لا تصح الا عليها . وما أشبه قول المفترين من بعض نواحيـــه بلزوم تحريم كل ما يحصل للانسان من تدرج وتقدم نحو الكمال وما ذلك الا مبلغ ادراك من يجهل الحياة ومقتضياتها الضرورية .

وقد ذهب بعض هؤلاء المخدوعين الى النجف الاشرف فقصدوا أحد رجال العلم المعروفين ، فسألوه اثناء الحديث عن «لوح التربة» الذي تستعمله الشيعة في الصلاة زاعمين بأنهم سيحصلون على معلومات تساعدهم على تأييد تقولاتهم الباطلة ضد الشيعة ، فأدرك الشيخ ما أضمروه ، فأجابهم بجواب عملي بسيط مقنع . فأخذ لوحا من التربة فقبّله اولا ووضعه على جبينـــه

ورأسه وقال : احترمه لكونه موضع الجبهة حين السجود لله تعالى . ثم سحقه برجله وقال : لانه قطعة من التراب لا غير . فخابت ظنون القوم ولم يحيروا جوابا . ولم نشأ ان نذكر اسماء هؤلاء الدساسين بين صفوف الامة.

وقبل ذلك حوالي عام ١٩٣٢ — ١٩٣٣ زار كربلاء المستر رايلي وكيل مستشار المعارف اذ ذاك يصحبه سكرتير الوزارة وكان الرجل بالاصل قسا يتتبع مثل هذه الامور ولا سيما في بغداد كانوا قد ادخلوا في ذهنه بعض المسائل ، فعندما كان يتجول في أسواق كربلاء وصل الى حانوت لبيع الترب على الزائرين ، فسأل السكرتير مستغربا كأنه لا يعرف ذلك : ما هذا الذي يبيعونه في هذا الحانوت ؟ فأجابه السكرتير ارتجالا : هذه تربة كربلاء وهي مثل حصى كنيسة القديس بطرس عندكم التي تباع كل واحدة منها بفرنك واحد (أي بدرهم) على الزائرين .

وما كان ينتظر المستشار هذا الجواب الفجائي غير المنتظر ، فضحك وقال : صدقت ، نحن ايضا في اوربا عندنا مثل هذه العوائد ولا غرابة في ذلك . اذ ان كل من يزور تلك الكنيسة في روما يشتري من حصاها للتبرك والاستشفاء . فتجد ان مثل هذه العادات في تقديس بعض الاشياء الدينية لا تخلو منها امة وحتى عند الامم الاوربية المتحضرة الراقية توجد بأكثر من ذلك ، فما قيمة اقوال المبتعدين كل الابتعاد عن مرامي الحياة الانسانية في تأسيساتها الدينية .

ومع ذلك كله ، يجب ان لا يشك المرء في ان امثال هؤلاء لا يجهلون مثل هذه الحقائق العلمية الواضحة وهم على تلك الدرجة من قوة المغالطة والتظاهر بالايمان . فلا يعقل بأنهم لايميزون بين السجود للشيء والسجود على الشيء وهم على جانب غير قليل من الفطنة ، ولكن العصبية الحمقاء هي التي حالت بينهم وبين الحقيقة . فان في تعظيم الشيعة للنبوة وآل بيت النبوة

ولا سيما في تعظيمهم للحسين عليه السلام والسجود لله على تربتـه تحطيم للاموية والامويين فهذا الذي يغضبهم ويؤلمهم في صميمهم فيشنون الحرب على الشيعة لماذا يسجدون لله على تربة من قتله الامويون ، والامويون في نظرهم اصل العروبة وجوهر الايمان ، ومعدن الاسلام ، وحقيقة الدين . واذا لم نبالغ فيعتقد البعض منهم ان الامويين هم صفوة البشر وخلاصـة الكون كما صرحوا به غير مرة بأن « مجد الامويين رسالة السماء » هذا العنوان المزيف الذي لازال يعلق بذهني من مهرجان المعري . ولم نجـد سببا حقيقيا لهذه التهم الباطلة غير هذا . ولا ينكر بأن الحركة الاموية في جوهرها ومادتها ضد الهاشميين ان كان في الجاهلية أو في الاســلام كانت حركة نفعية ومادية قوية وجدت لها في كلا العهدين مناصرين من ذوي المطامع والشهوة فباءت الحركة المثالية التحررية بالفشل المستمر تجاه الكتلة المادية المتطرفـة .

ولذلك يجب ان لا يستغرب الانسان من كل ما يرى أو يسمع .

الفصل السادس

الحائر ، مراسم اتيانه وآداب زيارته

لم يكن الحائر ، على ما يظهر من غضون الاخبار والتاريخ من تلك المعابد الدينية البسيطة المعدة للزيارة فحسب ليزوره الزائر متى اراد أو كيفما شاء دون ان يكون ملزما فيه برعاية آداب معينة ومراسيم خاصة . ومن هذه الناحية فقد اعطي الحائر منذ العهد الاول من تاريخه حقه من التعظيم والتجليل والتقديس ، واعترف له بالمنزلة والمكانة العليا في الاسلام ، بحيث أن رعاية تلك الآداب ، وملاحظة تلك المراسيم من قبل الزائر وذلك بكل دقة واعتناء كانت شرطا أساسيا من شروط الزيارة . اذ أن حائر الحسين عليه السلام وحرمه المقدس كان « حرما من حرم الله وحرم رسوله » كما ورد في الحديث [١] .

ولذلك جاءت الاحاديث عن الائمة وكلها ناطقة بهذا المعنى فجعلوا لزيارة بطل الاسلام ، الشهيد ابن الشهيد أبي الشهداء ، وزيارة مرقده الخالد مناسك مثل ما لحج بيت الله الحرام ، لان الزائر بحضرته أمام شخصية اسلامية عظيمة لم تمت بمنطوق الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » . وأي شهيد أعظم منزلة ، وأعلى قدرا ومكانة عند الله من الحسين سيد الشهداء وابي أئمة العرب الاطهار ومن أصحابه ؟ وهم شهداء ليس مثلهم الا شهداء بدر الذين ضحوا بأنفسهم لتثبيت دعائم الدعوة الاسلامية .

وتلك المناسك تنقسم الى نوعين : فمنها ما يختص بتزكية النفس ، وتجريد الروح وتحريرها من قيود المادة والشوائب النفسانية ، والتمثل بالمثل الاسلامية العليا من الاخلاق والسجايا الرفيعة التي يتميز بها المسلم الحقيقي

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٩٨ .

عن غيره . ومنهاما يختص بكيفية الاتيان من حين خروج الزائر من بيته بقصد الزيارة الى حين دخوله حدود البقعة التي يقع الحائر المقدس في قلبها ، فعند عبور الفرات الى الوصول الى نينوى أو الغاضرية ، ومن هناك الى أن يدخل الحائر ، والى ان يصل القبر المطهر بآداب ومراسيم كأنه في حج بيت الله الحرام .

أما القسم الاول من هذه المناسك لزيارة الحائر المقدس فهو ما جاء في رواية محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ، قال : « قلت له اذا خرجنا الى أبيك أفلسنا في حج ؟ قال : بلى . قلت : فيلزمنا ما يلزم الحاج؟ قال : من ماذا ؟ قلت : من الاشياء التي يلزم الحاج ـ (وهنا يشرح له الصادق عليه السلام ما يلزم الزائر في هذا الطريق من متاع الروح) فقال : يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك ، ويلزمك قلة الكلام الا بخير ، ويلزمك كثرة ذكر الله ، ويلزمك نظافة الثياب ، ويلزمك الغسل قبل ان تأتي الحائر ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة ، والصلوة على محمد وآل محمد ، ويلزمك التوقي لاخذ ماليس لك ، ويلزمك أن تغض بصرك ، ويلزمك ان تعود الى اهل الحاجة من اخوانك اذا رأيت منقطعا والمواساة ، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها ، والورع عما نهيت عنه ، وكثرة الايمان ، والجدال الذي فيه ينقص الايمان . فاذا فعلت ذلك تم حجك وعمرتك ، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك واغترابك عن اهلك ، ورغبتك فيما رغبت ان تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان ـ كامل الزيارة ص ١٣٠ ـ ١٣١ ـ » .

ومن هنا يتبين ما كان يعلقه أئمة الدين من الخطورة والاهمية على الحائر وزيارته في تهذيب النفوس وصقل الارواح ونشر المبادىء والفضائل الاسلامية بين الشعوب ، اذ ان الحجاز كان قد تغلبت عليه الاهواء وخرج نهائيا من

القبضة فلم يبق غير هذا البيت المعسور الجديد ليكون أكبر مدرسة دينية في الاسلام . فما قيمة تقولات المفترين بعد هذا ؟

أما القسم الثاني منها فهو في مراسم اتيان الحائر وآداب زيارته وقد ارتسمت كلها في روايات كل من الحسن بن عطية وهو ابو ناب المحاربي الكوفي من ثقاة الاصحاب ، والحسين بن ثوير ابن ابي فاختة وهو من أجلاء الشيعة وثقاتهم ، وابي حمزة الثمالي وهو من ثقاة أعيان الطائفة وأركان حملة الحديث وقد خدم اربعة من الائمة الهداة ، وروى في تشريفه عن الصادقين (ع): « أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه » وقد توفي في سنة ١٥٠ هـ أي بسنتين بعد وفاة الصادق عليه السلام . وغير أن رواية أبي حمزة من بين هذه الروايات جاءت صورة كاملة لما يجب على الزائر من رعاية تلك الآداب والمراسيم فنكتفي بها في هذا الباب مع ذكر سندها .

وقد روى ابو عبد الرحمن محمد بن احمد بن الحسين العسكري ومحمد ابن الحسن جميعا عن الحسن بن علي بن مهزيار عن ابيه علي بن مهزيار عن محمد بن ابي عمير عن محمد بن مروان عن ابي حمزة الثمالي قال :

« قال الصادق عليه السلام : اذا أردت المسير الى قبر الحسين (ع) فصم يوم الاربعاء والخميس والجمعة . فاذا اردت الخروج فاجمع اهلك وولدك وادع بدعاء السفر ، واغتسل قبل خروجك وقل حين تغتسل كذا وكذا . فاذا خرجت فقل كذا وكذا . ولا تدهن ، ولا تكتحل حتى تأتي الفرات ، وأقل من الكلام والمزاح ، واكثر من ذكر الله تعالى ، واياك والمزاح والخصومة . فاذا كنت راكبا او ماشيا فقل ... فاذا خفت شيئا فقل ... فاذا أتيت الفرات فقل قبل ان تعبره ... ثم اعبر الفرات وقل ... ثم تأتي نينوى فتضع رحلك بها ، ولا تدهن ولا تكتحل ، ولا تأكل اللحم مادمت مقيما بها . ثم تأتي الشط بحذاء نخل القبر واغتسل وعليك الوقار وقل

وانت تغتسل ... ثم البس أطهر ثيابك ، فاذا لبستها فقل ... ثم امش حافيا وعليك السكينة والوقار « فانك في حرم من حرم الله وحرم رسوله »[٢] وعليك بالتكبير والتهليل لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم .. ثم امش قليلا وقصر خطاك ، فاذا وقفت على التل فاستقبل القبر وقل ... ثم امش عشر خطوات وكبر ثلاثين تكبيرة وقل وانت تمشي... ثم امش قليلا وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتمجيد لله ، والتحميد والتعظيم لله ولرسوله (ص) وقصر خطاك .

فاذا آتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقل ... ثم تدنو قليلا وقل ... ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل . السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر بأذن ربهم ، السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحائر يعملون ولامر الله مسلمون ... ثم امش وقصر خطاك حتى تستقبل القبر ، واجعل القبلة بين كتفيك واستقبل بوجهك وجهه وقل ... ثم ضع خدك الايمن على القبر وقل ... ثم ضع خدك الايسر على القبر وتقول... ثم تدور من عند رجليه الى عند رأسه ... ثم تحول عند رجليه وضع يدك على القبر وقل ... ثم تضع خديك عليه وتقول ... ثم صر الى قبر علي ابن الحسين فهو عند رجل الحسين (ع) فاذا وقفت عليه فقل ... ثم انكب على القبر وضع يديك عليه وقل ... ثم ضع خدك على القبر (قبر علي بن الحسين) وقل ... ثم تدور من خلف الحسين عليه السلام الى عند رأسه وصل عند رأسه ركعتين ... ثم تنكب على القبر وتقول ... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومىء اليهم أجمعين وتقول ...ثم در في الحائر وانت تقول ... »[٣] .

---

(٢) هذه الفقرة فى رواية ابن ابي فاختة ص ١٩٨ من كامل الزيارة .

(٣) راجع : كامل الزيارة من صحيفة ٢٢٢ الى ٢٤٥ .

هـذا هو حائر الحسين عليه السلام ، وتلك هي مناسكه ، ومراسم اتيانه ، وآداب زيارته كما وضعته له الائمة الاطهار منذ أول عهده تعظيما وتجليـلا لشعائره الاسلامية العالية • أليس من الغريب أن هـذا المشعر الاسلامي العظيم وهـذا المركز الديني العميم يعامل اليوم بما لا يليق بمقامه وكرامته الدينية السامية فيهـدم أهم آثاره وتوابعه من المساجد والجوامع والمدارس الدينية والمعاهد العلمية الكثيرة وأكثرها من الآثار الفنية المهمة وكانت تحيط بالحائر المقدس من كل جانب احاطة النجوم بالبـدر ، فتهدم مرة واحدة جميع هذه الآثار التاريخية والدينية لأجل فتح شارع واسـع يدور حول الصحن الشريف وينشأ فيه الحوانيت المختلفة والمقاهي ومحلات العطالة واللهو في أطراف الحائر من كل جانب فيكون ملهى للنـاس يدورون في الاعراس بآلات الطرب والطبول في السيارات حول هذا المشعر الاسلامي العظيم كما وقع بالفعل منذ شهرين وسيقع مثله في المستقبل • ثم جلبت أنظار الاوقاف العامة أن تستملك لها جميع العرصات الواقعة حول الحـائر على جانبي الشارع لبناء الحوانيت فيها من موارد الاوقاف العامة فتصبح حي كربلا من موقوفاتها • وهذا المشعر الاسلامي العظيم الذي يلزم للانسان فيه « التوقير لأخذ ماليس له » حسب ما جاء في رواية محمد بن مسلم المتقدمة أصبح اليوم ولا احترام لاملاك الناس وحقوقهم فيه فتهدم مرة واحـدة لفتح الشوارع شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ومن كل جهة فيه وذلك بـدون أي حساب او تعويض لمجرد الشهوة والارادة لـدى الموظفين الاداريين • ذلك هو الحائر المشعر الاسلامي العظيم في آدابه ومناسكه ومنزلته فاصبح اليوم هـذا •

الفصل السابع

الحائر ومواسم زياراته

لما كان الحائر من الاماكن الدينية المعظمة واعترفت الاحاديث بفضله ونوهت عن قدره ، واعتبرتــه ثالث الحرمين في الاســلام وله ما لتلك من المكانة والمنزلة عند الله أصبح الحائر مزارا عاما للمسلمين يزار كمــا يزار بيت الله الحرام ، ولكن الفرق أن هذا يزار مرة واحدة في السنة فيزوره من يستطيع اليه سبيلا على الأكثر ، وذاك يزار مرات عديدة في السنة وحثت الاخبار على الاكثار من زيارته مدة الحياة لما عدوا لزائره في كل مرة من الثواب ما يعدل حجة واحدة وأكثر ٠

وللحائر نوعان من الزيارة : زيارة اعتيادية وزيارة رسمية ٠ أما زيارة الحائر الاعتيادية فانه يزار في كل وقت دون تحديد لزيارته ، فيزار في الليل كما يزار في النهار ، ويزار قبل الفجر كما يزار بعــد الزوال وقبله ، ويزار بعد العصر كما يزار قبل العشاء او بعده لان ابوابه مفتوحــة للزائرين من مختلف الشعوب والاقوام بدون أي استثناء من قبل طلوع الفجر الى قبــل منتصف الليل طوال السنة في الشتاء والصيف على حد سواء ٠ وعدا هذه الزيارات الاعتيادية فان للحائر في السنة من حيث المجموع ثماني زيارات رسمية يزار فيها الحسين عليه السلام بصورة عمومية وهي التي تسمى بالزيارات المخصوصة ، فيقصده الشيعة من كل حدب وصوب من البلاد القريبة والنائية٠ وفي فضل أكثرها أحاديث كثيرة وردت عن أئمة بيت الرسالة ، وهذه الزيارات الرسمية العمومية ابتداء من اول السنة الهجرية الى آخرها هي :

١ — زيارة يوم العاشر من محرم وهي التي تعرف بزيارة عاشوراء ٠

٢ — زيارة الاربعين في العشرين من صفر وتسمى ايضا بزيارة « مرد الرأس الشريف » ٠

٣ ـ زيارة أول رجب .

٤ ـ زيارة نصف رجب .

٥ ـ زيارة نصف شعبان .

٦ ـ زيارة ليالي القدر في ١٩ و ٢١ و ٢٣ رمضان .

٧ ـ زيارة عيد الفطر .

٨ ـ زيارة عرفة ، وعيد الاضحى .

وهذه الزيارات الثمانية ليست كلها على درجة واحدة من تهافت الناس واقبال الزائرين على زيارة كربلاء من الاقطار القريبة والنائية فبعضها أهم من البعض الآخر . ففي البعض منها يخف وفي البعض منها يشتد الازدحام فيفوق الموقف بسكة المعظمة أضعافا مضاعفة ، بحيث لايبقى من شدة الزحام محط للارجل فيهذه المدينة المعظمة على سعتها . وشدة الازدحام الخارق الشاذ في بعض المواسم من بعض السنين هي التي كانت بالظاهر سببا لاصرار الحكومة الى تلك الدرجة على فتح تلك الشوارع العظيمة التي خرقت بيوت الناس وأملاكهم الى مسافة بعيدة وقضت نهائيا على المعاهد العلمية ، والمعابد الدينية ، والاماكن الأثرية والفنية والتاريخية التابعة للحائر المقدس وبهدمها تجردت كربلاء اليوم من منزلتها العلمية الرفيعة التي كانت قـد هيئتها لها القرون السالفة تدريجيا بمرور الزمن على يد الامراء والملوك السابقين من البويهيين في العصر العباسي والجلائريين ثم الصفويين والقاجاريين في العهد المتأخر ، فكانوا قد زودوا الحائر المقدس بتلك الآثار الفنية ، وتلك المعاهد العلمية ، وتلك المدارس الدينية الاسلامية فقضت عليها معاول الهدم مرة واحدة في الاشهر الاولى من هذه السنة على يـد عبد الرسول الخالصي متصرف لواء كربلاء باسم الاصلاح والتخفيف على الزائرين . وقد جرى

هدمها بدون أي اشفاق على حفظ آثارها الفنية الثمينة اثناء الهدم كأنهم يهدمون أكواما من تراب لا اماكن أثرية ذات قيمة فنية وتاريخية ولكن عدم تقدير الفن والتاريخ دعا الى مثل هذا العمل • وقد كان بالامكان — حسب الظاهر — فتح هذه الشوارع وتجنب تلك الخسارة العظيمة للحائر بابعاد المشروع عشرين مترا عن جدران الصحن المقدس فكان الشارع يتم، والغرض يحصل ، وتوابع الحائر كانت تبقى محفوظة ايضا •

ومن لطيف الحديث فقد سئلناه عن سبب عدم ابعاد المشروع عن منطقة المعاهد الدينية كما جرى بالفعل في خراسان ، فقال : ان فتح الشارع في وسطها كان يكلف أقل ، وهذه نظرية عالية ؟ لا جواب لها الا السكوت ، ولكن هل تعوض الحكومة كربلاء عن هذه الخسارة العظيمة التي الحقت بالحائر المقدس فتبني لها المعاهد والمدارس الدينية بدلا عن تلك ؟ نحن لا نشك في حسن نية حكومتنا الوطنية وسوف انها تقدم على ذلك سريعا لما تحمله من الاحترام والتعظيم نحو الحسين عليه السلام وحرمه المطهر• اذ لا يخفى على الحكومة الموقرة بأن الذين تبنوا قضية كربلاء ليس لهم أي صلة بها حتى ولا بالذي يشرفها •

وأما البحث في الزيارات الرسمية أو المخصوصة للحائر المقدس فهي كما يلي :

(١) زيارة عاشوراء ، وهي زيارة الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من محرم من كل سنة اذ انه اليوم الذي قتل فيه هو واصحابه الكرام على ساحة هذه الارض في عام ٦١ من الهجرة • فيفد اليه الزائرون من اول يوم من المحرم الى الثالث عشر منه وهو يوم «ثالث الامام» لما ورد في فضل زيارته في اليوم العاشر من احاديث فسنها ما رواه جابر الجعفي وهو من ثقاة الاصحاب عن الصادق (ع) : « ومن زار قبر الحسين (ع) يوم عاشوراء

وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه . كامل الزيارة ١٧٣ » أو ما رواه المدايني عنه : « من سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسين (ع) كان كمن سقى عسكر الحسين (ع) وشهد معه . كامل الزيارة ١٧٤ » . وغيرها من الروايات في فضيلة زيارته في ذلك اليوم اذ كان ذلك اعلانا لامرهم واحياءا لقضيتهم وحياة للدين والاسلام بعدما اقترفته تلك الفئة الباغية من الاجرام الفظيعة في مثل ذلك اليوم . ولذلك تكثر فيه الجماعات وتزداد الاجتماعات وتقام المآتم في كربلاء وغيرها من الاقطار في طول البلاد الاسلامية وعرضها حتى وان الهندوس في الهند على ما يروى يفرقون الاطعمة والمآكل، ويسقون الناس الشرابت والحليب المحلى بالسكر ، ويدخلون النيران على حب الشهيد . فان قضايا يوم عاشوراء لمن أغرب القضايا في العالم ولا مجال للاطالة فيها .

(٢) زيارة الاربعين ، وهي في يوم عشرين صفر من كل سنة ، وهي من اعظم زيارات كربلاء اذ تحتشد فيها مئات الالوف من الزائرين الذين يشدون الرحال اليها من مختلف الاقطار الاسلامية القريبة والنائية ، فيزورها خلق عظيم على الاخص من المدن العراقية من الشمال الى الجنوب فتسير فيها المواكب العظيمة باسم « مواكب الانصار » يتراوح عدد من يسيرون في كل موكب منها بين الخمسمائة والالف نسمة . فيخرج كل موكب من العزاء بكل سكينة ووقار في مظهر من الحزن العميق البادي على الوجوه حاسري الرؤوس وحافي الاقدام ، ومرتدين الملابس السود علامة الحداد ، يبكون ويلطمون على الصدور والخدود يعزون النبي بقتل سبطه الحسين عليه السلام ، محتجين على جفاء الامة له ، وتخفق الرايات السود شعار العزاء والحزن امام كل موكب وقد كتب عليها بالكتابة الواضحة اسم الموكب والبلد الذي ينتمون اليه . وهذا الحزن العظيم على الشهيد هو

الذي اقتلع من اعماق قلب احمد امين مؤلف كتاب « فجر الاسلام » تلك الصرخة المتألمة الداوية بأن « الشيعة قد صبغوا مذهبهم بالحزن العميق » لانه ما يرى في ذلك الا تفضيحا علنيا لنزعته الاموية المكينة . وقد تحتفل الشيعة بهذا اليوم هذا الاحتفال العظيم لسببين : وصول أهل البيت كربلاء في مثل هذا اليوم وهم في طريق العودة الى المدينةوقد سبقهم اليها في نفس اليوم جابر بن عبدالله الانصاري وجماعة من بني هاشم . والثاني انالرأس المطهر قد رد الى البدن ولذلك تسمى بزيارة «مرد الراس» . وقد يتراوح عدد الزائرين لكربلاء في هذه الزيارة بين نصف المليونوثلاثة ارباع المليون، وقد بلغ هذا المبلغ الاخير في عام ١٣٦٥ هـ كما احصتها جريدة «الاخبار» البغدادية بعددها ١٥٤٦ المؤرخ يوم الاحد ٢٣ صفر ١٣٦٥ الموافق لـ ١٩٤٦/١/٢٧ تحت عنوان «يوم الاربعين في كربلاء» وهو عدد جسيم لم يبلغ ثلثه عدد حجاج بيت الله الحرام في السنوات التي يكثر فيها الحاج .

(٣) زيارة اول رجب ، وهي من الزيارات الرسمية غير انها محلية ويكثر فيها الاعراب من أهل البادية والارياف بالانضمام الى الخواص من أهل المدن وورد في فضلها عن الصادق (ع) : « من زاره اول يوم من رجب غفر الله له البتة . كامل الزيارة ١٧٢ و ١٨٢ » .

(٤) زيارة نصف رجب ، هي من الزيارات المخصوصة ايضا يجتمع فيها خلق عظيم من انحاء البلاد وأطرافها لما ورد فيها من احاديث تحث الشيعة على زيارة الحسين (ع) في النصف من رجب ومثله في النصف من شعبان مثل ما رواه محمد بن ابي نصر البزنطي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام، قال :« سألت ابا الحسن الرضا (ع) في أي شهر نزور الحسين عليه السلام ؟ قال : في النصف من رجب والنصف من شعبان . كامل الزيارة ١٨٢ » .

(٥) زيارة نصف شعبان ، وهي بلا ريب أهم واعظم واقدم الزيارات لكربلاء اذ نجد لها مستندات تاريخية في طيات الكتب تدلنا على تهافت الناس في العصر الاول على زيارة الحائر المقدس في النصف من شعبان ، والى اليوم هي من الزيارات التي يكثر فيها الزائرون بكثرة متزايدة تفوق احيانا الزيارات الاخرى في العدد والكيفية ، فيقصده الزائرون من انحاء البلاد الاسلامية القريبة والبعيدة وقدسبق فضل زيارته عليه السلام في مثل هذا اليوم ، ومثل ذلك ما رواه صافي البرقي عن الصادق (ع) انه قال :

« من زار ابا عبدالله الحسين عليه السلام ثلاث سنين متواليات لا فصل فيها في النصف من شعبان غفر الله له ذنوبه . كامل الزيارة ١٨٠ » .

(٦) زيارة ليالي القدر ، وقد يكثر الزائرون ليلة ١٩ و ٢١ و ٢٣ رمضان لزيارة الحائر المقدس من اطراف البلاد ولا سيما من المدن العراقية وبعد ذلك يتوجهون الى زيارة النجف الاشرف .

(٧) زيارة عيد الفطر المبارك ، كذلك هي من الزيارات التي يزورون فيها الحائر بكثرة لاسيما الخواص من الناس .

(٨) زيارة عرفة وعيد الاضحى ، وهذه الزيارة هي مفتتح الزيارات المهمة التي تليها في المحرم وصفر ولذلك تتوجه النفوس بكثرة الى كربلاء في عرفة لا سيما من بلاد ايران لتدرك بعدها زيارة عاشوراء والاربعين . وهذه الاشهر الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر هي اهم مواسم زيارة الحسين عليه السلام . ومما جاء في حث الائمة على زيارته في عرفة ما رواه يعقوب بن عمار عن الصادق عليه السلام قال : « من فاتته عرفة بعرفات فادركها بقبر الحسين (ع) لم يفته وان الله تبارك وتعالى ليبدأ بأهل قبر الحسين قبل أهل العرفات ، ثم قال : يخالطه بنفسه أو في نفسه . كامل

الزيارة ١٧٠ » .

وهذه خلاصة عن مواسم زيارات الحائر الرسميةخلال كل سنة وكانت بحاجة تامة الى الشرح والبسط من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية لما لهذه الزيارات من التأثير الفعلي ولكن لضيق المجال اجلنا الاسهاب فيها .

الفصل الثامن

الحائر وأول من سكنه من الاشراف العلويين

ظهر مما تقدم في الفصول السابقة ان الاقبال على الحائر اخذ يزداد يوما فيوم من بعد وقعة الطف بفعل العقيدة والايمان وصار الناس من مختلف الشعوب والاقوام يتهافتون على زيارته من الاماكن القريبة والنائية. وسرعان ما اصبح الحائر المقدس من المعابد الدينية ومن المدن الاسلامية ذات المنزلة العظيمة في النفوس . ونظرا لموقعه الجغرافي والاقتصادي في وسط الارياف العامرة على ضفة الفرات وحافة البادية المتصلة بالاقسام الغربية من بلاد الهلال الخصيب أصبح محطا للرحال ومركزا نشطا للحركة التجارية بين مختلف المدن في هذا القسم الجنوبي من العراق كما نوهنا عنه في فصل « التحقيق في اسم الحير تاريخيا » فيما سبق .

وهذا من ناحية اقبال الناس ونشاط الحركة التجارية من بعد الوقعة فبقي ان نعرف الاسر العلوية التي جاورت الحائر لاول مرة بدافع العقيدة والصلات النسبية والمعنوية فان اول من جاوره من الاشراف الحسينية هم حسب الظاهر آل ابراهيم المجاب المعروف بابراهيم الضرير الكوفي ابن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام . فان آل ابراهيم المجاب هم اول من سكنوا الحائر ولم يتقدم عليهم احد في المجاورة من العلويين ، لان علماء النسب كلهم ينسبون ابنه محمدا بالحائري بينما يصفون ابراهيم المجاب نفسه بالكوفي . ولعل ابراهيم المجاب جاور الحائر ايضا مع ولده فمات به ودفن فيه لان قبره الان في الزاوية الشمالية الغربية من الرواق وهو معروف بقبره وعليه ضريح لطيف الصنع من البرونز . وكون ابراهيم المجاب هو دفين الحائر امر متفق عليه ، وقد كتب السيد الشريف النسابة احمد بن علي بن الحسين الحسني في كتابه « عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب »

ما نصه : وقبر ابراهيم المجاب في الحائر معروف مشهور ، وانما لقب أبوه محمد بالعابد لكثرة عبادته وصومه وصلاته كما ذكر المفيد طاب ثراه في الارشاد وغيره .

وهناك خلاف بأن ابراهيم صاحب هذا القبر هل هو ابن محمد العابد أو هو ابراهيم المرتضى ابن الامام الكاظم لان السيد بحر العلوم في كتابه في « الرجال » كتب في ضمن ترجمة السيد المرتضى علم الهدى بأنه « والظاهر ان قبر السيد وقبر أبيه وأخيه في المحل المعروف بابراهيم المجاب، وكان ابراهيم هذا هو جد المرتضى وابن الامام موسى عليه السلام ، وصاحب أبي السرايا الذي ملك اليمن والله أعلم » [١] . وهذا القول يستند حسب الظاهر على ما جاء في« عمدة الطالب ص ١٧٨ » من كلام الشيخ أبي الحسن العمري بأن ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم وهو الاصغر ظهر باليمن أيام أبي السرايا ، ولكن على قول أبي نصر البخاري فان ابراهيم الاكبر ابن موسى الكاظم (ع) هو الذي ظهر باليمن وهو احد أئمة الزيدية ولم يعقب . وهذا ما ذهب اليه السيد الشريف جمال الدين أحمد بن المهنا العبيدلي النسابة فذكر ابراهيم المجاب في مشجرته وقال : « انه كان عالما عابدا زاهدا وليس هو صاحب أبي السرايا انما ذاك أخوه الاكبر لاابراهيم الاصغر . وذكر ان قبر ابراهيم الاصغر خلف ظهر الحسين بستة أذرع » .

يظهر من هذا بأنه لايقصد القبر المعروف بأسم ابراهيم المجاب لانه أبعد بكثير من ستة أذرع ولا يقع خلف الظهر وانما يقع في الشمال الغربي من الرأس المطهر . والظاهر ان قبر الشريفين الرضي والمرتضى وقبر ابيهما رحمهم الله تعالى يقع في الصفة المقابلة للضريح من خلف الظهر في شمال المسجد ولاعلامة له اليوم وبهذا الاعتبار يقع ما بعد المشهد على بعد ستة أذرع تقريبا .

---

(١) راجع « نزهة اهل الحرمين » ٢٢ .

ولما سكنوا الحائر تفرع آل ابراهيم المجاب الى فروع ، فمن ولد محمد الحائري ابن ابراهيم المجاب في الحائر هم (آل أبي الفائز) وأبو الفائز هو محمد بن محمد بن علي بن أبي جعفر محمد الحبر ابن علي المجدور ابن أحمد بن محمد الحائري ابن ابراهيم المجاب •

ومن بني أحمد بن محمد الحائري المذكور هم (بنو أبي مزن) وأبو مزن هو علي بن الحسن بن محمد بن أبي جعفر محمد بن علي المجدور ابن أحمد بن محمد الحائري المذكور •

ومنهم (آل الرضي) وهم من ولد هبة الله بن علي المجدور ابن أحمد ابن محمد الحائري المذكور •

ومنهم (آل الاشراف) وهم بنو علي بن هبة الله بن علي المجدور ابن أحمد بن محمد الحائري المذكور •

ومنهم (آل أبي الحارث) وهو محمد بن هبة الله بن علي المجدور ابن أحمد بن محمد الحائري المذكور • وهذه الفروع الخمسة ينتمون كلهم الى علي المجدور ابن أحمد بن محمد الحائري وهؤلاء كلهم بالحائر (عمدةالطالب ص ١٩٢) •

ومن آل ابراهيم المجاب بالحائر هم (بنو أبي مضير) وابو مضير هو محمد بن أبي تغلب بن محمد بن أبي فويزة علي بن أبي الطيب أحمد بن الحسن بن محمد الحائري المذكور • ومنهم (آل بشير) وهو بشير بن سعد الله بن الحسن بن هبة الله بن أبي مضير المذكور • ومنهم (آل أبي مضر) وهم ولد ابي مضر محمد بن هبة الله بن ابي مضير المذكور• و(آل حترش) وهم ولد حترش واسمه محمد بن أبي مضر بن محمد بن هبة الله بن محمد ابن ابي المضير المذكور • ومنهم (آل ابي ريه) وهو الحسين بن ابي مضر الثاني المذكور وكلهم بالحائر الا من شذ منهم الى غيره • و(آل معصوم)

وهو معصوم بن أبي الطيب أحمد بن أحمد بن الحسن بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب •وأبو الطيب احمد هذا هو جد آل معصوم بالحلة والحائر (٢) •

وأما (آل زحيك) وقد ذكرهم الرحالة المشهور ابن بطوطة في الربع الاول من القرن الثامن الهجري في رحلته عند ذكره لكربلاء وقال فيها : « وأهل هذه المدينة طائفتان : أولاد زحيك ، وأولاد فائز وبينهما القتال أبدا وهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد ولأجل فتنهم تخربت هذه المدينة» (٣) •

وزحيك هو يحيى بن منصور بن محمد بن أبي الحارث محمد بن ابي محمد بن عبد الله بن ابي الحرث محمد بن علي المعروف بابن الديلمية أبو الحسن ابن ابي طاهر عبد الله بن أبي الحسن محمد المحدث بن أبي الطيب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى الثاني أبي سبحة بن ابراهيم الاصغر المرتضى بن الامام موسى الكاظم •

وأول من سكن الحائر من هؤلاء هو أبو محمد عبدالله بن أبي الحرث محمد المذكور وكان بالكرخ فأنتقل الى الحائر وصار عقبه بالحائر من أربعة رجال : الاول ــ أبو الحرث محمد المذكور ومن ولده آل زحيك يحيى بن منصور بن محمد بن أبي الحارث محمد المذكور • والثاني ــ علي الحائري جد آل دخينة وهو جعفر بن حمزة بن جعفر دخينة بن أحمد بن جعفر بن علي الحائري المذكور • والثالث ــ النفيس ويقال لولده بنو النفيس بالحائر وذكر ابن بطوطة منهم الشريف الفاضل أبا عبدالله محمد بن أبي القاسم بن النفيس الحسيني الكربلائي الشهير ببلاد المغرب بالعراقي • والرابع ــ ابو السعادات محمد ويقال لولده آل أبي السعادات بالحائر (٤) •

---

(٢) راجع : « عمدة الطالب » ص ١٩٣ طبع بمبي ١٣١٨ هـ •

(٣) رحلة ابن بطوطة ج١ ص ١٣٩ طبع مصر ١٣٥٧ هـ •

(٤) « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٢ وعمدة الطالب ١٩١ •

ومن الموسوية بالحائر (آل المليط) والمليط هو محمد بن مسلم بن موسى بن علي بن جعفر بن الحسن الملحق بن موسى بن جعفر بن موسى الكاظم عليه السلام ، والحسن الملحق قيل له بذلك لأنه ألحق بأبيه وهو صحيح الولادة وهو جد آل المليط بالحلة والحائر كما جاء في عمدة الطالب ص ١٩٤ .

وأما من بالحائر من ولد الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن الامام علي بن الحسين السجاد فطوائف بنو هنفاله وهو أبو الحسن علي المعروف بابن هنفاله بن محمد بن احمد الناصر بن أبي الصلب بن يحيى بن أبي العباس احمد بن علي بن عيسى بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة المذكور ، وهؤلاء بنو هنفاله لهم بالحائر نقابة وبأس وشجاعة كان جدهم علي يعرف بابن هنفاله أعقب من ولده ابي طاهر محمد وكان متوجها بالحائر ، فمن ولد أبي طاهر محمد ابو الحسن علي بن محمد يقال لولده بنو هنفاله ، وطاهر ابن محمد يقال لولده (بنو عيسى)لان عقبه من عيسى بن طاهر وحده . ومنهم ابو عبدالله الحسين المقري ابن محمد بن عيسى المقري ابن محمد بن عيسى المذكور وكان يقال لولده (بنو المقري) كان كلهم بالحائر منهم (بنو طوغان) منهم السيد بدر الدين حسن بن مخزوم بن أبي القاسم طوغان بن عبدالله الحسين المقري بن محمد بن عيسى المذكور [٥] . وأما (بنو الضنك) وهو ضنك بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسين الحسيني من ولد الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد فهم بالحائر . وقد قيل ان بني الضنك محمديون من ولد محمد بن الحنفية ابن امير المؤمنين (ع) كما في عمدة الطالب ص ٢٣٣ . وكان في الحائر (بنو طوري) وهو لقب أبي العز زيد الملقب بطوري بن الحسن بن أبي الخطاب زيد بن القاسم بن

(٥) عمدة الطالب ص ٢٣٧ و « نزهة اهل الحرمين » ص ٢٣ — ٢٤ .

محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد المطبقي بن عيسى بن محمد الرئيس بن علي بن عبدالله بن جعفر الطيار [٦] .

فكان مجموع الاسر من الاشراف العلويين الذين يسكنون الحائر اثنتين وعشرين أسرة ست عشرة أسرة منها من أولاد الامام الكاظم عليه السلام وهم آل أبي الفائز ، وبنو أبي‌مزن من ولد محمد بن علي المجدور . وآل الرضى، وآل لاشراف ، وآل أبي الحارث من ولد هبة الله بن علي المجدور . وبنو أبي مضير ، وآل بشير ، وآل أبي مضر ، وآل حترش ، وآل أبي ريه وكلهم من ولد الحسن بن محمد الحائري ابن ابراهيم المجاب . وآل معصوم من ولد أبي الطيب احمد بن احمد بن الحسن بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب . وآل زحيك ، وآل دخينة ، وبنو النفيس ، وآل أبي السعادات وهم من ولد ابراهيم الاصغر المرتضى ابن الامام الكاظم (ع) وابراهيم الاصغر هو عم ابراهيم المجاب . وآل المليط وهم من ولد الحسن بن موسى بن‌جعفر ابن الامام الكاظم (ع) .

وخمسة منها من ولد الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن السجاد عليه السلام وهم بنو هنفاله ، وبنو عيسى ، وبنو المقري ، وبنو طوغان ، وبنو الضنك ، غير أنه اختلاف في هذا الاخير وقيل في بني الضنك انهم محمديون من ولد محمد بن الحنفية . وواحدة منها من ولد عبدالله بن جعفر الطيار وهم بنو طوري .

ومن هذه الاسر العلوية التي سكنت الحائر في أوائل عهده فاز نسب أسرة مؤلف هذا الكتاب يرجع الى أبي الفائز محمد . فهو الدكتور عبدالجواد

(٦) عمدة الطالب ص ٣٧ و « نزهة اهل الحرمين » ص ٢٤ .

ابن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار [٧] بن السيد حسن بن السيد سليمان بن السيد درويش بن السيد أحمد بن السيد يحيى بن السيد خليفة بن السيد نعمة اللهبن السيد طعمة نقيب الاشراف (وهو الواقف لفدان السادة على اولاده الذكور في سنة ١٠٢٥ هـ) ابن السيد علم الدين بن السيد طعمة (وهو الذي يقال لولده آل طعمة) ابن السيد شرف الدين بن السيد طعمة الاول نقيب الاشراف ابن أبي جعفر احمد (أبو طراز) ابن ضياءالدين يحيى ابن أبي جعفر محمد بن السيد أحمد الناظر لرأس العين (المدفون في شفيثة والمكنى بأبي ضراس وقبره يزار وله كرامات) ابن أبي الفائز محمد ابن أبي جعفر محمد بن علي الغريق بن ابي جعفر محمد الحبر الملقب بخير العمال بن أبي الحسن علي المجدور بن أبي عاتقة أحمد (ويقال لولده بنو احمد) ابن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن أبيابراهيم الامام موسى بن جعفر (ع) ابن الامام جعفر بن محمد (ع) ابن الامام أبي جعفر محمد الباقر (ع) ابن الامام أبي محمد علي بن الحسين (ع) ابن الامام السبط الحسين بن علي (ع) ابن الامام علي بن أبي طالب (ع) وابن البتول فاطمة الزهراء (ع) بنت محمد (ص) ابن عبد اللهابنعبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي .

ومما تجب ملاحظته بهذا الصدد بأن هذا النسب الشريف من أبيالفائز محمد بن أبي جعفر محمد فصاعدا يذكره السيد الشريف النسابة أحمد بن

---

(٧) وقد تولى سدانة الحائر المقدس في سنة ١٢٨٩ هـ وتولى السدانة من بعده في عام ١٣٠٦ هـ ابنه الحاج سيد علي الكليدار المتوفى في يوم ٢ محرم ١٣١٨ هـ وكان هذا الاخير رحمه الله على ما يروون من أوتاد عصره واخيار زمانه فما كان يملك لنفسه شيئا وانما كان ينفق كل ما عنده على أفراد عشيرته وعلى المعوزين والمحتاجين دون ان يعلم احد به . وقد خلف ستة اولاد ذكور .

علي بن الحسين الحسني في كتابه « عمدة الطالب » كما تقدم .

ومن أبي الفائز محمد المذكور الى السيد نعمة الله يذكره ابن شدقم في كتابه « تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب أولاد الائمة الاطهار عليهم الصلاة والسلام » .

ومن السيد نعمة الله المذكور فنازلا في المشجرات العائلية الموجودة عند كل أسرة .

وقد تكاثرت هذه الاسر العلوية في الحائر فبلغ مجموع أفرادها من الذكور حوالي ألفين ومائتي رجل في منتصف القرن الرابع الهجري كما يستفاد ذلك مما رواه السيد بن طاوس في كتابه « فرحة الغري ص ٥٩ » وفي جملة ما رواه عن زيارة عضد الدولة الديلمي للحائر المقدس في جمادي الاولى سنة ٣٧١ من الهجرة وبذله بأنه « تصدق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهما وكان عددهم ألفين ومائتي اسم ، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم » .

فيؤخذ من ذلك بأن عدد الذكور من العلويين في ذلك الوقت كان يبلغ ألفين ومائتي رجل فاذا أضفنا اليه مثل هذا العدد أو أكثر منه للاناث والاطفال بلغ عددهم من حيث المجموع خمسة آلاف نسمة من الرجال والنساء . وقد بلغ ما أنفقه عضد الدولة من النقود على العلويين في تلك المرة مبلغ سبعين ألف واربعمائة درهم تقريبا عدا ما أنفق عليهم من الدقيق والتمر والملابس بسخاء فائق منقطع النظير ، لانه كان متفانيا في حب آل البيت وتعظيم شعائرهم وحفظ ذراريهم .

الباب الرابع

أدوار الحائر التأريخية وعمارته

١ ـ الحائر وبنائه الشامخ العظيم فى هذا العصر .
٢ ـ الحائر وعمارته الاولى من بعد الوقعة فى القرن الاول من الهجرة .
٣ ـ الحائر وعمارته الثانية من بعد عام ١٩٣ من الهجرة على عهد الامين والمأمون .
٤ ـ الحائر وعمارته الثالثة فى أواخر سنة ٢٤٧ من الهجرة على عهد المنتصر بالله العباسي .
٥ ـ الحائر وعمارته الرابعة فى عام ٢٨٣ من الهجرة على يد الداعي الصغير محمد بن زيد بن الحسن الحسني ملك طبرستان .
٦ ـ الحائر وعمارته الخامسة فى عام ٣٦٩ من الهجرة على يد السلطان عضد الدولة البويهي . ومقابر الملوك البويهيين فى الحائر .
٧ ـ الحائر وعمارته السادسة فى عام ٤٠٧ من الهجرة على يد الوزير ابن سهلان الرامهرمزي من بعد الحريق فى حرم الحسين (ع) .
٨ ـ الحائر وعمارته السابعة فى عام ٦٢٠ من الهجرة على يد أحمد الناصر لدين الله العباسي .
٩ ـ الحائر وعمارته الثامنة فى عام ٧٦٧ من الهجرة على يد السلطان أويس الجلائري .

الفصل الاول

الحائر وبنائه الشامخ فى هذا العصر

إن هذا البناء الشامخ العظيم الذي يعلو اليوم على مرقد الحسين عليه السلام بحسن ريازته ، وجمال هندسته ، واتساع ساحته ، وعظم قاعدته ، وفخامة بنيانه ، ونفاسة زخرفه ، ودقة صنعته بالمآذن والقباب الذهبية الفخمة وأبراج الساعات الرنانة المرتفعة ، والذي على أسلوبه وغراره أقيم مثله في العتبات المقدسة على مراقد أئمة العرب الهداة من العترة الطاهرة من سلالة هاشم في العراق وايران من النجف والكاظمية وسامراء ، وفي مشهد الرضا بخراسان ، فانه يرجع في الاصل الى ذلك البناء البسيط الذي شيد لاول مرة من بعد وقعة الطف على القبر المطهر بعد أن واروا تلك الاجساد الطاهرة في التراب فبنوا عليه سقيفة أو شبه سقيفة ، فتطورت بالتدريج تلك السقيفة البسيطة مع الايام والعصور بما أدخل عليها بفعل العقيدة والايمان من التوسع والتحسين والتجميل الى أن بلغت الى ما هي عليه الآن من الفخامة والعظمة والجلال ، وذلك بعد أن انتابها الهدم والخراب مرات عـديدة في مختلف الظروف والاحوال على عهـد الطغاة من الملوك الامويين ، والعباسيين من المنصور والرشيد والمتوكل وغيرهم •

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على معالم كربلاء القديمة والحديثة أي من حين أن شيد أول بناء بسيط على القبر المطهر في بداية الامر الى أن بلغ الى ما هو عليه الآن من الفخامة والعظمة نجد ان الحائر المقدس قد بني وأعيد بناؤه خلال القرون والاجيال الماضية بأكثر من ثماني مرات كان يبنى فيهدم ثم يبنى من جديد ويعاد البناء مرة أخرى بأحسن وأفخم من ذي قبل ثم تهدمه الايادي العابثة • وهكذا توالى البنيان والهدم المتواليين على القبر المطهر بأكثر من ثماني مرات كما سنبحث فيه •

الفصل الثاني

الحائر وعمارته الاولى من بعد الوقعة في القرن الاول من الهجرة

أول ما بني على القبر المطهر من بعد وقعة الطف كان على عهد الدولة الاموية • فقد بني عليه في هذا الوقت سقيفة ومسجد كان له باب شرقي وباب آخر غيره • ولا يعلم بالضبط من الذي أقام البناء على القبر المطهر لاول مرة ، وكل ما قيل بهذا الصدد هو من باب الحدس والتخمين • فزعم البعض بأن بني أسد الذين دفنوا الحسين عليه السلام هم الذين بنوا عليه المسجد [١] • وذهب صاحب « كنز المصائب » الى أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي هو الذي قام بتشييد البناء على القبر واتخذ قرية من حوله [٢] • ولنا رأي آخر بهذا الصدد سنأتي على بيانه في كتابنا « تاريخ كربلاء العام » •

وبقي هذا البناء قائما طيلة حكم الامويين والمسالح قائمة من حوله لمنع الوافدين اليه من الزيارة • ولم يزل هذا البناء والمسجد الى قيام الدولة العباسية ، والقبر المطهر بعيد في هذه الفترة عن كل انتهاك لانشغال العباسيين من جهة بتوطيد دعائم الملك ، ومن جهة أخرى لظهور دعاة هذه الدولة بادىء الامر بمظهر القائم بارجاع السلطة الى أصحابها الشرعيين من آل البيت الطاهر ، مع العلم أن القائمين بأمر الدعوة كانوا من أهل خراسان فكان اكثرهم ان لم نقل كلهم من أنصار العلويين •

ولما توطد الملك والسلطان للعباسيين وتمكنوا من التغلب على الثورات الداخلية والقضاء نهائيا على خصومهم الامويين صاروا يجاهرون شيئا فشيئا بمعاداة آل أبي طالب وشيعتهم معاداة مستورة وخفيفة الوطأة في بادىءالامر

(١) راجع : « نزهة أهل الحرمين » ص ١٤ .

(٢) راجع : ١ ـ المصدر نفسه ص ١٤ ـ ٢ ـ كنز المصائب ـ ٣ ـ تاريخ كربلا المعلى ص ١٠ طبع النجف ١٣٤٩ هـ ـ ٤ ـ « مجالي اللطف » ص ٣٨ .

على عهد السفاح ، ثم استفحلت بصورة علنية أيام المنصور الدوانيقي بوقيعته المشهورة في وجوه وأعيان آل الحسن وابادتهم بالقتل عن بكرة أبيهم .وخفت الوطأة حينا من الدهر على عهد المهدي والهادي لتنبعث مرة من مكامنها بتمام القوة والشدة على عهد الرشيد الذي طارد العلويين تحت كل حجر ومدر وناهضهم اشد المناهضة فسجن كبارهم ، وفتك بساداتهم ، وأهان عظماءهم، وفي أواخر أيام حياته دفعه بغضه الشديد لعلي وآله من الاحياء والاموات منهم أن أمر بهدم كربلاء وكرب قبر الحسين عليه السلام وقطع السدرة التي كانت نابتة عند القبر ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهر كما نقله السيد محمد ابن ابي طالب في تاريخه « تسلية المجالس » بقوله : « وكان قد بني عليه (أي قبر الحسين عليه السلام) مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس الى زمن هرون الرشيد فانه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر »[1] . فكان عمر هذه العمارة الاولى الى عام ١٩٣ من الهجرة في زمن الرشيد .

---

(١) اعيان الشيعة ج٤ ر ٣٠٤ — ونزهة اهل الحرمين ص ١٦ .

الفصل الثالث

الحائر وعمارته الثانية من بعد عام ١٩٣ من الهجرة على عهد الامين والمأمون

والعمارة الثانية هي التي اقيمت على القبر توا من بعد هدم الرشيد له في عام ١٩٣ هـ • وبقي هذا البناء قائما عليه ما يقرب من اربعين سنة الى ايام المتوكل حفيد الرشيد الذي فاق جده في بغض العلويين وهدم كربلاء • ولعل هذه العمارة الثانية من بعد الرشيد هي كما يزعمها البعض للمأمون ، لانها كانت قد اعيد بناؤها في عهده الذي توجه باظهار الحب لآل البيت ، ومن ذلك انه اعترف بحق العلويين بالخلافة فأعطى ولاية العهد للامام علي بن موسى الرضا عليه السلام استرضاء لمناصريه من أهل خراسان ، واستبدل السواد شعار العباسيين بلبس الخضرة شعار العلويين فارتاح الشيعة الى حكمه ، واستنشقوا نسيم الحرية في عهده ، وعاشوا نسبيا عيشة هادئة في أيامه •

ومما لا ريب فيه بأن في عهد المأمون اعيد موضع القبر المطهر واقيم للحائر بناء شامخ بقي على هذا الحال الى عام ٢٣٢هـ حين تبوء جعفر المتوكل عرش الخلافة ، وكان مفتتح عهده ان ضيق الخناق على الشيعة وطاردهم في الآفاق مطاردة عنيفة ، وفي الخمس عشرة سنة من حكمه من عام ٢٣٢ الى عام ٢٤٧ أمر اربع مرات بهدم قبر الحسين عليه السلام وكربه ومحوه وحرثه ، اولها في مفتتح عهده في عام ٢٣٢ هـ على اثر ذهاب مغنيته الى زيارة كربلاء في شعبان • وثانيها في عام ٢٣٦ هـ • وثالثها في السنة التالية لها أي في عام ٢٣٧ هـ • والاخيرة منها في عام ٢٤٧ هـ وقد قتل على اثر ذلك قتله قواده الاتراك باشارة من ابنه المنتصر ويأتي تفصيل ذلك في كتابنا « تاريخ كربلاء العام » •

وقد اقام المتوكل المسالح طيلة حكمه على اطراف كربلاء يترصدون لكل من يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام او يهتدي الى موضع قبره الشريف فيطاردونهم ويعاقبونهم بأشد العقوبات ومنها القتل والصلب والتمثيل .

وقد وضع المتوكل يده على أوقاف الحائر وصادر أموال خزينة الحسين عليه السلام ووزعها على جنوده قائلا ان القبر ليس بحاجة الى الاموال والخزائن [١] . وقد اصبحت الشيعة على عهد المتوكل في كرب عظيم ولم تنل شيئا من الحرية الا على عهد ابنه المنتصر الذي اشترك مع الاتراك في شوال ٢٤٧ هـ في قتل ابيه المتوكل نيرون العرب كما وصفه المؤرخون . ولم يقدم الولد على قتل ابيه الا غيرة وتعصبا لآل البيت الطاهر ، لان المتوكل كما يحدثنا ابن خلكان وغيره من المؤرخين ، كان كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم ، فهدم هذا المكان — يعني كربلاء — باصوله . ودوره وجميع ما يتعلق به وأمر ان يبذر ويسقى موضع قبره ومنع الناس من اتيانه [٢] .

وقد قوى عزم المنتصر على قتل «نيرون العرب» [٣] على ما رواه ابن شهراشوب في «المناقب» بأنه سمع اباه يشتم فاطمة عليها السلام فلم يطق الصبر على ذلك . فسأل عالما عن ذلك . فقال له : قد وجب عليه القتل ، الا ان من قتل اباه لم يطل عمره . فقال المنتصر : لا ابالي اذا اطعت الله بقتله ألا يطول عمري . وكان جميع ذلك في يومين [٤] .

---

(١) ناسخ التواريخ ، ج٦ ص ٤٣٨ طبع ايران ١٣١٢ هـ .

(٢) راجع : « وفيات الاعيان » لابن خلكان . ج١ ص ٤٥٥ .

(٣) راجع : « تاريخ العرب » للسيد امير علي ص ٢٤٧ طبع مصر ١٩٣٨ فانه يلقب المتوكل بـ « نيرون العرب » .

(٤) « المناقب » لابن شهراشوب ج٢ ص ١٩٠ ايران ١٣١٦ و « البحار » ١٠ ص ٢٩٦ .

الفصل الرابع

الحائر وعمارته الثالثة فى أواخر سنة ٢٤٧

من الهجرة على عهد المنتصر بالله العباسى

والعمارة الثالثة هي التي شيدت تواً على القبر المطهر باعتلاء المنتصر عرش الخلافة في اواخر عام ٢٤٧ هـ بعد مقتل ابيه . اذ لم تنفرج الكربة عن كربلاء الا بقتل المتوكل وقيام المنتصر . وكان المنتصر بخلاف ابيه ورعاً عادلا سمحا كريما عفيفا امينا يحرص كل الحرص على توفير اسباب السعادة والرفاهية للشعب ، فشيد من جديد قبر علي والحسين ، واطلق أوقاف آل البيت التي كان المتوكل قد صادرها ، كما منع التعرض للذميين ، ولكنه توفي لسوء الطالع بعد حكم لم تطل مدته غير ستة أشهر [١] .

ففي تلك المدة القصيرة من حكمه تلافى المنتصر اخطاء ابيه . ويحدثنا التاريخ بما أسداه من الخدمات الجليلة نحو البيت الطاهر وشيعتهم ، ومن العناية والاهتمام بالحائر والغري ، وعدم التعرض لقبور الائمة ولقبور آل ابي طالب بصورة مطلقة .

ومما ذكره المسعودي في «مروج الذهب» بهذا الصدد : وكان آل ابي طالب قبل خلافة المنتصر في محنة عظيمة وخوف على دمائهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغري من ارض الكوفة . وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بـ «الذيريح» بالمسير الى قبر الحسين بن علي رضى الله عنهما ، وهدمه ومحو ارضه ، وازالة اثره ، وان يعاقب من وجد به .

ثم يقول المسعودي : ولم تزل الامور على ما ذكرنا الى ان استخلف المنتصر ، فأمن الناس ، وتقدم بالكف عن آل ابي طالب وترك البحث عن

---

(١) راجع : « تاريخ العرب » السيد امير علي ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

اخبارهم ، وان لا يمنع احد زيارة الحيرة وقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل ابي طالب . وامر برد فدك الى ولد الحسن والحسين. وأطلق أوقاف آل ابي طالب، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم..»(٢).

وبعطفه الشديد على العلويين وآل ابي طالب احسن المنتصر اليهم في مدة حكمه وفرق فيهم الاموال واعاد القبور الى ما كانت عليه من قبل . فأمر ببناء الحائر من جديد بعد ان هدمه المتوكل مرات عديدة في أيام حكمه . وبنى على المرقد الشريف ميلا عاليا يرشد الناس اليه ، وشجع الناس على زيارته(٣) .

والعمارة الثالثة للحائر المقدس على قبر الحسين عليه السلام هي التي أمر بها المنتصر في مفتتح عهده في عام ٢٤٧ من الهجرة .

---

(٢) « مروج الذهب » بهامش الجزء التاسع من تاريخ ابن الاثير ص ١٦٤ — ١٦٥ وقد ورد فيه اسم « الذيريح » وصوابه الديزج كما جاء فى بقية الكتب .

(٣) ١ — « نزهة اهل الحرمين» ص ١٧ — ٢ — « اعيان الشيعة »٤ر٣٥٠ .

الفصل الخامس

الحائر وعمارته الرابعة فى عام ٢٨٣ من الهجرة على يد الداعي الصغير محمد بن زيد بن الحسن الحسنى

والعمارة الرابعة للحائر ملك طبرستان المقدس هي التي شيدت حوالي عام ٢٨٣ من الهجرة تقريبا . لان البناء الذي اقيم على القبر المطهر في عهد المنتصر في عام ٢٤٧ـ٢٤٨ هـ كان قد سقط مرة واحدة في ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ . وقد سقطت سقيفة الروضة المطهرة ، حسب الظاهر ، دفعة واحدة وبلا سابق انذار على الزائرين في شهر ذي الحجة من هذه السنة ، فذهبت ضحيتها على ما يظهر خلق كثير نجا الكثيرون منهم .

ويظهر ان الحادث وقع في موسم في كربلاء حينما كان الزوار محتشدين في حرم الحسين عليه السلام ، أي في موسم زيارة العرفة التي هي حسب النصوص الواردة عن الائمة من الزيارات المخصوصة لكربلاء .

وعلى هذا التقدير يكون الحادث قد وقع في اليوم التاسع او العاشر من ذي الحجة من تلك السنة . وهو يوم يكثر فيها الزائرون ، ومن الذين حضروها ونجوا من الحادث هو ابو عبدالله محمد بن عمران بن الحجاج ، وكان هذا على ما يظهر من سياق الخبر من وجوه أهل الكوفة لان ابن عمه ابا الحسن علي بن الحسن بن الحجاج الذي هو السند الاخير لهذه الرواية يروي بأنهم : « كانوا جلوسا في مجلس ابن عمه ابي عبدالله محمد بن عمران ابن الحجاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ ، وفيمن حضر العباس ابن احمد العباسي . وكانوا قد حضروا عنده يهنئونه بالسلامة لانه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام في ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ »(١) .

---

(١) راجع : ١ اعيان الشيعة ، ج٣ فى ذكر تعمير قبر أمير المؤمنين و ج

وهذا هو كل ما وصلنا عن الحادث دون ان نعرف اليوم هل كان سقوط السقيفة على الزائرين في الحقيقة ونفس الواقع امرا طبيعيا في مثل تلك الزيارة العظيمة ولم يكن للسياسة أي دخل او صلة فيه ، فكان قد حصل من تلقاء نفسه لتزعزع سابق في اركان البناء او خلل في الاساس ؟

أم كان للسلطة الحاكمة يد في تدبير الامر من قبل كما سبقت نظائره على عهد المنصور والرشيد والمتوكل بصورة مكشوفة علنية ، وانما اتى الهدم في هذا الدور بهذه الصورة المدبرة الغامضة ولكن بشكل اروع وافظع من ذي قبل ، لانه كان في عين الوقت هدما للقبر المطهر وقتلا للنفوس البريئة ممن اتوا الى زيارة الحسين عليه السلام في مثل هذا الوقت ؟

ولا عجب من أفانين السياسة وطرقها الملتوية . وأي نفس تطمئن الى تدخل من لم يتصل بأي صلة بهذا البيت ؟ وكم يتحدثون اليوم(٢) عن تزعزع في اركان القبة السامية لما اجرى فيها من تجريد الجدران وتقليل قوة استنادها دون ان نعرف ما يخبئه لنا الغد من مفاجئة ؟

٤ر٣٠٥ — ٢ — نزهة « اهل الحرمين » ص ٢٠ نقلا عن كتاب « امان الاخطار » و « فرحة الغري » للسيد بن طاووس ص ٦١ .

(٢) اي قبل سنتين حين كتابة هذه الفصول فى ايام طاهر القيسي وكان كثير التدخل فى امور تعمير داخل الروضة المقدسة واركان القبة السامية حسب رايه الخاص كما كانت تتحدث عنه الناس بمزيد الخوف والقلق على مصير الحائر المقدس . ومن الغريب ان اكثر المتصرفين لكربلاء من بعد عام ١٩٣٤ كانوا يبدون نشاطا معماريا خارقا كانما خلقوا بنائين اكثر من اداريين . وما كان يظهر نشاطهم المعماري الا فى دائرة ضيقة ولذلك اهملت بقية شؤون اللواء الادارية لعدم وجود الوقت لدى الموظف الاداري لها ، ولذلك لم يتقدم اللواء فى نواحيه الصحية والادارية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها فى هذه الحقبة الاخيرة من الزمن .

وبعد سقوط السقيفةفي عام ٢٧٣ هـ بقي الحائر المقدس مكشوفا ،حسب الظاهر لمدة عشر سنين الى ان جدد عمارته في عام ٢٨٣ هـ محمد بن زيد بن الحسن بن محمد بن اسماعيل جالب الحجارة بن الحسن دفين الحاجز بن زيد ابن الجواد بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب الملقب بالداعي الصغير.

ومحمد الداعي الصغير هذا كان قد ملك طبرستان بعد اخيه الحسن الملقب بالداعي الكبير مدة عشرين سنة ، وهو الذي قام بتشييد البناء للمشهدين العلوي والحسيني بالغري والحائر على عهد المعتضد العباسي .

وقد قال محمد بن ابي طالب في كتابه «تسلية المجالس» بهذا الصدد بعد ان ذكر اعادة القبور وتعميرها في ايام المنتصر فقال : « الى ان خرج الداعيان الحسن ومحمد ابنا زيد بن الحسن ، فأمر محمد بعمارة المشهدين، مشهد امير المؤمنين ومشهد ابي عبدالله الحسين ، وامر بالبناء عليهما »[٣] .

ان الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير ، أي الداعي الى الدين الاسلامي ، استطاع في اوائل النصف من القرن الثالث ان يفصل بلاد طبرستان عن جسم الامبراطورية العباسية وينشر الدين الاسلامي بين اهلها ، وان ينادي بنفسه حاكما عليها[٤] . ومن بعده حكمها اخوه محمد الملقب بالداعي الصغير مدة عشرين سنة تقريبا تمكن من تحسين روابطه اخيرا مع المعتضد العباسي الذي حكم من عام ٢٧٨ الى ٢٩٩ وحصل منه على الموافقة ان يعمر المشهدين الشريفين . فزار الداعي الصغير كربلاء ثم النجف الاشرف .وارسل الاموال والكنوز من بلاد العجم لتشييد العمارة عليهما . فشيد للحائر المقدس

---

(٣) « اعيان الشيعة » ج٤ ص ٣٠٦ ، و « نزهة اهل الحرمين » ص ٢٠ ، و « فرحة الغري » لابن طاوس ، و « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١٤ .

(٤) راجع : « تاريخ العرب » للسيد امير علي ص ٢٥١ .

قبة عالية لها بابان ومن حول القبة سقيفتين . ثم عمر السور من حول الحائر وبنى المساكن . واجزل بالعطاء بقدر المستطاع على سكان ومجاوري الروضة المقدسة .

وقد بالغ محمد بن زيد في فخامة البناء وحسن الريازة ، ودقة الصنعة في عمارة الحائر بما يتناسب ومنزلة مشرفه[٥] .

وتفصيل خبر الداعيين الكبير والصغير كما جاء في « مدينة المعاجز » و «تحفة العالم» هو كما يلي :

ان محمد بن زيد بن محمد بن اسمعيل جالب الحجارة ابن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام المعروف بالداعي الصغير الذي ملك طبرستان في سنة ٢٧٣ هـ بعد ان ملكها اخوه الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير الاول وكان ظهوره بطبرستان سنة ٢٥٠هـ وتوفي سنة ٢٧٠ وله كتاب «الجامع في الفقه» وكتاب «البيان» وكتاب «الحجة في الامامة» ولم يعقب. واستولى على الامر بعده ختنه على اخته ابو الحسين احمد بن محمد بن ابراهيم بن علي بن عبدالرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام . وكان اخو الداعي محمد بن زيد بجرجان . فلما وصل اليه الخبر زحف الى ابي الحسين من جرجان سنة ٢٧١ فقتله وملك طبرستان. واقام بها سبع عشرة سنة وسبعة اشهر ، واستولى على تلك الديار حتى خطب له رافع بن هرثمة بنيشابور . ثم لما بلغه أسر عمرو بن ليث توجه نحو تسخير خراسان فتقدم لدفعه محمد بن هارون السرخسي صاحب اسمعيل بن احمد الساماني فقتله في ظاهر جرجان عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليه السلام . وكان فاضلا متدينا حسن السيرة .

---

(٥) راجع : « مجالي اللطف » للشيخ محمد السماوي ص ٣٩ — ٤٠ . طبع النجف ١٣٥٤ .

وكيف ما كان فمحمد بنى على المشهد الشريف قبة وحائطا حتى قيل انه اول من اظهر مشهد جده عليه السلام (يعني مشهد امير المؤمنين) . وهو الذي اخبر الصادق عليه السلام عنه بأنه : لا تذهب الايام حتى يبعث الله رجلا ممتحنا في نفسه في القتل يبني عليه حصنا فيه سبعون طاقا .

قال حبيب الحسين سمعت هذا الحديث قبل ان يبنى على الموضع شيء (أي قبر امير المؤمنين) . ثم ان محمد بن زيد وجه فبنى عليه ، فلم تذهب الايام حتى امتحن محمدا في نفسه بالقتل[٦] .

---

(٦) « تحفة العالم » للسيد جعفر آل بحر العلوم ج١ ص ٢٧١ — ٢٧٢ طبع النجف ١٣٥٤ هـ .

الفصل السادس

الحائر وعمارته الخامسة فى عام ٣٦٩ من الهجرة على يد السلطان عضد الدولة البويهي

ومقابر الملوك البويهيين فى الحائر

والعمارة الخامسة للحائر المقدس هي التي قام بها عضد الدولة فنا خسرو ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي الذي ملك بغداد بعد ابيه في زمن الطائع ابن المطيع العباسي • ولم تطل ايام عضد الدولة لان مدةحكمه كانت خمس سنين وتوفي في سنة ٣٧٢ هـ • وقد زار عضد الدولة كربلاء والنجف وبلغ الغاية في تعظيم وتجليل المشهدين الشريفين بالغري والحائر ، والقيام بعمارتهما والاوقاف عليهما • وكان عضد الدولة يزور كربلاء والنجف في كل سنة • وقد ازدهرت كربلاء في عهده وعهد البويهيين ، وتقدمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فاتسعت تجارتها ، واخضلت زراعتها، واينعت علومها وآدابها ، فدبت في جسمها روح الحياة والنشاط ، فتخرج منها علماء فطاحل وشعراء مجيدون ، وتفوقت في مركزها الديني المرموق •

وقد اطنب ابن الاثير في تاريخه في مآثر عضد الدولة وما تقدم به من الخدمات الجليلة نحو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، ونحو المشهدين المقدسين في الحائر والغري •

ولا تنكر اعماله العظيمة ومآثره الاسلامية الجليلة فقد بالغ في تشييد الابنية حول المشهد الشريف في الحائر فجدد تعمير القبة ، وشيد الاروقة من حوله ، وبالغ في تزيينهما وتزيين الضريح بالساج والديباج ، وعمر البيوت والاسواق من حول الحائر ، وعصم مدينة كربلاء بالاسوار العالية فجعلها كحصن منيع • ثم اهتم بالماء لسكان البلد والضياء للحائر المقدس ، فساق المياه الجارية للطف من مسافات بعيدة ، وخصص اوقافا جارية للانارة

---

(١) راجع : « مجالي اللطف » ص ٤٠ .

والاضاءة[1] . فأحيا كربلاء من جديد باخلاصه لآل البيت الطاهر بعـد ان كادت تلفظ انفاسها الاخيرة من سياسة العباسيين الجائرة واساليبهم الهدامة للحـائر .

وجاء ذكر عضد الدولة وبنائه قبة الامير وقبة الحسين (ع) في رسـالة للشيخ بهاء الدين العاملي في « معرفة شـهور السنة » وفي احـوال شهر شوال يقول :

« وفي الثامن من شوال توفي السلطان الفاضل عضد الدولة الديـلمي وذلك في سنة ٣٧٢ هـ وكان رحمه الله شديد الرسوخ في التشيع ومن بنيانه قبة امير المؤمنين وقبة الحسين (ع) »[2] .

وقد جاء وصف احدى زيارات عضد الدولة للحائر المقـدس والنجف الاشرف في «فرحة الغري» و «تحفة العالم» بما نصه :

« كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطـاهرين الغـروي والحائري في شهر جمادي الاولى سنة ٣٧١ وورد مشهد الحائر لمولانـا الحسين صلوات الله عليه لبضع بقين من جمادي الاولى . فزاره صلوات الله عليه وتصدق واعطى الناس على اختلاف طبقاتهم ، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهمـا ، وكان عددهم الفين ومائتي اسم . ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم . وفرق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائـة الف رطل ، ومن الثيـاب خمسمائة قطعة . واعطى الناظر عليهم الف درهم . وخرج وتوجه الى الكوفة لخمس بقين من جمادي المؤرخ ودخلها وتوجه الى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده ، وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم فأصاب

---

٢) راجع : كتاب « تظلم الزهراء » المؤلف فى عام ١١٨ هـ لرضي الدين القزويني ص ٢٢٢ طبع طهران ١٣١٢ هـ .

كل واحد منهم احد وعشرون درهما ، وكان عدد العلويين الفا وسبعمائة اسم ، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة والف درهم ، وعلى المترددين خمسمائة والف درهم ، وعلى الناحية الف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتبين من الخازن والبواب على يد ابي الحسن العلوي وعلى يد ابي القسم ابن ابي عابد وابي بكر بن سيار رحمه الله »[٣] .

وفي ايام عضد الدولة قام عمران بن شاهين في الحائر ببناء المسجد والرواق المعروف بـ «رواق عمران»[٤] . وعمران بن شاهين هو بالاصل من أهل الجامدة ارتكب جريمة فاضطر ان يهرب منها الى البطائح في الجنوب خوفا من السلطان ، فاستفحل امره هناك بالتدريج فشكل له امارة مستقلة بالبطائح خلفوه عليها اولاده في الحكم . وفي ايام عضد الدولة شق عليه عصا الطاعة فالتجأ بحرم امير المؤمنين (ع) وعفى عنه عضد الدولة . وهو الذي « بنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الشريفين الغروي والحائري على مشرفها السلام[٥] » . وقيل في سبب ذلك انه « نذر لله تعالى ان نجاه من بأسه ان يبني له في كل من المشاهد الثلاثة في النجف والحائر والكاظمية مسجدا . فلما نجا منه بنى المساجد المذكورة . وكان مسجد النجف متصلا برواق الحرم المقدس ثم فصل عنه بالصحن الشريف الذي بناه الشاه عباس الصفوي وله اليوم بابان : باب عند الباب الطوسي وباب في الصحن اندرست آثاره . ويعرف هذا المسجد حتى اليوم بمسجد عمران »[٦] .

---

(٣) راجع : « فرحة الغري » ص ٥٩ و « تحفة العالم » ج١ ص ٢٧٣ .

(٤) « مجالي اللطف » ص ٤٠ و « أعيان الشيعة » ج٤ ص ٣٠٦ .

(٥) « فرحة الغري » لابن طاوس ص ٦٧ ويذكر القصة مفصلا .

(٦) « آثار الشيعة الامامية » لعبد العزيز الجواهري ص ١٢٧ طهران ١٣٤٢ هـ .

مقابر الملوك فى الحائر المقدس

ان الخدمات الجليلة التي قام بها الملوك البويهيون نحو البيت الطاهر فهي مما لا تنكر ولا تنسى والتاريخ أقوى شاهد على ذلك . فقد خدموا العتبات المقدسة في حياتهم باخلاص منقطع النظير ، وبعد الموت التجأوا الى تلك المشاهد فمنهم من اتخذوا ارض النجف الاشرف لهم مقرا ابديا ، ومنهم من استجاروا بالحائر المقدس واختاروا مدافنهم الخالدة في شرقي حرم الحسين عليه السلام حيث يقع الآن مايسمى بالصحن الصغير لتميزه عن صحن الحسين عليه السلام .

وهذا الصحن الصغير هو هذه الساحة المسورة الفخمة الاثرية القديمة من العصر العباسي الثاني ، والتي يزين جدرانها العالية الرفيعة ذلك الكاشاني الاثري البديع الصنع ، وتزين سقوف مداخلها المقرنصات الفنية البديعة المعلقة على طول السقف في شبه اسطوانات هندسية الشكل ذات الاضلاع والزوايا المتداخلة المتنوعة والدقيقة الصنع والتركيب ، والمتلبسة كلها بأحسن تلبيس فني هندسي كامل بالفسيفساء والكاشاني المعرق من النوع القديم الممتاز النادر والثمين لأن البناء كله يرجع الى ألف سنة بالضبط من عهد البويهيين الى اليوم .

ومقرنصات سقوف مداخل هذا الصحن الصغير هي على شاكلة المقرنصات الموجودة لكن من نوع أوطأ منها في سقوف بعض المداخل الاخرى لصحن الحسين (ع) وتتصل هذه البناية المجللة التاريخية ، أو الصحن الصغير كما يعبر عنه اليوم ، من جهة الغرب بصحن الحسين عليه السلام وبينهما دهليز واسع كبير مزين تقريبا بنفس التزيين الفني ولكن من نوع أوطأ من ذلك الفسيفساء والكاشاني القديم مما تتنافس متاحف العالم على اقتناء أمثالها .

وأما من جهة الشرق فتقع على مفترق طرق البلدة الشمالية والشرقية

والجنوبية بجانب السوق الكبير في قلب المدينة ، ولها مدخلان : مدخل شمالي ويدعى اليوم بـ « باب الصحن الصغير » ومدخـل شرقي يدعى بـ « باب الصافي » نسبة الى مقبرة تقع على جانب الباب وهي عائدة الى بيت مهدي الصافي » نسبة الى مقبرة تقع على جانب الباب وهي عائدة الى بيت السيد مهدي الصافي من سادات ووجهاء كربلاء السابقين. ومن هذا المدخل أو الآخر يقصد الزائر عادة حرم العباس (ع) بعد أداء الزيارة لحرم الحسين (ع).

وقد اتخـذ الملوك البويهيين هذا المحل مدافن لهم في الحائر المقدس لتكـون قبورهم على طريق الزائرين بين الحرمين الشريفين ، فشيدوا هـذا البناء الهندسي الجميل الطرز والاسلوب،وهو بمجموعه آية في الفن والصنعة وهو من الابنية الاثرية التاريخية القديمة يرجع عهده الى العصر العباسي في القرن الرابع والخامس من الهجرة وجعلوه من ملحقات الحائر وتوابعـه . وكانت تقع مقابرهم في وسط الساحة في سرداب منظم تحت الارض والبعض الاخرى على جانبي المدخل الرئيسي الذي هو المدخل الشمالي لها وذلك في داخل حجرتين مجللتين مبنيتين بأجمل طرز من طراز المقابر القديمة وجدرانها مزينة من الداخل والخارج بالكاشاني القديم البديع الصنع ، وفي صـدر كل مقبرة منها حجرة خاصة في وسطها مأذنة أثرية قديمة يرجع عهدها الى زمن البويهيين ، وهكذا تقع على جانبي المدخل الشمالي لهـذا البناء تـلك المأذنتان البويهية القديمة والمنقوشة عليها الآيات القرآنية بالكتابة الكوفية وقد قطعت رؤوسهما في التعميرات التي جرت خلال العصور المتأخرة حسب الظاهر فاصبحتا مخبوئتين في داخل البناء الى حد السطح وكان لها درج لولبي من داخل المأذنة يصعد اليها ، وللمأذنة الغربية منها « ديدبان » أي منظار كان يجلس فيه محافظ مقابر الملوك للمراقبة والمحافظة في تلك العصور الخالية وكان ينتهي هذا « الديدبان » من المأذنة المذكورة الى فوق مقبرة الطباطبائية

الحالية من الشباك الذي كان يشرف على باب هذه المقبرة •

وهذا وصف جامع لبناء مقابر الملوك الموجود الآن في الجهة الشرقية من صحن الحسين عليه السلام عند مدخل أسواق المدينة والذي هو جزء من الحائر المقدس • ولكن ألم يوقف البويهيين مع ثروتهم الطائلة وسطوتهم الفائقة في عصرهم أملاكا وأوقافا لمدافنهم أو لحرم الحسين عليه السلام ؟ فأين صارت تلك الأوقاف ؟ اصارت فيما صادره السلطان العثماني مرادالرابع من أملاك الشيعة وأوقافهم عند فتحه العراق في سنة ١٦٣٨ م ؟ اذ ان المستر لونكريك الانكليزي يحدثنا في كتابه « اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٧٩ — ٨٠ طبع بغداد ١٩٤١ » بأن السلطان مراد الرابع « رسم للمفتى يحيى أن يعيد بناء قبة الشيخ عبد القادر الگيلاني وأوقفت لها أوقاف كثيرة معظمها من أملاك الشيعة » •

ولعل أن خان الپاشا الكبير بقرب الصحن في كربلاء وأوقاف التكية الخالدة في سوق النجف وغيرهما أيضا هي من جملة ما صادره مراد الرابع من أوقاف العتبات المقدسة • والا بأي مناسبة يكون للگيلاني او لخالد ابن الوليد أوقاف في العتبات المقدسة في كربلاء والنجف ؟ فأين صارت اذن تلك الاوقاف ؟ ومثل تلك الاوقاف ايضا الاوقاف الحسينية لمأذنة العبد المشهورة التي هدمت ظلما في عام ١٣٥٤ من الهجرة لبناء فخامة صورية زائلة من أنقاض فخامتها التاريخية الصامدة ، فكان هدمها تعميرا للآخرين •

وهذا الوصف لمقابر الملوك والصحن الصغير التابع للحائر المقدس كان قبل أن تتناولها وتتناوله معاول الهدم ، وأما اليوم فقد أصبحا في خبر كان وازيلا من عالم الوجود زوال الاوراد بسموم القيظ ، ولم يبق لهما من أثر الا في اعماق النفوس الحريصة على الآثار الفنية القديمة التي تعد مفخرة للشعب الذي يملك مثلها وكان لنا أمثالها ولم تقدرها مع الاسف •

ومن الغريب الاختلاف في هذا البلد بين البلديات التي تهدم الآثار التاريخية لأتفه سبب وبين مديرية الآثار القديمة التي تبذل قصارى جهدها في المحافظة على أقل أثر تاريخي حفظا للتاريخ ودعاية للعراق في الخارج ،فتجد كيف أن هذه تحافظ مثلا على جبهة باب بسيط لخان أو رطمة بسوق العطارين في بغداد لانها من الآثار القديمة ، وكيف أن تلك تهدم المباني التاريخية للعصر العباسي الواحد تلو الاخرى في كربلاء بدون أي مانع أو رادع . أهذا يجري في بلد واحد حفظها في جهة وهدمها في جهة أم في بلدين ؟ والحق أن ذلك لغريب جدا ولا يقبل التأويل . تعين عبدالرسول الخالصي متصرفا لكربلاء قبل المحرم ببضعة أيام وفورا باشر بالهدم فيموسم الزيارات في ذلك الشتاء القارص في صباح يوم الاربعاء ٢٢ محرم ١٣٦٨ هـ الموافق ٢٤/١١/ ١٩٤٨ (٧) سلط المعاول على الصحن الصغير تسليط القنابل الذرية فدمرها وآثارها الفنية الثمينة تدميرا خلال أقل من يومين أو ثلاث كأنه يهدم اكواما من تراب لاأبنية تاريخية وآثار فنية ثمينة . فقد شاهدنا هذا الهدم وكان قد استعملوا لأجله قوات الحكومة كلها من الشرطة والمفوضين والمعاونين وفراشي البلدية والمحاسب والمهدس وأتباعه وقد سدوا الاطرق من كل صوب وقطعوا حركة المرور من كل جهة ، وكان التهديم يجري بسرعة عجيبة ، وتتطاير قطع المآذن البويهية وكتل الجدران الضخمة في الفضاء . والسبب في كل ذلك أن البعض من رجال الدين أضربوا عن

(٧) وقبلة كان قد باشر المومإ اليه في يوم الاثنين ١٣ محرم ١٣٦٨ = ٤٨/١١/١٥ وهو يوم ثالث الامام (ع) ويوم مجيء بني اسد الى كربلاء وفيها خلق عظيم من الزائرين بهدم المدرسة الزينبية وهي من امهات المعاهد الدينية الحائر المقدس . كما وان في يوم الخميس ١٦ محرم ١٣٦٨ = ٩٤٨/١١/١٨ باشر بهدم مدرسة السردار حسن خان وكانت افخم واعظم مؤسسة دينية اسلامية تخرج منها كثير من فحول اساطين العلم في كربلاء .

صلاة الجماعة حزنا على هدم تلك الاماكن الدينية فهـددوا البعض منهم بالسوق الى المحاكم العرفية كما وهدد الذين قطع عن بيوتهم التيار الكهربائي فيمـا بعد وقد بلغ عددهم ما يقرب من الخمسين [٨] بمثل هـذا التهديد أيضا ، كأن تلك المحاكم في نظره وجدت لالمكافحة الصهيونية وانقاذ فلسطين من الخطر وانما لمثل هـذه الامور التافهة ، وهدد الآخرين منهم بالتبعيد والتسفير من العراق مستسيغا ذلك وبهذا النوع قضى بعد ألف سنة كاملة على تلك البناية التاريخية الجليلة فاصبحت جزءا من شارع ما كان يضر لو كان يبعد عنها بعض الامتار فكان الحائر المقدس أيضا يحتفظ بآثاره وتوابعه. ولا يظن أحد بأن باب التفاهم كان مسدودا مع الحكومة لان الحكومة هي التي ترأف بالاهلين وتشرف على مصالحهم وتحقق آمالهم وتمنياتهم الوطنية والدينية وقد كان للحائر بهذا الصحن الصغير من جهة الشرق مدخل ملوكي لائق للداخل والخارج من الامراء والملوك والعظماء ، وأما اليوم فقـد اصبح له ذلك المدخل المنخفض المظلم المسرح كأنه ينزل الى سرداب تحت الارض. وأما تلك البناية التاريخية الاثرية فأصبحت اليوم أرضا خالية على عرض ١٥ مترا في خمسة وعشرين مترا في شرقي المدخل الواقع في الساحة الكبيرة التي يمتد في شرقيها « شارع علي الاكبر » الى حرم العباس عليه السـلام فكأنها لم تكن .

ولم نستعرض هذه الحوادث الا لصلتها بالحائر وذلك لما يتحتم على المؤرخ من واجب الصدق والامانة لا لأي شيء آخر .

---

(٨) ولذلك علق قطعة كبيرة على غرفة المتصرفية مكتوب عليها « لاتراجعوا فى قضية الكهرباء رجاء » فأصبح البلد فى هلع وجزع من كل جهة ، واعترض البعض عليه بأن هل يوجد متصرف غيرك حتى نراجعه فى مهامنا .

الفصل السابع
الحائر وعمارته السادسة على يد الوزير ابن سهلان الرامهرمزي ما بعد الحريق
في حرم الحسين (ع) في عام ٤٠٧ من الهجرة

تجددت عمارة الحائر المقدس في أوائل القرن الخامس من الهجرة للمرة السادسة ، لأن البناء الذي كان قد شيده عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي على القبر المطهر حوالي عام ٣٦٩ ـ ٣٧٠ هـ لم يقدّر له البقاء فانهار هذا البناء قضاء وقدرا أو بغيره على أثر حادث غريب فجائي في الحائر الشريف ، وهو ان حدث حريق هائل في داخل الروضة المطهرة أثناء الليل في شهر ربيع الاول سنة ٤٧٠ هـ التهمت النار أولا التأزير والستائر ثم تعدت الى الاروقة والقبة السامية فأنهار البناء بأجمعه ولم يبق منه ـ على ما يظهر ـ غير السور الخارجي وشيء من الحرم .

وقد وصف الحادث وأسبابه الظاهرية بعد قرن ونصف من حدوثه أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « تاريخ الملوك والامم » وهو أقرب مؤرخ اليه بقوله :

« وفي شهر ربيع الاول سنة ٤٠٧ من الهجرة احترق مشهد الحسين عليه السلام والاروقة . وكان السبب أن القوام أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في جوف الليل على التأزير فاحرقتاه ، وتعدت النار » [1] .

ثم يصف الحادث من بعده بصورة اكثر توضيحا وتفصيلا ابن الاثير في تاريخه في حوادث عام ٤٠٧ من الهجرة بقوله :

« وفي هذه السنة في ربيع الاول احترقت قبة مشهد الحسين والاروقة

(١) راجع : « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » لابي الفرج ابن الجوزي ج٧ / ٨٢٢ ط حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .

وكان سببه انهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في الليل على التأزير فأحترق وتعدت النار » [٢] .

وهذا الحريق في الحائر كان قد وقع حسب القرائن اما في آخر العشرة الاولى أو في أوائل العشرة الثانية من ربيع الاول الامر الذي ينفي كونه حصل بدون مسبب وما كان القادر بالله العباسي بمعزل عن هذه الحوادث والفتن التي انتشرت في تلك السنين على عهده في طول البلاد الاسلامية وعرضها كما سنبحث عنها ببعض التفصيل في الفصول القادمة .

ولما اضطرب حبل الأمن من دسائسه اضطروا الى اسناد منصب الوزارة الى رجل مخلص قدير من ذوي الخبرة والمقدرة السياسية لتهدئة الاحوال ، واعادة الامن ، وارجاع الطمأنينة والسكينة الى النفوس ، فتعين في أوائل الشهر التالي لتلك الحوادث ابن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة البويهي كما ذكر ابن الجوزي في تاريخه (ج٧ ر٢٨٢):« وفي ربيع الآخر خلع على أبي محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزي خلع الوزارة من قبل سلطان الدولة ، وهو الذي بنا سور الحائر بمشهد الحسين » .

فكان اول ما قام به ابن سهلان من تدارك أخطاء السياسة الجائرة العنيفة أن أمر بتجديد بناء السور للحائر المقدس كما نص عليه ابن الجوزي وابن كثير الشامي في « البداية والنهاية ج١٢ ص ١٦ » . وهذا السور الذي بناه ابن سهلان للحائر في تلك السنة هو السور الذي ذكره ابن ادريس في كتاب « السرائر » عند تحديده الحائر في عام ٥٨٨ من الهجرة . فقد جدد ابن سهلان السور الخارجي وأقام العمارة من جديد على القبر المطهر بأحسن من ذي قبل ، وهذه العمارة هي التي رآها ووصفها ابن بطوطة في رحلته

---

(٢) ابن الاثير ج٩ / ١٠٢ — و « البداية والنهاية » لابن كثير الشامي ج١٢ ص ٤ و ٥ .

التي كانت في سنة ٧٢٧ من الهجرة لكربلاء • وعدا ذلك فابن سهلان هو الذي بنى السور لصحن النجف الاشرف بسبع سنين قبل بنائه سور الحائر كما يحدثنا ابن الاثير في « الكامل ج٩ ص ٧٥ » أثناء عرضه لحوادث سنة ٤٠٠ بقوله :

« وفيها — أي في سنة ٤٠٠ — مرض أبو محمد بن سهلان فأشتد مرضه فنذر ان عوفي بنا سورا على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام • فعوفي فأمر ببناء سور عليه فبني في هذه السنة وتولى بناءه أبو اسحاق الارجاني » •

فهكذا كان الامر ، أما اليوم فيندرون شبابنا حسب الظاهر بأنهم لو وصلوا كراسي الحكم يهدمون آثار الحائر وتوابعه بدون اشفاق تفائلابه؛ فان ابن كثير في البداية والنهاية (ج١٢ ص ١٦) فان : « الحسن بن الفضل بن سهلان أبو محمد الرامهرمزي وزير سلطان الدولة وهو الذي بنى سورالحائر عند مشهد الحسين قتل في شعبان منها — أي من سنة ٤١٤ — كأنه يريد أن يلمح بذلك بأن السبب في قتله كان بنائه السور للحائر المقدس وهو غريب جدا •

وقد مضى أكثر من قرن واحد على عمارة الحائر السادسة التي قام بها ابن سهلان دون أن يحصل للقبر المطهر ، حسب الظاهر ، ما يستحق الذكر الا ما حصل له في خلافة المسترشد بالله العباسي في سنة ٥٢٦ من الهجرة •

فكأنما السياسة الارهابية عادت ثانية في أيامه فضاقت الارض على رحبها على الشيعة ، وكانت خزائن الحائر المقدس في ذلك الوقت قد امتلأت بالاموال والنفائس من النذور والموقوفات ، فوضع المسترشد يده عليها

وضبط لنفسه كل ما وجد في خزائن الحائر من الاموال والمجوهرات كما فعله المتوكل من قبله فأنفق قسما منها على جيوشه قائلا : ان القبر لايحتاج الى خزينة وأموال ، مكتفيا بهذا السلب دون أن يتعرض ، حسب الظاهر ، للحائر أو يمس القبر المطهر بسوء [٣] وفي ذلك كان أحسن سلوكا من غيره .

---

(٣) البحار ج ٢٩٧/١٠ و « تظلم الزهراء » ص ٢١٩ وتاريخ كربلاء المعلى ص ١٣ .

الفصل الثامن

الحائر وعمارته السابعة فى عام ٦٢٠

من الهجرة على يد أحمد الناصر لدين الله العباسي

لم يطرأ على الحائر المقدس — حسب الظاهر — خلال القرنين الخامس والسادس من الهجرة من الحوادث والكوارث ما يستلزم اعادة بناءه أو تشييد عمارته من جديد عدا ما كان من أمر المسترشد بالله العباسي من ضبط أمواله وسلب خزائنه المملوءة بالنفائس والمجوهرات في سنة ٥٢٦ هـ كما سبق . فبقي البناء على ما يظهر كما شيده الوزير ابن سهلان وزير سلطان الدولة الديلمي في سنة ٤٠٧ هـ الى أيام أبي العباس احمد الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢) .

وكان الناصر لدين الله — على ما يحدثنا التاريخ — حاكما قديرا ، وان عصره الطويل الذي دام سبعا وأربعين سنة كان عصر رخاء وعظمة حربية ، فقد أسس جيشا قويافكان محترما مرهوب الجانب منجميع الامراء المجاورين له . وساد في عهده السلم وانتشر الامن في ربوع البلاد [1] .

ومضافا الى عظمته وسجاياه الرفيعة فقد كان أحمد الناصر محبا لآل بيت الرسالة الطاهر مواليا لهم بخلاف آبائه واسلافه .

وقد جاء بهذا الصدد في « مختصر اخبار الخلفاء » لعلي بن أنجب بأن: « الناصر بن المستضيىء كان يتشيع ، ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه . وقد جعل مشهد الامام موسى الكاظم عليه السلام والرضوان أمنا لمن لاذ به . فكان الناس يلتجأون اليه في حاجاتهم ، ومهماتهم ، وجرائمهم

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد امير علي ص ٣٢٨ .

فيقضي الناصر لهم حوائجهم ، ويسعفهم فيما أهمهم ،ويعفو عن جرائمهم »[٢] .

وقد ازدهرت كربلاء والعتبات المقدسة على عهد الناصر ،وتشجع الزائرون على زيارتها من كل حدب وصوب . وفي النصف قرن من حكمه الطويل شجع على تقدم الحائر ، ومع ان العمارة التي كان قد شيدها ابن سهلان الوزير على القبر المطهر في أوائل القرن الخامس لم تكن بحاجة الى التجديد، ولكن الناصر بدافع الولاء والاخلاص أراد أن يزيدها بهاء وجلالا فأمر وزيره القدير مؤيد الدين محمدا المقدادي القمي ان يقوم باصلاح شؤون الحائر وتعميره بما ويتناسب المقام . فقام الوزير في سنة ٦٢٠ من الهجرة وهي في أواخر حياة الناصر بتشييد القبر المطهر ، فشيد ذلك المقام الرفيع وكسا جدران الروضة بأخشاب الساج وزينه بالحرير الموشى والديباج [٣] . كما وانه أمر بمثل تلك الاصلاحات في بقية الاعتاب المقدسة ومثلها بسامراء فبنى فيها سرداب الغيبة وجعل فيه شباكا من الآبنوس الفاخر أو الساج وحفر عليه هذه الآية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » .

وكتب على دائر باب الصفة لسرداب الغيبة اسمه وتاريخ عمله : (هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض طاعته على جميع الانام أبو العباس احمد الناصر لدين الله) .

ونقش في خشب الساج داخل الصفة المذكورة على واجهة الجدار ما صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي ولي

---

(٢) راجع : « مختصر اخبار الخلفاء » لعلي بن انجب ، ص ١١١ .

(٣) « مجالي اللطف » ص ٤١ .

الله ، فاطمة ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين ، محمد ابن علي ، جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ، محمد بن علي ، علي بن محمد ، الحسن بن علي ، القائم بالحق (ع) [٤] . والباب المنصوب في وسط شباك الصفة هو موجود على حاله لحد اليوم كأنما فرغ منه الصناع الآن ، وهو من الآثار الفنية الثمينة من العصر العباسي الاخير ولا زال ينطق بمآثر الناصر لدين الله واصلاحاته الكثيرة في المشاهد المشرفة. وهكذا حفظ له التاريخ الذكر الجميل مع الثناء على أعماله ومآثره .

---

(٤) « الكنى والالقاب » للشيخ عباس القمي ج٣ ص ١٩٦ صيدا نقلا عن « أعيان الشيعة » .

الفصل التاسع

الحائر وعمارته الثامنة في عام ٧٦٧

من الهجرة على يد السلطان اويس الجلائري وخلفائه

إن العمارة البويهية التي شيدها للحائر المقدس ابن سهلان وزير سلطان الدولة الديلمي في عام ٤٠٧ على أثر الحريق في حرم الحسين عليه السلام مع ما أدخل عليها الوزير مؤيد الدين محمد المقدادي القمي بأمر الناصر لدين الله العباسي من التجميل والتعمير الحديث في عام ٦٢٠ هـ عاشت ـ على ما يظهر ـ أكثر من ثلثمائة وستين عاما فأجتازت القرن الخامس والسادس والسابع الى أواخر القرن الثامن بسلام دون أن تصاب بأذى أو تمس بسوء فأدركت سقوط الدولة العباسية وتشكيل الدولة المغولية من الايلخانية والجلائرية في العراق . وهي ذلك البناء الذي شاهده ابن بطوطة عندما زار كربلاء في سنة ٧٢٧ من الهجرة ووصفه في رحلته بقوله :

« ثم سافرنا الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام . وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ، ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة ، وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر ، وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لايدخل أحد الا عن اذنهم فيقبّل العتبة الشريفة وهي من الفضة . وعلى الضريح قناديل الذهب والفضة. وعلى الابواب أستار الحرير . وأهل هذه المدينة طائفتان : أولاد زحيك ، وأولاد فائز وبينهما القتال أبدا . وهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد . ولأجل فتنهم تخربت هذه المدينة » [1] .

---

(١) « رحلة ابن بطوطة » ج١ ص ١٣٩ طبع مصر ١٣٥٧ هـ .

وهذه العمارة الموجودة الآن على قبر الحسين عليه السلام ليست بويهية كما هو مشهور بين الناس ، لأن تاريخها يرجع الى عام ٧٦٧ من القرن الثامن الهجري أي بأكثر من ثلاثة قرون من بعد انقضاء الدولة البويهية التي كان انقراضها في سنة ٤٤٧ هـ ، فيكون الفرق بين هذا التاريخ وبين تاريخ العمارة الثامنة أكثر من ٣٢٠ سنة . ولا هي من عمارة العباسيين لانقراض دولتهم في سنة ٦٥٦ من الهجرة أي بمائة واحدى عشرة سنة قبل هذا التاريخ أيضا .

فقد تمت هذه العمارة في عهد السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلائري ، فانه شيد المسجد والحرم في عام ٧٦٧ أي بأربعين سنة تماما من بعد زيارة ابن بطوطة لكربلاء . ثم أتم بناء الحائر وأكمله من بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد . وقد وجد تاريخ هذا البناء في تلك السنة مكتوبا فوق المحل المعروف الآن عند العامة بـ « نخلة مريم » (٢) في الجهة الجنوبية الغربية من حرم الحسين عليه السلام مما يلي الرأس المطهر . وقد شاهد هذا التاريخ — على ما ورد في تاريخ كربلاء المعلى — محمد بن سليمان بن وزير السليماني . وقد بقي هذا التاريخ محفوظا في المحل المذكور الى عام ١٢١٦ من الهجرة وهي السنة التي شن الوهابيون بقيادة زعيمهم ابن سعود تلك الغارة الرهيبة على كربلاء فنهبوا وسلبوا وهدموا ودمروا ما استطاعوا ، وقتلوا وذبحوا أكثر من عشرة آلاف نسمة من النفوس البريئة ما بين رجال عزل من السلاح والنساء والاطفال . وقد رفع العثمانيون في تلك السنة هذا التاريخ من محله ومحوا أثره في أيامهم .

---

(٢) ان طاهر القيسي لتدخله الزائد فى امور الروضة المقدسة وآثارها وبنائها فقد اصر على رفع هذا المحل التاريخي المعروف بـ « نخلة مريم » وفى الحقيقة لايعرف سبب تدخل المتصرفين الاخيرين فى امور تتعلق بحرم الحسين عليه السلام لا بادارة اللواء من نواحيها المختلفة .

ولم تبق عمارة السلطان أويس — حسب الظاهر — على ما كانت عليه في أول عهدها ، بل أصلحت مرارا عديدة وزيد عليها مع الايام بالتدريج من قبل أمراء ورجال وملوك الشيعة والسلاطين العثمانيين وغيرهم كما سنبحث في الفصول القادمة •

وأما سبب قدوم السلطان أويس الجلائري الى العراق وتجديده بناء الحائر المقدس في تلك السنة هو أن أويس ملك العراق وخراسان من بعد أبيه الامير الشيخ حسن مؤسس الدولة الجلائرية وكانت عاصمته تبريز فولى على بغداد عبده الامير جان على ما ورد ذكره بهذا الاسم في تاريخ « حبيب‌السير » والمعروف مختصرا بـ « مرجان » وهو صاحب « جامع مرجان » الموجود في رأس سوق الشورجة ببغداد • فأراد مرجان أن يستقل بالعراق فرفع رأية العصيان وامتنع من طاعة مولاه فجهز أويس جيشا لتأديبه ولما قرب من بغداد لم يتمكن مرجان من مقاومته لأن أعوانه تفرقوا عنه فما بقي أمامه الا التسليم ولكن التسليم كان يؤل به الى القتل ، فأستشار خواص أصحابه فيما يعمل فأرشدوه أن يلتجأ الى حرم الحسين عليه السلام فأخذ أمواله وهرب الى كربلاء • فدخل أويس بغداد منتصرا ، وهذا هو عين ما يحدثنا به ابن كثير الشامي في « البداية والنهاية ، ج١٤ ص ٣٢٠ » بقوله :

« وفي هذا الشهر — أي شعبان سنة ٧٦٧ هـ — بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد الطواشي مرجان الذي كان نائبه عليها وأمتنع من طاعة أويس • فجاء اليه بجحافل كثيرة ، فهرب مرجان ، ودخل أويس الى بغداد دخولا هائلا وكان يوما مشهودا » •

فأستجار مرجان في كربلاء بحرم الحسين عليه السـلام ، ثم قام ببناء المأذنة المشهورة بـ « منارة العبد » في الزاوية الشرقية من الحائر مع المسجد الذي بجانبها من أمواله وجعل أملاكه في بغداد وكربلاء والرحالية وعين التمر وغيرها وقفا للحسين يصرف واردها على تلك المأذنة والمسجد •

ولما أطلع أويس على حقيقة أمره وعرف بأنه تبرع بما كان يملكه لحرم الحسين (ع) عفا عنه ثم أمر باحضاره فأكرمه على هذا العمل وأطلق له الامر وأعاده الى مقامه .

وهذا هو عين ما يحدثنا به أيضا ابن كثير الشامي بصورة موجزة في « البداية والنهاية ، ج١٤ ص ٣١٩ » لانه معاصر لهما ومرت الحوادث أمامه بمشاهـدة أو سماع لانه توفي بعد ذلك بسبع سنين أي في سنة ٧٧٤ هـ واليك ما يقوله :

ان بغداد بعد أناستعادها اويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشى مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له . فأتفقا أن أصل الفتنة من الامير أحمد أخي الوزير ، فأحضره السلطان الى بين يديه وضربه بسكين في كرشه فشقه وأمر بعض الامراء فقتله » .

ولما رأى اويس ما قام به العبد من تعظيم لشعائر الحائر المقدس وبذل امواله واملاكه وقفا عليه وكان الاولى ان يقوم هو بذلك فأقدم كما سبق على تجديد عمارة الحائر واتمها من بعده ابناه السلطان حسين والسلطان احمد كما جاء ملخصها منظوما في كتاب « مجالي اللطف بأرض الطف ، ص ٤١ » للعلامة الجليل الشيخ محمد السماوي احد اعلام النجف :

ثم بنى القبة بعد الدائر	أويس بن الحسن الجلائري
اذ جاء من مقره بجنده	يريد بغداد لقتل عبده
أعني به مرجان اذ تمردا	حتى اذا جند اويس وردا
فارقه من منعوه الطاعة	فلاذ بالحسين للشفاعة
ثم بنى المسجد والمنارة	فاتسببت للعبد ذي الامارة
وكان ذا في السبع والستينا	من بعد سبع قد خلت مئينا
فأصدر الصفح اويس وعفا	عن عبده اذ لاذ بابن المصطفى

ورده بعد قليل واليا فنال في بغداد حكما تاليا
ثم بنى نجل اويس احمد منارتين فاستنار المشهد
حليتا من ذهب بتلوين فارخوه (دو ستون زرين)[٣]
يعنون تاريخا (طلاهما ذهب)[٤] ذلك للعجم وهذا للعرب
وشيد البهو مع المنائر ووسع الصحن بهدم الدائر

ولكن هدمت «منارة العبد» هذه ظلما في سنة ١٣٥٤ من أجل اوقافها.

---

(٣) أي ٧٨٦ هـ وهو تاريخ بناء المأذنتين على عهد السلطان احمد بن أويس.

(٤) وهو نفس التاريخ بالعربية أي ٧٨٦ من الهجرة .

الباب الخامس

الحائر وأدوار الهدم والتخريب

والتدمير والنهب والسلب والحرق

١ ـ الحائر وما مرت عليه من الادوار المظلمة .

ـ هدم الحائر لاول مرة على عهد المنصور فى أوائل حكمه ـ .

٢ ـ الحائر وهدمه على عهد الرشيد فى سنة ١٩٣ من الهجرة .

٣ ـ الحائر وهدمه على عهد المتوكل فى أعوام ٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٧ من الهجرة .

٤ ـ الحائر وهدمه بسقوط السقيفة على عهد الموفق ٩ ـ ١٠ ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ .

٥ ـ الحائر ونهبه على يد ضبة بن محمد الاسدي فى سنة ٣٦٩ من الهجرة .

٦ ـ الحائر وهدمه حرقا على عهد القادر بالله العباسي فى ربيع الاول ٤٠٧ من الهجرة .

٧ ـ الحائر ونهب أمواله وخزائنه على يد المسترشد بالله العباسي فى سنة ٥٢٦ من الهجرة .

٨ ـ الحائر ونهبه على يد المشعشعيين فى سنة ٨٥٨ من الهجرة .

٩ ـ الحائر والهدم والحرق والنهب والقتل على يد الوهابيين فى ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦ .

١٠ ـ الحائر ومأذنة العبد المشهورة ، تاريخها وهدمها فى سنة ١٣٥٤ من الهجرة .

الفصل الاول

الحائر وما مرت عليه من الادوار المظلمة

توالى الهدم والتخريب ، والسلب والنهب للحائر المقدس من قبل الطغاة والجائرين ، كما توالى عليه التعمير من قبل الغيارى من المسلمين الحقيقيين طبقا لما ورد فيه من حديث عن السجاد عن النبي (ص) : «وينصبون بهذا الطف علما لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام . وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد اثره الا ظهورا ، وامره الا علوا »[1] .

والذين سعوا مباشرة أو بغير مباشرة ، بالذات او بالواسطة في هدم قبر سيد الشهداء (ع) وتخريبه ، وتدميره ومحو آثاره ، وتطميس معالمه ، أو التقليل من شأنه والتخفيف من مظاهره فانهم بموجب هذا الحديث النبوي الشريف على قسمين : أئمة الكفر ، واشياع الضلالة واتباعها . فان القائمين منهم بالامر هم أئمة الكفر . والمنفذين للامر «أشياع الضلالة واتباعها» كانوا مسلمين أو غير مسلمين . وقد مرت على القبر المطهر منذ الصدر الاول فترات مختلفة عديدة سعت فيها أئمة الكفر واذنابها من اشياع الضلالة في هدم قبر ريحانة الرسول ، ومحو آثار الحائر ، وتطميس معالمه كلها او بعضها . فكان في كل مرة لا يزداد اثره الا ظهورا ، وأمره الا علوا .

ولعل الفترة التي مضت على القبر المطهر من بعد وقعة الطف الى اواخر الدولة الاموية كانت أهدأ دور مضى على الحائر لانهم اكتفوا ، حسب الظاهر ، بما اقترفوه نحو صاحب القبر عليه السلام من جرائم وآثام فظيعة مما حدى بعبدالملك بن مروان ان يكتب الى عامله الحجاج بن يوسف الثقفي هلاكو

عصره (٣) :

« جنبني دماء آل ابي طالب فاني رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم . فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لا خوفا من الخالق عز وجل » .

ولهذا السبب او لغيره لم يتعرض الامويون للقبر المطهر كما تعرض له العباسيون من بعدهم ، عدا انهم أقاموا المخافر والمسالح المدججة بالعتاد والسلاح والرجال على اطراف كربلاء لمطاردة الزوار ومعاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم . ولكن بدأت العاصفة بقيام الدولة العباسية على أثر انقراض الامويين . فسن العباسيون قانون التعرض للحائر المقدس وهدمه وهم اول من سن ذلك كما سنبحث عنه فيما يلي :

هدم الحائر لاول مرة على عهد المنصور في أوائل حكمه

واول من سن هذه البدعة من العباسيين المنصور الدوانيقي فانه في رأس قائمة المعتدين على الحائر والقبر المطهر . فلما ان تم لبني العباس توطيد الملك والسلطان ، واستطاعوا من التغلب على الثورات الداخلية بالقضاء على خصومهم الامويين نهائيا انصرفوا الى الجهر شيئا فشيء بمعاداة آل أبي طالب وشيعتهم معاداة كانت باديء الامر مستورة وخفيفة الوطأة على عهد السفاح مؤسس هذه الدولة ، ثم استفحلت واشتدت باعتلاء المنصور عرش الخلافة من بعد اخيه بوقيعته المشهورة في وجوه واعيان آل الحسن وابادتهم بالقتل عن بكرة ابيهم تخلصا من بيعة كان مطوقا بها لمحمد النفس الزكية

---

(٢) راجع الحسين (ع) و « مواسم الادب » لجعفر بن السيد محمد العلوي ج١ / ٤٧ مصر ١٣٢٦ .

ابن عبدالله بن الحسن المثنى • ثم تجاوزت اعتداءاته من الاحياء الى الاموات منهم فدفعه بغضه للعلويين واثارهم بالتطاول على القبر المطهر :

وشيدوا البنا عليه قبة ذات سيقفة لتأوي العصبة

ثم دعا المنصور حقد أيد فثل من أحقاده المشيد[٣]

وقد اصبح عمله سنة لمن جاء من بعده فتبعه في ذلك الرشيد ثم المتوكل وقد بلغ من ظلم المنصور واستهتاره حدا عارضه رجال الدين أشد المعارضة، فأفتى اثنان من رؤساء المذاهب الاربعة المعاصرين له وهما ابو حنيفة ومالك ابن انس لأهل المدينة بان البيعة التي اخذها المنصور لنفسه هي بيعة غير مشروعة ، لانها اخذت منهم بالجبر والاكراه لا بالطوع والرضا • وقد زاد أبو حنيفة على ذلك فأفتى بكل جرأة وصراحة : بأن المنصور وأشباهه لو أرادوا بناء مسجد وطلبوا اليه ان يعد آجره لما فعل ، لانهم فاسقون والفاسق لا يصلح ان يكون إماما •

وكان هذا الحكم في نظر الكثير من المفسرين ينطبق على مدلول ما جاء به القرآن الكريم في سورة البقرة حيث قال الله تبارك وتعالى لابراهيم الخليل عليه السلام :

« اني جاعلك للناس اماما » فسأل ابراهيم : « ومن ذريتي ؟ » فقال تعالى : لا ينال عهدي الظالمين » •

وقد بلغ المنصور ذلك فقبض على ابي حنيفة وزجه في السجن حتى مات فيه ، وقد احتمل ابو حنيفة مرارة السجن على حساب هذه الفتيا التي كسبت له مودة الشيعة وعطفهم عليه على ما يحدثنا المجلسي في كتابه «تذكرة الائمة ص ١٣٠ »[٤] •

---

(٣) مجالي اللطف ص ٣٩ طبع النجف ١٣٦٠ هـ •

(٤) راجع كتاب THE SHI , ITE RELIGION , BY D . M . DONALDSON LONDON , 1933 — في أحوال الامام الصادق ص ١٣٤ •

وأما مالك بن أنس فقد أوعز المنصور الى عامله على المدينة جعفر بن سليمان ان يضربه سبعين سوطا ، ثم انكر ذلك على عامله وانبه وقدم الاعتذار الى مالك من فعلته[٥] .

---

٥) «الامامة والسياسة» لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ ج٢ ص ١٦٢ طـ مصر .

الفصل الثاني
الحائر وهدمه على عهد الرشيد في سنة ١٩٣ من الهجرة

ومن العباسيين بعد المنصور هدم الرشيد قبر الحسين عليه السلام في اواخر أيامه ، فانه هدم الحائر ، وكرب موضع القبر المطهر ، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده ليمحو بذلك كل اثر له . مع ان عهده كان يبشر بالخير الكثير لما ابداه في اول الامر من سياسة مماثلة لسياسة ابيه المهدي في اللين وحسن المعاملة مع ارحامه ومن العطف على الطالبيين . ولكن سرعان ان تغيرت السياسة فاسفرت عن عاصفة قوية ضد العلويين فالقى بالامام موسى ابن جعفر عليهما السلام في السجن الى ان ادركته المنية في عام ١٨٣ ، ثم ضيق الخناق على العلويين في المدينة تأسيا بسياسة جده المنصور ، ونقض الامان الذي اعطاه ليحيى بن عبدالله بن الحسن المثنى حين ظهر بالديلم في عام ١٧٦ فزجه في السجن ، وقتل على الاثر جعفر بن يحيى ونكل بالبرامكة.

وفي السبعة عشر سنة الاولى من حكمه ما بين عام ١٧٠ وعام ١٨٧ لم تظهر نواياه نحو الحائر لوجود موانع حسب الظاهر ، ولكنها ظهرت في المدة الاخيرة من حكمه، حين بلغ منه الحقد على العلويين وعلو مكانتهم في القلوب ان أغاظه ما كان من توجه النفوس وتهافت الزوار بتلك الكثرة على زيارة كربلاء ، وقد احفظه في اواخر حياته ما شاهده لحرم الحسين عليه السلام من النظام وحسن الادارة ، ومن التعظيم والتقديس ، والعناية التامة بأمره من قبل الخدم والسدنة القائمين بخدمة الحائر المقدس فأمر باحضار سادنه ابن ابي داود لينال العقاب الصارم لقاء قيامه بخدمة الحسين . ولما أحضر ابن ابي داود امامه سأله الرشيد وهو يستشيط غيظا .

ما الذي صيرك في الحير ؟

فأجابه : ان الحسن بن راشد هو الذي وضعني في ذلك الموضع .

فهز الرشيد رأسه من الغيظ وقال : ما اخلق ان يكون هذا من تخليط الحسن ، احضروه . ولما حضر الحسن قال له : ما حملك على ان صيرت هذا الرجل في الحير ؟ فقال الحسن : رحم الله من صيره في الحير ، امرتني أم موسى ان اصيره فيه ، وان اجرى عليه في كل شهر ثلاثين درهما .

فسكت الرشيد ولم يحر جوابا ، ثم قال : ردوه الى الحير ، واجروا عليه ما اجرته ام موسى[1] .

فان تغاضى الرشيد عن ابن ابي داود سادن الحرم المقدس في هذا المورد ، وأقر بالظاهر ما كانت قد اقرته ام موسى ام الخليفة المهدي من قبل للحائر غير ان الحوادث اثبتت فيما بعد بانه عزم في تلك اللحظة على امر من أهول واخطر ما يكون ، فدعاه البغض الى هدم كربلاء من اساسها فأمر بهدم القبة السامية والدور المجاورة ، واقتلاع السدرة ، وحرث الارض ليمحي بذلك كل اثر للقبر المطهر كما رواه الكثير من المؤرخين والمحدثين ، ورواه الطوسي في «الامالي» بسنده عن يحيى بن المغيرة الرازي قال :

« كنت عند جرير بن عبدالحميد اذ جاءه رجل من اهل العراق فسألة جرير عن خبر الناس . فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام وامر ان تقطع السدرة ، فقطعت . فرفع جرير يديه وقال : الله اكبر ، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لعن الله قاطع السدرة ثلاثا . فلم تقف على معناه حتى الان ، لان القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين حتى لا يقف الناس على قبره »[2] .

(١) الطبري ج١٠/١١٨ والحسن بن راشد من رجال الشيعة والرواة عن الصادق .

(٢) راجع : ١ ـ « الامالي » للشيخ الطوسي ص ٢٠٦ طبع ايران ١٣١٣هـ ٢ ـ « المناقب » لابن شهراشوب ج٢ ص ١٨٩ طبع ايران ١٣١٦ هـ ـ

ومثل ذلك مارواه السيد محمد بن ابي‌طالب في كتابه « تسلية المجالس» حيث قــال :

« وكان قد بنى على قبر الحسين عليه السلام مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني امية وفي زمن بني العباس الى زمن هرون الرشيد ، فـانه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر »[٣] .

ويؤيد ما اقترفه الرشيد من الآثام نحو العلويين ونحو الحائر ما ذكره محمد بن علي المعروف بالطقطقي في كتاب «الفخري ، ص١٧» ما نصه :

« لم يكن الرشيد يخاف الله ، وافعاله بأعيان آل علي عليه‌السلام وهم اولاد بنت نبيه لغير جرم تدل على عدم خوفه من الله تعالى » .

وقد جاء في المجلد العاشر من « البحار ج١٠ ص٢٩٤–٢٩٥ » تفاصيل وافية عن هدم الرشيد لقبر الحسين (ع) وكرب موضعه ومحو أثره عـلى يد موسى بن عيسى بن موسى العباسي عامله على الكوفة .

اما الرشيد نفسه فلم تطل ايامه بعد هدمه الحائر فسار من بغداد الى الري ومنها الى خراسان فاعتل اثناءالطريق وغلط طبيبه جبريل‌بن بختيشوع في علاجه مما سبب اشتداد العلة ، فشعر الرشيد بذلك وصمم في تلك‌الليلة التي مات فيها ان ينتقم من جبريل شر انتقام ويقطع اعضائه كما فصل اخا رافع بشير بن الليث من قبل ، فاحضر بن بختيشوع ليفعل به ذلك فاستمهله هذا وقال له : انظرني الى غد يا امير المؤمنين فانك‌ستصبح في عافية.فتدارك جبريل الامر في تلك الليلة قبل ان يتمكن الرشيد من قتله .

---

٣ ـ « البحار » ج١٠ ص ٢٩٧ ـ ٤ ـ « تظلم الزهراء » ص ٢١٨ ـ٥ «مجالي اللطف » ص ٣٩ ـ ٦ ـ « اعيان الشيعة » ج٤ ـ ٣٠٤ ـ ٧ « نزهة اهل الحرمين » ص ١٦ ـ ٨ ـ « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١١ و ١٢ .

(٣) راجع : ١ ـ « نزهة اهل الحرمين » ١٦ ـ ٢ ـ « تسلية المجالس » لمحمد ابن ابي طالب ٣ ـ « أعيان الشيعة » ٤ر٣٠٤ .

فمات الرشيد في ذلك اليوم السبت ٣ جمادي الاخرة سنة ١٩٣ هـ ودفن هناك حيث اصبح بعد عشرة اعوام بالضبط مدفنا للرضا عليه السلام حفيد من كان الرشيد بالامس قد هدم مرقده وكرب قبره في اخريات حياته، والذي بجوار تربته الطاهرة اكتسب الرشيد بالاخير الصيانة مضافا الى ذلك الشرف العظيم الذي نال مثله من قبل كل من ابي بكر وعمر بجوار تربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم •

ولا بدع فان الرسول وآله كانوا ملجأ روحانيا لمن لاذ بهم في الحياة، ومنجى من الطواريء الزمنية لمن ساقه الحظ ان ينال الشرف في جوارهم بعد الممات وهذا الذي دعا العقاد ذلك الكاتب العبقري العظيم ان يصور ذلك بيراعه الفني العظيم في شكل محاكمة تاريخية بينه وبين روح هارون بعد اثنى عشر قرن ، فيقول له :

« وكأنهم خافوا على قبرك انينبشه أشياع علي رضي الله عنه ،فدفنوك في قبر الامام العلوي لتأمن فيه النبش والمهانة بعد الممات •

فمن عجب الدنيا ان يلوذ ابناء علي بملكك الطويل العريض فيضيق بهم، وان يبحث اتباعك من ملاذ يحتمي به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته فيجدوه في قبر واحد من اولئك الحائرين اللائذين بأكناف البلدان في غير قرار ولا اطمئنان ؟ »[٥] •

ان لم تفت هذه الحقيقة على الكتاب المعاصرين ، فانها لم تفت بوقته المقارنة بين الحالين على الشعراء المتقدمين في عصر الرشيد ، فقارن دعبل الخزاعي الشاعر المعروف بينهما عندما بلغه موت الرضا (ع) بأبيات منها :

اربع بطوس على قبر الزكي به   ان كنت تربع من دين على فطر

---

(٥) راجع « مجلة الهلال » عدد اكتوبر ١٩٤٧ ص ٢٥ من مقال « حديث مع هرون الرشيد » للاستاذ العقاد .

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قبر الزكي وما على الزكي بقرب الرجس من خور
هيهات كل امريء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت او فذر(٦)

(٦) عيون أخبار الرضا ص ٣٦٠ طبع ايران .

الفصل الثالث
الحائر وهدمه على يد المتوكل فى اعوام
٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٧ من الهجرة

لم تمض اكثر من اربعين سنة على هدم الرشيد للحائر المقدس حتى كان دور حفيده في ذلك فمني الحائر بالهدم مرة اخرى على يد جعفر بن المعتصم بن الرشيد ، فانه في خلال خمس عشرة سنة من حكمه هدم قبر الحسين عليه السلام ومخر ارضه وكربه اربع مرات في فترات مختلفة تأسيا بسيرة اسلافه من المنصور والرشيد .

« وكان المتوكل يستحق ان يلقب بـ «نيرون العرب» لما تمعلى يده من المظالم . وقد بدأ في عهده انحلال الامبراطورية الاسلامية، وتسرب الفساد في جسم الدولة ، بينما كان هو غارقا في لهوه وملذاته ، مستسلماً لشهواته، عاكفا على معاقرة الخمر . وقد كان عهده مقرونا بالارهاب والاضطهاد لجميع طبقات الامة ، فقد اقصى احرار المفكرين من وظائف الدولة ، وزج برجال المعتزلة في اعماق السجون وصادر اموالهم واملاكهم . وبلغ من كرهه لعلي ابن ابي طالب وآل بيته ان هدم قبر الحسين بكربلاء وامر بزرعه وسقيه كما منع الناس من زيارته ، مهددا كل من يخالف امره بأقصى انواع العقوبات . كذلك صادر ارض «فدك» من العلويين »[1] .

واعلن ابو الفوج الاصفهاني عن اعمال المتوكل في كتابه « مقاتل الطالبيين» بقوله : « وكان المتوكل شديد الوطأة على آل ابي طالب ، غليظا

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٤٧ و ٢٤٨ طبع مصر .

على جماعتهم ، مهتما بأمورهم ، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم . واتفق ان فتح بن خاقان وزيره كان سيء الرأي فيهم يحسن له القبيح في معاملتهم . فبلغ بهم ما لم يبلغه احد من خلفاء بني العباس قبله ، وكان من ذلك كرب قبر الحسين عليه السلام وعفى آثاره ، ووضع على سائر طرق الزوار مسالح لا يجدون احدا زاره الا اتوه به فقتله او انهكه عقوبة »[٢] .

ولم يتأخر بقية المؤرخين عن اظهار سخطهم على اعمال المتوكل فقد قال كل من الطبري وابن الاثير بهذا الصدد :

« وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن ابي طالب عليه السلام ولاهل بيته . وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى عليا وأهله بأخذ المال والدم .. الخ »[٣] .

ومثلهما ابو الفدا في حوادث سنة ٢٣٦ من تاريخه : « وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن ابي طالب ولاهل بيته »[٤] .

وقد دفع به هذا البغض الشديد الى الاعتداء على قبر الحسين (ع) فأمر بهدمه ومخره وكربه وزرعه اربع مرات في مدة حكمه ما بين عام ٢٣٢ وعام ٢٤٧ هـ .

الاول — هدم المتوكل لقبر الحسين (ع) في شعبان ٢٣٣ .

والسبب في ذلك على ما رواه ابو الفرج الاصفهاني في « مقاتل الطالبيين » ان : «بعض القينات[٥] كانت تبعث بجواريها الى المتوكل قبل

---

(٢) راجع : « مقاتل الطالبيين »طبع ايران ١٣٠٧ هـ ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٣) راجع : « الطبري » و « ابن الاثير » في حوادث سنة ٢٣٦ .

(٤) راجع : تاريخ ابي الفداء ج٢ في حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

(٥) القينات جمع قينة وهي المغنية والماشطة والامة البيضاء .

الخلافة يغنين له اذا شرب فلما بعث الى تلك القينة فعرف انها غائبة ، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام ، وبلغها خبره فأسرعت في الرجوع وبعثت اليه بجارية من جواريها كان يألفها . فقال لها : اين كنتم ؟ قالت خـرجت مولاتي الى الحج واخرجتنا معها . وكان ذلك في شعبان . فقـال : اين حججتم في شعبان ؟ فقالت : الى قبر الحسين عليه السلام فأستطار غضبا وأتى بمولاتها فحبست واستصفى أملاكها . وبعث برجل من اصحابه يقال له الديزج كان يهوديا فأسلم الى قبر الحسين (ع) ، وأمره بكرابه ومخره[6] واخراب كل ما حوله . فمضى لذلك وخرب ما حوله ، وهدم البناء ، وكرب ما حوله نحو مائتي جريب . فلما بلغ الى قبره لم يتقدم اليه أحد ، فأحضر قوما من اليهود فكربوه وأجرى الماء حوله ، ووكل به مسالح على سائر الطرق بين كل مسلحتين ميـل لا يزوره زائر الا أخـذوه ووجه بـه اليه فقتله أو انهكه عقوبة » [7] .

ويظهر من رواية أبي الفرج الاصفهاني هذه ان الهدم الاول كان في أوائل حكم المتوكل في شعبان سنة ٢٣٣ . وان المسلمين لم يقدموا على هدم القبر المطهر ، وان ابراهيم الديزج اليهودي الاصل أتى بجماعة من قومه من اليهود لهذا الغرض ، وأن اليهود هم الذين باشروا في هذه المرة بهدم قبر الحسين عليه السلام ، وان الديزج حسب أمر المتوكل لم يكتف بهدم القبر وحده وانما « خرب ما حوله » فهدم مدينة كربلاء كلها ، وانه وكل في أطرافها المسالح لمنع الزائرين من الزيارة بالقوة وبعقاب القتل .

وان سبب اقدام المتوكل على ارتكاب هذا العمل الفظيع كان لحرمانه

---

(٦) مخر الارض كمنع : ارسل فيها الماء .

(٧) « مقاتل الطالبيين » لابي الفرج الاصفهاني ص ٢٠٣ — ٢٠٤ طبع ايران

لحظة واحدة من صوت المغنية في ساعة السكر والشرب .

ومن هنا يقاس ما أرتكبه العباسيون من الفظائع في سبيل شهواتهم . وان القرينة تحكم بأن هذا الهدم كان في سنة ٢٣٣ أي في اوائل حكم المتوكل لأن الجارية كانت تأتيه قبل الخلافة وقد ولي الامر في ٦ ذي الحجة ٢٣٢ وقد بعث اليها في شعبان وكانت غائبة ، وهو حسب سياق الحديث شعبان الاول من ولايته ويؤيد ذلك ما رواه السيد محمد بن أبي طالب الحسيني في كتابه « تسلية المجالس » بعد ذكره اعادة العمارة على القبر المطهر في زمن المأمون وغيره بما هو نصه :

« الى أن حكم المتوكل من بني العباس فأمر بتخريب قبر الحسين (ع) وقبور أصحابه وكرب مواضعها وأجرى الماء عليها » [٨] .

الثاني ـ هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٣٦

وقد أعاد المتوكل الكرة على الحائر المقدس فأمر بهدمه مرة ثانية في سنة ٢٣٦ من الهجرة ، ويظهر انه قد أعيد بناء القبر المطهر في هذه الفترة من بعد الهدم الاول وأعيد كذلك بناء البيوت والمنازل من حوله كسابق عهده دون ان يشير التاريخ الى من قام بتجديد البناء على القبر المطهر في هذه الفترة القصيرة ، الامر الذي يدل على ان الاهلين انفسهم قاموا بهذا الامر بأقامة بنيان بسيط عليه .

وقد ذكر المؤرخون كلهم هذا الهدم الثاني في سنة ٢٣٦ الامر الذي

---

(٨) راجع : ١ « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٥ ، ٢ ـ « تسلية المجالس» للسيد محمد ابن ابي طالب وهذا الكتاب هو كثير الشهرة والشيوع نقل عنه كثير من المؤلفين ونقل عنه المجلسي فى البحار وذكر اسم مؤلفه بالتجليل والاحترام (البحار ١٠/١٧٠) غير اننا لم نعثر عليه لحد الآن مع ما بذلناه من السعي .

يستدل منه على انه أشد واعظم بكثير من الهدم الاول في سنة ٢٣٣ لظهوره وعدم اخفائه في جميع الكتب . فقد أورده كل من الطبري وابن الاثير في حوادث تلك السنة بقولهما :

« وفي هذه السنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وان يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره ، وان يمنع الناس من اتيانه . فذكر ان عامل صاحب الشرطة نادي في الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به الى المطبق [9] . فهرب الناس وأمتنعوا من المصير اليه . وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه » [10] .

ورواه المسعودي في « مروج الذهب » بما نصه : « وفي سنة ٢٣٦ أمر المتوكل المعروف بالذيريح بالمسير الى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وهدمه ومحو أرضه ، وازالة أثره ، وان يعاقب من وجد به . فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر . فكل خشى العقوبة وأحجم فتناول الذيريح مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة فيه » [11] .

ومثل ذلك ماأورده ابن‌خلكان تعليقا على أبيات للشاعر البسامي المعروف التي مطلعها :

تالله ان كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما

بأنه نظمها لما « هدم المتوكل قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي

---

(٩) المطبق ، وهو سجن باستيل العباسيين فى ذلك العهد .

(١٠) راجع : الطبري وابن الاثير فى حوادث سنة ٢٣٦ .

(١١) راجع : « مروج الذهب » للمسعودي ج٢ ص ٤٠١ ــ ٤٠٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ . واما قوله « الذيريح » لعله خطأ مطبعي ، والصواب « الديزج »كما ورد فى رواية ابي الفرج وغيره .

الله عنهما في سنة ٢٣٦ وكان المتوكل كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم . فهدم هذا المكان ــ أي كربلاء ــ بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به ، وأمر أن يبذر ويسقى موضع قبره ، ومنع الناس من اتيانه » . (١٣)

ومثلهم محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المصري في « فوات الوفيات » بقوله : وكان المتوكل قد أمر في سنة ستة وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضي الله تعالى عنه ، وهدم ما حوله من الدور وأن يعمل مزارع ويحرث ، ومنع الناس عن زيارته وبقى صحراء . وكان معروفا بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء » (١٣) .

وروى الملك المؤيد أبو الفدا أيضا في حوادث سنة ٢٣٦ بما نصه :

« ان المتوكل أمر في هذه السنة بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وهدم ما حوله من المنازل ، ومنع الناس من اتيانه . وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته ، الخ » . (١٤)

وهذه شهادات لعدد من المؤرخين بلغت حد التواتر بهدم المتوكل قبر الحسين عليه السلام للمرة الثانية في سنة ٢٣٦ من الهجرة .

وسنأتي بتفصيل أوفى من ذلك في كتابنا « تاريخ كربلاء العام من العصور القديمة الى الفتح الاسلامي الى العصر الحاضر » .

الثالث ــ هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٣٧

---

(١٢) : « وفيات الاعيان » لابن خلكان ج١ ص ٤٥٥ .

(١٣) راجع : « نزهة اهل الحرمين » للسيد حسن الصدر ص ١٨ طبع الهند ١٣٥٤ هـ .

(١٤) راجع : تاريخ ابي الفداء ج٢ فى حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

ولم يشف غليل الطاغية على ما يظهر بهدمه قبر ريحانة الرسول الاعظم مرتين في فترة قصيرة من الزمن في أعوام ٢٣٣ و ٢٣٦ كما سبق ، فأعاد عليه الكرة في عام ٢٣٧ للمرة الثالثة . وذلك عندما بلغه ان أهل السواد — أي أهل العراق — يجتمعون بارض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير الى قبره منهم خلق كثير . وقد اورد ذلك كل من تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي في كتابه «طبقات الشافعية»[١٥] والقرماني في كتابه « اخبار الدول »[١٦] في حوادث سنة ٢٣٧ هـ : « ان المتوكل امر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وان يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته وحرث وبقي صحراء . فتألم المسلمون لذلك وكتب اهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد . وهجاه دعبل وغيره من الشعراء فمما قيل في ذلك .

تالله ان كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو ابيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

وقد بلغ من استنكار الرأي العام الاسلامي واستهجانه للمتوكل واعماله الجائرة الشائنة ان انطلق علي بن العباس الرومي الشاعر المعروف بابن الرومي يصب جامات غضبه على بني العباس بأجمعهم في قصيدة طويلة يذم بها العباسيين ويرثي العلويين ويشير فيها الى نبش المتوكل لقبر الحسين عليه السلام ومطلعها[١٧] :

---

١٥) راجع : « طبقات الشافعية » لتاج الدين السبكي ج١ ص ٢١٦ .

(١٦) راجع : « اخبار الدول » القرماني ، في حوادث سنة ٢٣٧ .

(١٧) راجع : « مقاتل الطالبيين » لابي الفرج الاصفهاني وهي قصيدة طويلة جدا نقتطف منها ما يخص الموضوع .

امامك فانظر أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

ثم يخاطب بنى العباس ويذكر آل البيت الطاهر :

أفي الحق ان يمسوا خماصا وانتم يكاد اخوكم بطنه يتنعج[١٨]

وتمشون مختالين في حجراتكم ثقال الخطا اكفالكم ترجرج

وليدهم بادي الطوى ووليدكم من الريف ريان العظام خدلج[١٩]

تذودونهم عن حوضهم بسلاحهم ويشرع فيه ارتبيل وابلج[٢٠]

وقد الجمتهم خيفة القتل منكم وفي القوم حاج في الحيازيم حوج[٢١]

ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم منها بهيم وديزج[٢٢]

ويظهر من ذلك ان الطاغية لم يوفق في هذه المرة الى مثل ما ارتكبته يداه الاثيمة في المرات السابقة وذلك تحت تأثير الرأي العام من جهة ، ومن جهة اخرى تجاه المقاومة الفعلية الشديدة التي لاقته جنوده من قبل الاهلين في كربلاء كما رواه الكثير من الرواة والمؤرخين .

(١٨) خماص جمع من خميص البطن من الجوع . ونعج الرجل : سمن، وتنعج أي صار كالنعجة السمينة .

(١٩) الخدلج : الممتلىء الذراعين والساقين .

(٢٠) ارتبيل ورتبيل : رتبة عسكرية بمعنى الامير والقائد والكلمة تركية الاصل . الابلج : الابيض والمفترق الحاجبين . ولكن يظهر من القرينة انه من الرتب العسكرية فى ذلك الوقت . ويكون المعنى فى الظاهر انكم تمنعونهم بسلاحهم عن حقهم وتعطونه الاعداء .

(٢١) الحيازيم : مفرده الحيزوم وهو الصدر .

(٢٢) الديزج : كلمة فارسية الاصل بمعنى الحمار الادغم . وهو لقب ابراهيم الديزج الذي هدم قبر الحسين (ع) بامر المتوكل ، وهو رجل يهودي الاصل .

وقد روى الشيخ الطوسي في « الامالي » بسنده عن القاسم بن احمد ابن معمر الاسدي الكوفي الذي هو من علماء السيرة بأن :

« بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم ان اهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فيصير الى قبره منهم خلق كثير فانفذ قائدا من قواده وضم اليه كثفا (أي جماعة) من الجند كثيرا ليشعث قبر الحسين ويمنع الناس من زيارته والاجتماع الى قبره . فخرج القائد الى الطف وعمل بما أمر وذلك في سنة ٢٣٧ . فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا : لو قتلنا عن آخرنا لما امسك من بقي منا عن زيارته . ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا . فكتب بالامر الى الحضرة ، فورد كتاب المتوكل الى القائد بالكف عنهم والمسير الى الكوفة مظهرا ان مسيره اليها في مصالح أهلها . والانكفاء الى المصر فمضى الامر على ذلك حتى كانت سنة سبع واربعين ومائتين[٢٣] .

ويظهر من هذه الرواية كما ظهر من رواية كل من ابن السبكي والقرماني ان القائد نفذ امر المتوكل في هدم قبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٣٧ الامر الذي يدل على اعادة تشييد البناء على القبر المطهر مرة اخرى من بعد هدمه في سنة ٢٣٦ السابقة ولكن من الذي اعاد البناء فورا في تلك المدة القصيرة؟ لا بد وان أهل السواد والاهلين هم الذين قاموا بهذا العمل بالرغم من

(٢٣) راجع : ١ « الامالي » للشيخ الطوسي ص ٢٠٩ طبع ايران ١٣١٢هـ ٢ — « بحار الانوار » ج١٠ ص ٢٩٦ — ٣ — « ناسخ التواريخ » ج٦ ص ٤٣٨ طبع ايران ١٣١٢ هـ — ٤ « تظلم الزهراء » ص ٢١٧ — ٢١٨ — ٥ — « شرح الشافية » ص ٢٠٨ طبع ايران ١٣١٥ هـ — ٦ — « أعيان الشيعة » ج٤ ص ٢٨٧ . والانكفاء الى المصر يعني ان يرجع من الكوفة الى بغداد .

تشديدات المتوكل ، ويظهر ذلك من نص الرواية نفسها بأن الناس بالرغم من التشديد والاضطهاد كانوا يتهافتون على « قبر الحسين (ع) فيصير الى قبره منهم خلق كثير » فما كان هؤلاء يزورون ارضا خالية وانما كانوا يزورون بالطبع قبرا مشيدا كان قد أعيد بناؤه في هذه الفترة .

ثم يظهر من ذلك ان الحكومة بنتيجة امعانها في هدم وتدمير الحائر وكربلاء اصبحت مهانة وقليلة الهيبة وفاقدة القوة والسلطان بحيث انها ارتدعت عن عملها المنكر حالا بقيام الاهلين في وجه جنودها وتهديدهم اياها بانهم سيقابلون القوة بالمثل مما اجبر الطاغية على سحب قواته بانتظام . وكان للتشنيعات التي اثارها زيد المجنون[٢٤] على المتوكل واعماله المفضوحة اثرها الفعال في نفس طاغية بني العباس فارتدع مدة من الزمن من التعرض بالقبر المطهر .

الرابع ـ هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام

في النصف من شعبان سنة ٢٤٧ هـ

بقي القبر المطهر مصونا من تعرض المتوكل له مدة عشر سنين ، وذلك على اثر ما شنع عليه زيد المجنون وصور اعمالهم الشائنة وهيج عليه الرأي العام ، حتى اضطر الطاغية ان يخضع لما يريد ، فطلب منه عمارة قبر الحسين عليه السلام وان لا يتعرض احد لزواره . فأمر المتوكل له بذلك . فخرج زيد من عنده فرحا مسرورا ، وجعل يدور في البلدان وهو يقول : من اراد زيارة قبر الحسين عليه السلام فله الامان طول الازمان . ولذلك بقي الحائر المقدس في العشر سنين الاخيرة من حكمه بعيدا عن اعتداءات المتوكل الاثيمة الى ان عاد عليه الكرة في سنة ٢٤٧ وهي المرة الرابعة والاخيرة

---

(٢٤) راجع فيه « البحار » ج١٠ ص ٢٩٨ وبقية المصادر .

التي لاقى فيها عقابه الصارم على يد ابنه المنتصر بمساعدة قواده الاتراك.

والسبب في ذلك ان في سنة ٢٤٧ من الهجرة « بلغ المتوكل ايضا مصير الناس من اهل السواد والكوفة الى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام وانه قد كثر جمعهم لذلك ، وصار لهم سوق كبير . فأنفذ قائدا في جمع كثير من الجند . وامر مناديا ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبره . ونبش القبر ، وحرث ارضه . وانقطع الناس عن الزيارة . وعمد على تتبع آل ابي طالب والشيعة ، فقتل ولم يتم له ما قدره »[٢٦] . وقد جاء تفصيل هذا الخبر بصورة اوفي في« ناسخ التواريخ » « ص ٤٣٨ » حيث قال :

« بلغ المتوكل مرة اخرى ان الناس من مختلف الطوائف والاقطار يتوافدون الى ارض نينوى فصارت لهم مطافا كبيت الله الحرام . واسسوا لهم أسواقا عظيمة بالقرب من القبر المطهر . فأثار ذلك غضبه فأرسل جيشاالى كربلاء لهدم القبر المطهر ومخره وحرثه وقتل من يجدون بها من آل ابي‌طالب وشيعتهم . ولكن الله دفع شره فقتل على يد ابنه المنتصر

وقد روى الشيخ الطوسي في «الامالي»مثل‌هذا الامر بسنده عن عبدالله ابن رابية الطوري قال :

«« حججت سنة ٢٤٧ فلما صدرت من الحج صرت الى العراق فزرت امير المؤمنين علي بن ابي طالب على حال خيفة من السلطان . ثم توجهت الى

---

(٢٥) راجع : ١ — « بحار الانوار » ج١٠ ص ٢٩٦ — ٢ — « تسلية المجالس » لمحمد بن ابي طالب الحسيني — ٣ — « شرح شافية ابي فراس » ص ٢٠٨ ، — ٤ — « ناسخ التواريخ »ج٦ ص ٤٣٨ — ٥ — « نزهة اهل الحرمين » ص ١٨ — ٦ — « اعيان الشيعة » ج٤ ص ٢٨٧ — ٧ — « تظلم الزهراء » ص ٢١٨ .

زارة قبر الحسين عليه السلام ، فاذا هو قد حرث ارضه ، ومخر فيها الماء ، وارسلت الثيران العوامل في الارض . فبعيني وبصري كنت رأيت الثيران تساق في الارض فتنساق لهم حتى اذا حاذت مكان القبر حادت عنه يمينا وشمالا . فتضرب بالعصا الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه ولا سبب . فما امكنني الزيارة فتوجهت الى بغداد وانا أقول :

تالله ان كانت امية قد اتت — قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد اتاك بنو ابيه بمثله — هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على ان لا يكونوا شايعوا — في قتله فتتبعوه رميما

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة فقلت : ما الخبر ؟ قالوا : سقط الطائر بقتل جعفر المتوكل . فعجبت لذلك وقلت : الهي ليلة بليلة »[٢٦] .

فاستحل ابنه المنتصر دمه فاتفق مع القواد الترك على قتله فقتلوه توا بعد الهدم الاخير في ليلة الاربعاء لثلاث من شوال سنة ٢٤٧ هـ .

وقد جاء وصف كربلاء والقبر المطهر ، ووصف حالة الزائرين في ذلك العهد الرهيب من حكم المتوكل في «مقاتل الطالبيين» لابي الفرج الاصفهاني عن محمد بن الحسين الاشناني حيث يقول :

« بعد عهدي بالزيارة في تلك الايام خوفا ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها . وساعدني رجل من العطارين على ذلك . فخرجنا زائرين نكمن بالنهار ونسير بالليل حتى اتينا نواحي الغاظرية ، وخرجنا منها نصف الليل ، فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا ، حتى اتينا القبر فخفى علينا ،فجعلنا تتسمته وتتحرى

(٢٦) راجع : ١ ـ « الامالي » للشيخ الطوسي ص ٢٠٩ ـ ٢ ـ « بحار الانوار » ج١٠ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٣ ـ « تظلم الزهراء » للرضى القزويني ص ٢١٨ .

جهته حتى اتيناه . وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه واحرق ، واجرى الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق . فزرناه واكببنا عليه ، فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط من الطيب . فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه ؟ فقال : لا والله ما شممت مثلها بشيء من العطر . فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا الى القبر واخرجنا تلك العلامات واعدناه الى ما كان عليه »(٢٧) .

ويرى في هذه الرواية ان جيش الانقاذ من هؤلاء الاحرار المخلصين في نصرة الحق كانوا فورا وبلا توان يعيدون معالم القبر المطهر ويشيدون عليه البناء من جديد كلما سنحت لهم الفرص في تلك الظروف القاسية العصيبة ، ولذلك ما بقي الحائر المقدس على تلك الحالة من الخراب والاندثار لمدة طويلة في الفترات المختلفة التي اغتاله المتوكل في ايام حكمه ، ولا انقطع الزائرون ولو لحظة واحدة عن زيارته .

وكان موضع القبر المطهر ــ كما يستدل من هذه الرواية ــ معروفا عندهم يصلونه من يد الى يد بالعلامات التي كانوا يضعونها سرا من حوله .

وبمساعي هؤلاء الاحرار المخلصين لآل بيت الرسالة الطاهرة وغيرهم بقي القبر المطهر مصونا من طوارىء الايام وتطورات الزمن الى يومنا هذا وعلاوة على ذلك فانهم كانوا يعرفون التربة التي دفن فيها الحسين عليه السلام ويميزونها عن غيرها بالرائحة الذكية التي كانت تفوح منها .

ثم ، ويظهر من روايات أخرى سنأتي على بيانها في كتابنا « تاريخ

---

(٢٧) راجع : ١ ــ « مقاتل الطالبيين » لابي الفرج الاصبهاني ص ٢٠٤ طبع ايران ١٣٠٧ هـ ــ ٢ ــ « شرح الشافية » ص ٢١٠ .

كربلاء العام» بصورة مفصلة ان هدم المتوكل الاخير لقبر الحسين عليه السلام كان يصادف في النصف من شهر شعبان سنة ٢٤٧ من الهجرة حين كان الناس يتوافدون بكثرة على زيارة كربلاء في مثل هذا الوقت .

أسماء من باشروا في هدم القبر المطهر

واما اسماء من باشروا في هدم قبر الحسين عليه السلام بأمر المتوكل حسب الاخبار والروايات فهي كما يلي :

١ — في سنة ٢٣٣ — ابراهيم الديزج اليهودي الاصل . واليهود هم الذين كربوا القبر المطهر وأجروا الماء . (مقاتل الطالبيين ٢٠٣—٢٠٤ وشرح الشافية ٢٠٧) .

٢ — في سنة ٢٣٦ — الذيريج . ولعله هو الديزج المذكور ووقع خطأ مطبعي في اسمه فصار الذيريج كما جاء في« مروج الذهب » للمسعودي ج٢ ص ٤٠١—٤٠٢ .

٣ — في سنة ٢٣٧ — عمر بن فرج الرخجي (امالي الطوسي ٢٠٧ والبحار ج١٠ ص ٢٩٧ وشرح الشافية ٢٠٨) وفي هذا الاخير ورد اسمه عمر بن نوح ولعله خطأ مطبعي .

٤ — في سنة ٤٢٧ — هرون المغربي (او هرون المعري) مع ابراهيم الديزج بالاتفاق (امالي ٢٠٧ — ٢٠٨ البحار ج١٠ ص٢٩٦ المناقب ج٢ ص ١٩٠ الناسخ ج٦ ص٤٣٧ شرح الشافية ٢٠٨—٢٠٩) .

٥ — جعفر بن محمد بن عمار قاضي الكوفة وكان يعمل الديزج تحت اشرافه ومراقبته(امالي ٢٠٧ البحار ج١٠ص٢٩٥—٢٩٦ الناسخ ج٦ص٤٣٧).

الفصل الرابع
الحائر وهدمه بسقوط السقيفة على عهد
الموفق فى ٩ ــ ١٠ ذي الحجة سنة ٢٧٣

كان المنتصر بتبوئه عرش الخلافة في ٤ شوال سنة ٢٤٧ بعد مقتل المتوكل قد أمر توا باعادة بناء الحائر وتشييد القبر المطهر في الستة أشهر القصيرة من حكمه كما مر تفصيل ذلك في باب «عمارة الحائر الثالثة» • غير ان بناء المنتصر هذا لم يعش بأكثر من ربع قرن لسقوطه وانهياره مرة واحدة في ذي الحجة سنة ٢٧٣ على عهد الموفق ابن المتوكل • الامر الذي يدل ــ حسب القرائن ــ على ان تلك السياسة الجائرة والخطة القاسية التي كان قد ارتسمها المتوكل في عهده تجاه قبر ريحانة الرسول الاكرم وزائريه كانت تطبق بحذافيرها طوال هذه المدة وان كانت قد تبدلت اساليبها ، او تغيرت اشكالها وعناوينها •

ولوقوع هذا الحادث الفجائي الغريب لحرم الحسين عليه السلام في اواخر الربع الثالث من القرن الثالث الهجري اهميته التاريخية ، اذ نستدل منه مبلغ ما كان يكمن قلوب الكثير من العباسيين من بعد الرشيد والمتوكل من الغيظ وعدم الارتياح لما كان يحيط بقبر الحسين عليه السلام من الجلال والعظمة ، ومن التقديس له في نفوس المسلمين • لا سيما وان الموفق في هذه الناحية كان على شاكلة ابيه لم يتورع عن ارتكاب مثل هذه الجريمة ،ولذلك اسدل التاريخ الستار على هذا الحادث دون ان يدخل في التفاصيل • وقد جاء مجمل الحادث فقط وذلك عرضا في حديث رواه اكثر الرواة والمحدثين بسنده عن ابي الحسن علي بن الحسن بن الحجاج قال بأنهم : « كانوا جلوسا في

مجلس ابن عمه أبي عبد الله محمد بن عمران بن الحجاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ ، وفيمن حضر العباس بن احمد العباسي . وكانوا قد حضروا عنده يهنئونه بالسلامة لانه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) في ذي الحجة سنة ٢٧٣ ، فبينما هم قعود يتحدثون اذ حضر المجلس اسماعيل بن عيسى العباسي . فأحجمت الجماعة عما كانت فيه وأطال اسماعيل الجلوس » [١] .

وهذه هي خلاصة الوضع كما نقلها الرواة . اما الاسباب التي دعت الى هذا الحادث من سقوط السقيفة مرة واحدة على الزائرين لاسيما في مثل ذلك الوقت ، وقت الزيارة وازدحام الزائرين داخل الروضة المطهرة لم تتعرض لها المصادر فمرت عليها مر الكرام فبقيت الاسباب مجهولة .

ولعل الكثير من المسائل ايضا ستبقى مجهولة الى الابد على هذا النمط لعدم امكان الجهر والتصريح بها في حينها نظرا لما يحيط الرأي العام من ظروف واحوال سياسية خاصة . ولذلك فلا يعرف اليوم عنها شيء وهل كان سقوط السقيفة في الحقيقة أمرا طبيعيا لم يكن للسياسة أي دخل فيه ؟ أم كان للسلطة الحاكمة يد في الامر كما سبقت نظائره على عهد المنصور والرشيد والمتوكل بصورة علنية مكشوفة ؟ وانما أتى الهدم في هذا الدور بتلك الكيفية الغامضة وبشكل أروع وافظع من ذي قبل لانه كان في عين الوقت هدما للقبر المطهر ، وقتلا للنفوس البريئة ممن أتوا في مثل هذا الوقت

---

(١) راجع : ١ ـ « فرحة الغري » لابن طاوس ص ٦١ ـ ٢ ـ « نزهة اهل الحرمين » ص ٢٠ نقلا عن كتاب « امان الاخطار لابن طاووس » . ٣ ـ « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١٤ ـ ٤ ـ « اعيان الشيعة » ج٣ ص ٥٨٨ ـ ٥٩٠ وج ٤ ص ٣٠٥ ـ ٥ « مجالي اللطف » ص ٣٩ ـ ٦ ـ « البحار» ج٩ ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ ـ ٧ ـ « شرح شافية أبي فراس » ص ٢٠٧ .

لزيارة الحسين عليه السلام . وهذا ما يجعل الباحث ان يتردد في قبول الامر من الوجهة الطبيعية ، لان الفرض الاول من ان الحادث كان طبيعيا لوجود بعض الخلل في اسس البناء نفسه فلا نظنه يثبت امام الحقائق التاريخية لان البناء كان حديث العهد اذ ذاك ولم يتجاوز عمره يوم انهياره في ذي الحجة ٢٧٣ خمسة وعشرين سنة . فلا يعقل والحالة هذه ان بناء جديدا عمره خمسة وعشرون سنة ينهار مرة واحدة من تلقاء نفسه وبتلك الصورة الفجائية وبلا سابق انذار على رؤوس الزائرين دون ان يكونوا قد طبقوا بحقه سرا مادة « المائلة للانهدام » المعروفة في يومنا هـذا والتي تنحل بها الكثير من المشاكل الخطيرة المهمة [٢] .

ولو اخذنا بنظر الاعتبار ما جاء في ذيل الخبر المتقدم بسنده عن اسماعيل ابن عيسى العباسي من ان عمه داود العباسي كان قد حاول في مثل هذا الوقت هدم قبر امير المؤمنين عليه السلام سرا تنكشف لنـا حقيقة الامر في حادث سقوط السقيفة على رؤوس الزائرين في حرم الحسين عليه السلام في ٩ ذي الحجة سنة ٢٧٣ على عهد الموفق ابن جعفر المتوكل العباسي بأن الموفق كان يسير على سيرة آبائه وان الحادث لم يكن طبيعيا بوجه من الوجوه ، وان للسلطة الحاكمة كان دخل في تدبير الامر . وقد بحثنا في ذلك بصورة مفصلة في كتابنا « تاريخ كربلاء العام » .

---

(٢) هدمت ماذنة العبد فى عام ١٣٥٤ لانها كانت مائلة للانهدام .

الفصل الخامس
الحائر ونهبه على يد ضبة بن محمد الاسدي في سنة ٣٦٩هـ

كما اصيب بالهدم والتدمير على يد المنصور والرشيد والمتوكل ونهب هذا الاخير أمواله وخزائنه ، (١) كذلك نهب الحائر ونهبت امواله ونفائسه مرارا عديدة من قبل ذلك وبعده • فقد نهب أموال الحائر ونفائس خزائنه وموقوفاته في سنة ٣٦٩ من الهجرة رجل من بني اسد اسمه « ضبة بن محمد الاسدي » كان يتزعم عصابة من اللصوص وقطاع الطريق اتخذ « عين التمر » مركزا له للقيام هو وجماعته بأعمال السلب والنهب في الاطراف، ولشن الهجمات منها على المدن والطرق والقوافل لعدم استتباب الأمن والطمأنية في البلاد على عهد الطائع بالله العباسي (٣٦٣ — ٣٨١)• فأرسل عضد الدولة البويهي في هذه السنة سرية من الجند الى « عين التمر » وهي الشفاثة الحالية لتأديبه وقطع دابره ، فلم يشعر الا وهو محاط بالجيش ، فاضطر ان يترك امواله وأهله ويلوذ بالفرار لينجي بنفسه من عساكر عضد الدولة •

وقد أشار ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٩ هـ من تاريخه الى ما عملته هذه العصابة من النهب والسلب لحرم الحسين عليه السلام وما لاقته من العقوبة بنتيجة هذا العمل ، بقوله :

«وفي هذه السنة (٣٦٩) أرسل عضد الدولة سرية الى عين التمر

---

(١) راجع : « ناسخ التواريخ » ج٦ ص ٤٣٨ طبع ايران ١٣١٢ هـ فى مصادرة المتوكل لاموال الحائر وخزائنه وتوزيعها على جنوده .

وبها ضبة بن محمد الاسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطريق. فلم يشعر الا والعساكر معه ، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريدا . وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر. وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين صلوات الله عليه فعوقب بهذا » [٢] .

هـذه خلاصة عما حصل للحائر المقدس من النهب والسلب في تلك السنة على يد ضبة بن محمد الاسدي المذكور حسب ما رواه ابن الأثير في تاريخه ، دون أن نعرف شيئا عن تفاصيل ما أجراه هذا السارق من النهب لأموال الحائر وخزائنه . ولعلنا نعثر في المستقبل على ما يوضح لنا هذه الناحية بأكثر مما تقدم . غير اننا من مقارنة الحوادث بعضها ببعض نستطيع الى درجة ما أن نستنبط بأن الامر لم يتوقف ــ حسب الظاهر ــ عند الهنب والسلب فحسب ، وانمـا تعدى من قبل العصاة الى ابعد من ذلك بالاعتداء أيضا على بناء الحائر نفسه مما اوجب تجديد عمارته في تلك السنة كمـا فصلنا ذلك في فصل « عمارة الحائر الخامسة » التي قام بتجديدها عضد الدولة فناخسروبن ركن الدولة البويهي وكما أشار الى ذلك ابن الأثير في حوادث تلك السنة ايضا بأن : .

« في سنة ٣٦٩ هـ أصلح عضد الدولة الطريق من بغداد الى مكة شرفها الله تعالى ، وأطلق الصلات لأهل البيوتات والشرف والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة . وفعل مثل ذلك بمشهد علي والحسين عليهما السلام » [٣] . ولعل ما أمر به من تجديد العمارة في هذا الوقت كان مما أوجبته أعمال النهب التي تمت على يد ضبة بن محمد الاسدي وعصابته في الحائر .

(٢) راجع : ابن الاثير . ج٨ ص ٢٣٦ فى حوادث ٢٦٩ من الهجرة .

(٣) راجع : ــ ١ ــ المصدر نفسه ج٨ ص ٢٣٤ ــ ٢ « مجالي اللطف »

الفصل السادس
الحائر وهدمه حرقا على عهد القادر بالله
في ربيع الاول سنة ٤٠٧ هـ

أشتعلت نار الفتن الدامية في طول البلاد الاسلامية وعرضها على عهد القادر بالله العباسي وكانت نتيجتها أن ألهبت شرارها حرم الحسين عليه‌السلام في شهر ربيع الاول سنة ٤٠٧ من الهجرة ، فكان الحريق في الحرم المطهر التهمت النار فيه أولا التأزير وتعدت منه الى الاروقة ، وثم الى القبة‌السامية فانهار البناء بأسره على أثر هذا الحريق الهائل في منتصف الليل ، ولم يبق من البناء — على ما يظهر — غير السور الخارجي وبعض الشيء من الحرم .

وقد جاء وصف هذا الحريق بصورة مقتضبة رسمية في كل من « تاريخ الملوك والامم » لأبي الفرج ابن الجوزي ، وفي « الكامل » لابن الاثير الجزري بما نصه في الاول :

« وفي شهر ربيع الاول سنة ٤٠٧ من الهجرة احترق مشهد الحسين عليه السلام والاروقة . وكان السبب ان القوام أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في جوف الليل على التأزير فاحرقتاه ، وتعدت النار — ج٧/٢٨٣— » ومثل ذلك قول ابن الاثير أيضا (ج٩ / ١٠٢) .

ويظهر من هذين التقريرين المتقضبين الرسميين أوشبه الرسميين التاريخ في تلك العصور المنصرمة ولا زال سجل لما ترفعه السلطات عادة أو ترتضيه، بأن الحادث وقع عفوا ، والحريق نشب بغير عمد أو قصد . ولكن نظرة عامة على حوادث سنة ٤٠٧ هـ في كافة أنحاء الاقطار الاسلامية في عهد أحمد القادر بالله العباسي المعروف بنزعاته المتطرفة وميوله الهدامة ضد حرية

الفكر وتحريسها على المسلمين ، وتحامله الشديد على آراء المعتزلة وتكفير من يعتنق مبادئهم . ثم تكفيره الفاطميين ولعنهم علنا ، وخلقه روح البغضاء والعداء بين الطوائف الاسلامية بالفتاوي الدينية التي كان يحصل عليها من الفقهاء [٤] ، كل ذلك ربما يلقي بعض الضوء على حقيقة أسباب الحريق الذي نشب في حرم الحسين عليه السلام في ربيع الاول سنة ٤٠٧ من الهجرة ، لاسيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار حوادث تلك السنة من غرة المحرم ٤٠٧ من حوادث دامية في المحرم كانت قد سبقت الحريق في حرم الحسين وكانت قد وقعت بين الطوائف الاسلامية في أفريقية على عهد المعز بن باديس كما أعلنها ابن الاثير فذهبت ضحيتها الشيعة بأجمعهم قتــلا ونهبا وسلبا بجميع أنحاء أفريقية . [٥] الى الفتن الداخلية التي تلت حادث الحريق في حرم الحسين عليه السلام توا في مدة لاتتجاوز العشرة أيام تقريبا ، وهي التي رواها كل من ابن الجوزي وابن الاثير بأن :

« وفي الشهر — أي ربيع الاول نفسه — اتصلت الفتنة [٦] بين الشيعة والسنة بواسط ، ونهبت محال الشيعة والزيدية بواسط واحترقت . وهرب

(٤) راجع : « تاريخ العرب » للسيد امير علي ص ٢٦٣ طبع مصر ١٩٣٨ .

(٥) ابن الاثير ج٩ ص ١٢٢ — ١٢٣ في حوادث محرم سنة ٤٠٧ هـ .

(٦) اتصلت الفتنة ، اشارة الى ما قبلها من فتنة افريقية وحريق حرم الحسين وحرم سامراء وحريق محلات الكرخ في بغداد وحريق الركن اليماني من البيت الحرام وغيرها .

وجوه الشيعة والعلويين فقصدوا علي بن مزيد واستنصروه » [٧] .

ثم ، أليس من الغريب أن تقع كل هذه الحوادث الدامية المتشابهة بأفريقية وواسط في وقت واحد خلال الاشهر الاولى من تلك السنة على عهد القادر بالله العباسي المعروف بسيوله الهدامة ، ومع ذلك كله ، يعتبر حادث الحريق في حرم الحسين أمرا عاديا حصل قضاء وقدرا دون أي مسبب ؟ مع أنه قد توافرت وتعددت قرائنه ونظائره في نفس الوقت في بقية الاماكن على ما يحدثنا كل منهما بحيث أصبحت فتنة عامة وحركة واسعة النطاق شملت كل الاقطار الاسلامية دون استثناء . اذ أنه بعشرة أيام بعد حريق حرم الحسين (ع) أي في عشرين ربيع الاول احترق أيضا حرم العسكريين بسامراء ، واحترقت في نفس اليوم محلات الشيعة ببغداد في جانب الكرخ من محلة « نهر طابق » ومحلة « دار القطن » وقسم من محلة « باب البصرة » وامتدت دسائس القادر بالله العباسي فشملت بيت الله الحرام والمسجد النبوي والبيت المقدس ، اذ أنه في نفس اليوم أيضا تشعث الركن اليماني من البيت الحرام ، وسقط حائط بين يدي النبي (ص) ووقعت القبة الكبرى على الصخرة بالبيت المقدس . [٨] وهكذا من جراء دسائس القادر عم البلاء ، وساد الفزع في كافة الاقطار الاسلامية في وقت واحد .

وفي الاثنين والاربعين السنة من حكمه الطويل من عام ٣٨١ الى عام ٤٢٢ فقد عبث القادر بالله بالبلاد الاسلامية ، وأشعل النار فيها ، وأراق الدماء وهدم البيوت والبلدان حتى الاماكن المقدسة ، واضطهد المسلمين بجميع

---

(٧) « المنتظم فى تاريخ الملوك والامم » ج٧ر٢٨٢ وابن الاثير ج٩ر١٢٢ — ١٢٣ .

(٨) « المنتضم فى تاريخ الملوك والامم » ج ٧ ص ٢٨٢ — وتاريخ ابن الاثير ج٩ ص ١٢٢ — ١٢٣ ثم قارن بين نصوصهما .

طبقاتهم مستظهرا بالفقهاء في كل ذلك ، ومثل دورا فاق فيه المتوكل نيرون العرب من حيث القسوة والفظاعة • بدأ أعماله الارهابية بأثارة الفتن بين الطوائف الاسلامية في ذي الحجة سنة ٣٨٩ وفي المحرم سنة ٣٩٠ [٩] ، وقبلها • ليختمها في أخريات حياته بالفتن التي تجددت ببغداد في ٤٣٢ والتي انتهت بأن •

« اعترض أهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين عليهما السلام ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر ، وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر — ابن الاثير ٩/١٤٥ » •

فبينما كان يجري القادر بالله العباسي على تلك السياسة الخرقاء في هذا القسم كانت سياسة معارضة معاكسة لاعماله الهدامة تجري في القسم الشرقي من البلاد الاسلامية ، فان السلطان محمود الغزنوي كان في عام ٤٢١ ويهتم غاية الاهتمام بتشييد عمارة فخمة على قبر علي بن موسى الرضا الامام الثامن عليه السلام بطوس من أرض خراسان وتشجيع الزوار على زيارته والمنع من ايذائهم كما رواه ابن الاثير في حوادث عام ٤٢١ وغيره من المؤرخين بأن :

« يمين الدولة محمود بن سبكتكين سلطان غزنة جدد في هذه السنة عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا وأحسن عمارته[١٠]، وكان أبوه سبكتكين أخربه • وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن

---

(٩) راجع : ابن الاثير ج٩ ص ٥٤ في حوادث سنة ٣٨٩ هـ .

(١٠) وعمارة حرم الرضا (ع) في الحقيقة على جانب كبير من الابهة والعظمة ، فان لادارته العامة نظاما ملكيا على شاكلة بلاط الملوك والسلاطين في التنظيم وقيام الحجاب والامناء والموظفين الكبار بالخدمة الفعلية له . وله الدوائر المختلفة الكثيرة ومزود بدار للضيافة ومتحف كبير للآثار الثمينة .

ذلك . وكان سبب فعله أنه رأى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له : الى متى هذا ؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد فأمر بعمارته — ج ٩ / ١٣٩ » .

ولما كانت قد أضطربت الحالة ، وانقطع حبل الامن في البلاد الاسلامية نتيجة لتلك المؤامرات من اثارة الفتن بين الطوائف ، وهدم الاماكن الاسلامية المقدسة ، واشعال النار فيحرم الحسين وفي حرم العسكريين بسامراء اضطروا الى اسناد منصب الوزارة الى ابن سهلان الرامهرمزي لتهدئة الحال ، واعادة الامن ، وارجاع الطمأنينة والسكينة الى النفوس ، فتعين على أثر هذه الحوادث في ربيع الآخر كما ذكره ابن الجوزي بأن :

« وفي ربيع الآخر خلع على أبي محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزي خلع الوزارة من قبل سلطان الدولة . وهو الذي بنى سور الحائر بمشهد الحسين — ج٧ / ٢٨٢ — » .

وله مكتبة عامة تحوي مئات الالوف من الكتب ومعدة للمطالعة غيران الاستفادة منها قليلة جدا اذ ليس لها مدير خبير بأصول ادارة المكتبات العامة وهذا هو نقصها البارز . وقد فقد منها قسم من الكتب الخطية النادرة على ما علمناه فى العام الماضي ومديرها من اسرة القاجار السابقين اعطيت له هذه الوظيفة كمساعدة او سدا للشاغر لا لاختصاصه . ولذلك لم يجد المراجعون بغيتهم ولم ير الباحث غير التشجيع فيها على مطالعة القصص الفارسية الخرافية امثال « اسكندر نامة » و« حسين كرد » . والمقول فى خراسان ان المراد تشجيع حركة رجعية لما فى تلك الكتب من تصورات خيالية تقرب الى الاذهان عهد القاجاريين السابق .

الفصل السابع
الحائر ونهب أمواله وخزائنه على يد

المسترشد بالله العباسي فى سنة ٥٢٦ من الهجرة

انتهت مدة من الزمن سياسة الهدم والتخريب والمخر والحرق لقبر الحسين عليه السلام بالمعاول والماء والنار بانقضاء العصر العباسي الثالث في أواسط القرن الخامس من الهجرة ، وبدأت تطبق بحقه سياسة جديدة أقل وطأة من تلك الاخرى ولكنها رامية في الحقيقة والواقع الى نفس الغاية للتقليل من شأن هذه العتبة المقدسة عن طريق نهب أموال الحائر ، وسلب خزائنه وموقوفاته ولتجريده من آثار الجلال والعظمة المتمثلة في مفروشاته وستائره الثمينة ،وقناديله وأسرجته الذهبية المرصعة ،وخزائنه المملوءة بالآثار والتحف النفيسة القيمة في هذا الوقت .

وقد سار المسترشد بالله ابن المستظهر العباسي على هـذه السياسة الجديدة تجاه الحائر في الربع الاول من القرن السادس من الهجرة .

ومما رواه المجلسي في « البحار » بهذا الصدد نقلا عن « المناقب » لابن شهر اشوب أنه :

« أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء وقال : ان القبر لايحتاج الى خزانة وأنفق على العسكر . فلما خرج قتل هو وابنه الراشد » [١] .

وفي خلافة المسترشد ضاقت الارض على رحبها على الشيعة لما أخبر المسترشد بجمع ما اجتمع في خزانة القبر من الاموال والمجوهرات فانفق على

(١) راجع : « بحار الانوار » ج١٠ ص ٢٩٧ .

جيوشه قائلا ان القبر لايحتاج الى خزينة ، الا انه لم يتعرض للبناء بسوء[٢] .
وقد كان المسترشد في هذا الوقت يستعد بتجهيز الجيوش وجمع العساكر لانه كان قد اشتبك في أواخر عهده بحروب داخلية أثيرت عليه بمدة يسيرة من بعد وفاة السلطان محمود في سنة ٥٢٥ هـ . فكان بحاجة شديدة الى المال ، فتطاول على الحائر المقدس وصادر أمواله فاستعملها في سبيل توطيد دعائم ملكه في تلك الحروب التي أثارها عليه مسعود أخو سلجوقشاه في أواخر سنة ٥٢٦ هـ . وقد نشبت معركة حامية بينهما دارت فيها الدائرة على المسترشد نفسه ، ووقع أسيرا في قبضة خصمه . وبينما كان في خيمته اذ هجمت عليه جماعة من الباطنية وفتكوا به [٣] . فذاق كأس المنون بعد أن صادر أموال الحائر المقدس ونهب خزائنه كما جاء في الرواية المتقدمة .

---

(٢) راجع : « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١٣ .

(٣) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٩١ .

الفصل الثامن

الحائر ونهبه على يد المشعشعين فى سنة ٨٥٨ من الهجرة

بعد الحوادث المتقدمة في أوائل كل من القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، من بعد الحريق الهائل في حرم الحسين (ع) بدسائس القادر بالله العباسي في سنة ٤٠٧ ومن بعد ضبط المسترشد لاموال الحائر في سنة ٥٢٦ من الهجرة ، مرت فترة طويلة من الزمن تربو على أربعمائة وخمسين سنة لم يمس الحائر خلالها حسب الظاهر بسوء ، ولم يكن حرم الحسين عليه السلام فيها موردا للانتهاك أو ضحية للاهواء السياسية الدينية ، بل بالعكس كان في تلك المدة على ما يظهر من القرائن مورد التفخيم والتجليل العظيمين في العالم الاسلامي من قبل الامراء والملوك ، ومن ناحية الامم والشعوب الى أن كانت حوادث النصف الاخير من القرن التاسع الهجري على يد علي بن محمد بن فلاح المعروف بالمشعشعي .

فقد تشكلت في أوائل هذا القرن دولة عربية في جنوب العراق بسطت سلطانها تدريجيا على رقعة كبيرة تضم الحويزة والاهواز والجزائر وقسم من بلاد خوزستان وعاشت اكثر من قرنين ما بين سنة ٨٠٤ حين أسسها فلاح ابن محمد آل المشعشع المتوفي سنة ٨٥٤ الى سنة ١٠٢٥ هـ ثم ضعف سلطانهم فأصبحوا أمراء منصوبين من قبل الملوك الصفويين . وقد زعم البعض أن آل المشعشع سادة ولكننا لم نتثبت من صحة ذلـك للاختلاف الواضح بين المؤرخين في نسبهم . وهم على قسمين : غلاة ، ومتشيعون ، وأول من ملك منهم الحويزة قبل أن تخطط هو فلاح وقد توفي أبوه وهو طفل صغيرفتزوج

الشيخ أحمد بن فهد الحلي بأمه ورباه وكانت وفاته سنة ٨٥٤ هـ (راجع آثار الشيعة) .

وكان محمد ابنه من تلامذة الشيخ فظهرت منه الدعاوي الباطلة فأفتى الشيخ بقتله وكتب في استحلال دمه الى الامير منصور بن قيان بن ادريس العبادي، فقيده الامير واراد قتله ، ولكنه استطاع ان ينجو بنفسه من القتل بالغدر والحيلة ، ثم ساعده الحظ في مدة وجيزة فاجتمعت حوله من الاعراب طوائف شتى وأول من بايعه بنو سلامـة فتفاءل بذلك الخير والسلامة ، واستولى أخيرا على بلاد خوزستان وباشر أمورا خطيرة ، وشن حروبا كثيرة . (مجالس المؤمنين ص ٤٠٤) .

ومن ذلك هجومه على النجف الاشرف واحراقه قبة الامير عليه السلام وجعلها مطبخا مدة ستة أشهر كما نقله العلامة ضامن ابن شدقم في « تحفة الازهار » بأنه :

« استولى على جميع الاهواز من شاطيء الفرات الى الحلة ، وكانت جنوده خمسمائة لايعمل فيهم السلاح ولا غيره لاستعمالهم بعض الاسماء . وكان غاليا في المذهب سافر الى العراق وأحرق الحجر الدائر على قبة الامام علي بن أبي طالب (ع) وجعل القبة مطبخا للطعام الى مضي ستة أهلة لقوله : « انه رب والرب لايموت » (آثار الشيعة ص ٥٨ ـــ ٥٩) .

وكان أول قيامه وظهور أمره في رجب سنة ٨٤٤ هـ ووفاته في سنة ٨٦٦ او في ٨٧٠ (مجالس المؤمنين ص ٤٠٥) .

علي بن محمد بن فلاح ونهبه الحائر المقدس

وقد استولى علي ابنه على أزمة الامور في حياة ابيه وترأس القوم بنفسه ودعاهم الى مقالته بأنه قد حلت فيه روح أمير المؤمنين (ع) وأن عليا حي . فأغار بجيشه على العراق ونهب المشاهد المشرفة ، وأساء الادب الى الاعتاب

المقدسة • وقد عجز الاب عن اصلاحه وتأديبه وكلما احتج الامراء والملوك على أعمال ولده كان يظهر لهم العجز في الرسائل التي تبودلت بينهم ، ويظهر من بعض مؤلفاته المنتشرة بين اعوانه بأنه ادعى المهدوية • ولم يكتف بهذا الحد على ما يروى فقد ادعى الالوهية أيضا (مجالس المؤمنين ص ٤٠٥و٤٠٦)•

وكان علي المعروف بـ « مولى علي » يحذو حذو أبيه في الفظائع والطامات وكان من أقسى الناس قلبا • وقد يقال انه بلغ من عدم الحياء الى مرتبة أنه ما اجتزأ في آخر أمره بدعاوي أبيه الباطلة وادعى الالوهية ، وقتل الحجاج في النجف ونهب أموالهم غير متأثم ولا متحرج في سنة ٨٥٨ هـ • واستولى على أبيه في آخر عمره وأخذ أزمة الامور بيده • وصار بنفسه رئيس الفئة الباغية ، وهاجم المشاهد المشرفة بالعراق في حياته وأغار عليها ونهب ما فيها وأبدى قسوة شائنة (شهداء الفضيلة للعلامة الاميني ص ٣٠٥) •

وقيل ان « المشعشعي » هو من ألقاب علي بن محمد بن فلاح الذي كان حاكما بالجزائر والبصرة ، ونهب المشهدين المقدسين ، وقتل أهلهما قتلا ذريعا ، وأسر من بقي منهم الى داري ملـكه البصرة والجزائر في صفر سنة ٨٥٨ هـ •

ومن المشهور أن طائفة من المشعشعية الضالين يأكلون السيف كما جاء في « رياض العلماء » بأن : جاء واحد من جماعتهم في عصرنا الى حضرة السلطان وفعل ذلك بحضرة من المتصلين بخدمته ، ولم أدر ما معنى هذا الكلام (روضات الجنات ص ٢٦٥ و ٣٥٣) •

وقد عاش علي بن محمد بن فلاح على هذه السيرة الى أن قتل بسهم أصابه في حصاره لقلعة بهبهان في سنة ٨٦١ هـ فنال بذلك بعد ثلاث سنوات جزاء ما ارتكبه نحو الحائر المقدس •

تحليل الحوادث المذكورة ونتائجها العظيمة

لم نأت بهذه التفاصيل الفائضة عن هؤلاء الغلاة المنتحلين شرف السيادة زورا وبهتانا الا لتصوير ما بلغ اليه الوضع يومئذ من الاضطراب والفوضى، وما حدث فيه للحائر والمشاهد المشرفة من النهب والسلب والهدم مثل ماقام به محمد بن فلاح في النجف أو ابنه علي في كربلاء . اننا وان لم نتوصل بعد الى تفاصيل أوسع مما قدمناه عما اقترفه علي بن محمد بن فلاح على نحو ما فعله ضبة بن محمد الاسدي من قبل من نهب أموال الحائر وقتل جم غفير من الزائرين والسكان الآمنين قتلا ذريعا وأسر من بقي منهم الى مقر حكمه في الجزائر والبصرة ، الا اننا نستطيع أن تقدر حسب القرائن التاريخية بأن خسائر الحائر في هذه المرة كانت فادحة للغاية تفوق بكثير ما أصابه في سنة ٥٢٦ هـ . لان الحائر في هذه الفترة الطويلة من الزمن من بعد المسترشد الى عام ٨٥٨ كان قد توسعت معالمه ، وكثرت موارده وأوقافه ، وامتلأت خزائنه بالنفائس الجليلة والهدايا الثمينة التي تقدم بها الامراء والملوك والسلاطين من متأخري الخلفاء العباسيين لاسيما أحمد الناصر ، ومن ملوك الشيعة أمثال محمود غازان (٦٩٤ ــ ٧٠٣ هـ) والشاه محمد خدابنده (٧٠٣ ــ ٧١٦ هـ) وابنه بهادر خان أبي سعيد (٧١٦ ــ ٧٣٦ هـ) . ثم السلطان أويس الجلائري (٧٥٧ ــ ٧٧٥ هـ) وولديه السلطان حسين (٧٧٥ ــ ٧٨٤ هـ) والسلطان أحمد (٧٨٤ ــ ٨٠٨ هـ) .

وقد ترك كل واحد من هؤلاء الثلاثة الاخيرين من الجلائريين آثارا عظيمة للحائر المقدس .

ولم يكن حظ ملوك الدولة القراقويونلية من قرأ يوسف (٨١٥ ــ ٨٢٧ هـ) وولديه الاسكندر (٨٢٧ ــ ٨٤٠ هـ) والميرزا جهانشاه (٨٤٠ ــ ٨٧٢ هـ) وابن هذا الاخير حسينعلي شاه (٨٧٢ ــ ٨٧٣ هـ) بأقل من غيرهم

في خدمة الحائر واعلاء شأنه . ولذلك كان الحائر في هذا الدور من القرن التاسع على جانب عظيم من الجلال والابهة ، وكانت خزائنه مملوءة بثروة طائلة من الهدايا والنفائس الثمينة والنادرة الوجود ويستنبط ذلك لدرجة ما من الوصف المستفيض الذي وصف به جلاله وعظمته ابن بطوطة في عام ٧٢٧ هـ بقوله :

« ... والروضة المقدسة داخلها ، وعليها مدرسة عظيمة ، وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر . وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل احد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة . وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة ، وعلى الابواب ستائر الحرير ... »

فقد زار ابن بطوطة كربلاء بزمن قبل قيام الدولة الجلائرية التي استرخصت الغالي والثمين في سبيل تقديس المشاهد المشرفة واعلاء شأنها لا سيما بالنسبة الى الحائر على عهد وايس وولديه السلطان حسين واحمد (٧٥٧–٨٠٨ هـ) ثم في عهد قرا يوسف وولديه الاسكندر وجهانشاه (٨١٥–٨٧٢ هـ) . ومع ذلك فان الوصف الذي يعطيه ابن بطوطة عن كربلاء في اوائل القرن الثامن هو بكثير دون ما بلغ اليه شأنها في القرن التاسع يوم أغار عليها علي بن محمد بن فلاح ، لانها كانت قد تقدمت تقدما عظيما من بعد ابن بطوطة لا سيما على عهد السلطان اويس الذي جدد عمارة الحائر من جديد (٧٦٧ هـ) وخصص مرجان والي بغداد الاوقاف الواسعة الكثيرة من امواله الخاصة في بغداد وعين التمر والرحالية وكربلاء للجامع والمأذنة العظيمة التي بناهما في هذا التاريخ لحائر الحسين (ع) .

ومع الاسف هدمت هذه المأذنة ظلما في عام ١٣٥٤ هـ ونسيت اوقافها الكثيرة .

فيستنبط من ذلك مبلغ ما اصاب الحائر من الحيف على يد تلك الفئة

الباغية ،ويظهر ان الحادث وقع على عهد جهانشاه (٨٤٠–٨٧٢ هـ)• ولم يقل هذا الحيف على كل حال في مداه ، ولا في شدته وتنائجه عما لحق الحائر مثله على يد الغزاة الوهابيين في عام ١٢١٦ هـ • فان الثروة العظيمة الطائلة التي جمعت في خزائن الحائر خلال اربعة قرون من القرن السادس الى التاسع نهبت في أقل من طرفة عين في هذا الحادث ، كما وان مثل هذه الثروة العظيمة التي اجتمعت فيها ثانية خلال الاربعة القرون الاخرى من القرن التاسع الى اوائل الثالث عشر منه كان مصيرها النهب ايضا على يد فئة اخرى تشبه الاولى الجهل والتعصب الذميم • فقد قدر الخبراء ما نهبه الغزاة الوهابيون من الحائر في عام ١٢١٦ هـ ببضعة ملايين من الدنانير الذهب على اقل تقدير من الاموال والمجوهرات والنفائس الثمينة لم يقل عن نصيبهم حسب الظاهر نصيب الفئة الباغية الاولى من نهب الحائر • فلا يقل ما نهبه المشعشعيون على كل حال عن بضعة ملايين من الدنانير الذهب ، وهو بالضبط او تقريبا بقدر ما نهبه الوهابيون بعد اربعة قرون ، لان ما نهبه الغلاة والوهابيون من الحائر في كل مرة كانت نتيجة ما اجتمعت من الاموال والنفائس في خزائنه خلال اربعة قرون وبذلك يساوي عمل الغلاة والوهابيين في كلا الحالين •

الفصل التاسع
الحائر والهدم والحرق والنهب والقتل

على يد الوهابيين فى ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦ من الهجرة

« لقد عاودتنا اليوم ارزاء كربلاء =١٢١٦ هـ »

ان اعظم فاجعة من بعد وقعة الطف مرت على كربلاء في التاريخ هي غزو الوهابيين لها في عام ١٢١٦ من الهجرة . تلك الفاجعة التي لا تزال تردد صداها البلاد الاسلامية والاوربية معا ، فأسهب في فظاعتها المؤرخون من مسلمين واوربيين ، وانعكست في الشعر فرددها الشعراء في قصائد طويلة صوروها ووصفوا فجائعها المنكرة ادق وصف فعدوها وقعة طف ثانية في التاريخ . ولا نريد ان نبدي فيها رأيا قبل الغير ، فندع المجال اولا للاوربيين ومن بعدهم للمسلمين ان يصفوا تلك الفاجعة العظيمة والمذبحةالهائلة ويبدوا رأيهم فيها ، فنعطي دور الكلام اولا الى المستر ستيفن هيمسلي لونكريك الانكليزي ان يتكلم أمام الرأي العام العالمي والتاريخ بصراحته وحريتهعلى منصة الخطابة في هذه المحاكمة التاريخية ، فاسمعوا الى قوله ، فانه في كتابه «اربعة قرون من تاريخ العراق — طبع بغداد ١٩٤١ » يقول :

« لم تكن اعراب نجد تختلف في العقيدة والمذاهب عن بقية المسلمينالى اواخر القرن الثاني عشر الهجري حين نشر بينهم محمد بن عبدالوهاب تعاليمه الجديدة التي جاءت موافقة لميول امة بدوية تعيش على الفطرة ، معتمدة على الغزو في معيشتها ، ولاقت قبولا حسنا من محمد بن سعود اميرهم . وقد تلقى محمد بن عبد الوهاب دروسه في كليات بغداد الدينية فاتيح له ان يجلب الاخطار العظيمة على هذه البلاد التي اقام فيها . وانتقل

من بغداد الى المدينة ثم الى «عوينة» في نجد • ثم اضطر اخيرا الى الفرار من هناك فالتجأ الى الامير محمد بن سعود في الدرعية فاستقام عنده واستولى على لبه سنة بعد اخرى فكانت من ذلك ان اتحدت قواهما الدينية والدنياوية فولد ذلك وحدة وروحا في هذه الدويلة الصغيرة التي نشرت عقيدتها بالفتح. ملخصة عن صفحة ٢٢٧ منه » •

« ومات الامير في سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) فاستخلفه عبدالعزيز بن سعود • وما حلت سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) حتى كان ابن سعود هذا ذا قوة عظيمة في الجزيرة ، فأصبحت منذ ذلك الحين تعرف امبراطورية ابن سعود النجدية بالعقيدة الوهابية ، وقد توسعت غزواتهم الدينية في جميع الجهات • وقد اصبح العراق من قبل عام ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م)يحس بوجود جار حديث غير مستقر • ملخصة عن صفحة ٢٢٧ــ٢٢٨ » اذ أخذت تتكرر هجماتهم على حدود العراق ولم يأت الصلح الذي انعقد معهم ببغداد في عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩م) بفائدة ما ، لان صلحا كهذا يكتنفه التعصب العدائي من جهة ، والتحدي لعرف البادية من جهة اخرى لا يمكن ان يؤمل دوامه • فقد هاجم الوهابيون بعد سنة حجاج الخزاعل بالقرب من نجد ، وفي فرصة اخرى للوهابيين هوجم الحجاج الايرانيون ونهبوا في الموضع نفسه •• وما كاد يخبر بظهور القوات قرب شفاثة حتى سارع الكهية (لقب وزير الباشوات في بغداد) وخيم بالقرب من كربلاء ص ٢٣١ » •

وهنا يسهب المستر لونگريك في وصف تلك الغارة الشنعاء المنكرة على مدينة كربلاء العزلاء المكشوفة بقوله :

« على ان الفاجعة الكبرى كانت على قاب قوسين او ادنى ، تلك الفاجعة التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع الاشعبي واستعملت باسم الدين • وان الجيوش الوهابية تحركت للغزو المختص بالربيع • فأرسل

الكهيةالى الهندية الا انهما كاد يغادر بغداد حتى وافت اخبارهجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم اياها وهي اقدس المدن الشيعية واغناها .

ثم يصفهالمستر لونگريك هجوم الوهابيينعلى كربلاء ونهبهم وهدمهم الحضرة المقدسة بقوله :

« انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلاء في عشية اليوم الثاني من نيسان (١٨٠١ م) عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بالزيارة. فسارع من بقي في المدينة لاغلاق الابواب ، غير ان الوهابيين وقد قدروا بستمائة هجان واربعمائة فارس نزلوا فنصبوا خيامهم وقسموا قوتهم الى ثلاثةاقسام . ومن ظل احد الخانات (من ناحية محلة باب المخيم فتحوا ثغرة في السور فدخلوا احد الخانات فجأة) .

هاجموا أقرب باب من ابوابالبلد ، فتمكنوا من فتحه عسفا ودخلوا. فدهش السكان واصبحوا يفرون على غير هدى بل كيفما شاء خوفهم .

أما الوهابيون الخشن فقد شقوا طريقهم الى الاضرحة المقدسة واخذوا يخربونها ، فاقتلعت القضب المعدنية ، والسياج ثم المرايا الجسيمة . ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات والامراء وملوك الفرس . وكذلك سلبت زخارف الجدران وقلع ذهب السقوف ، واخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة ، والابواب المرصعة وجميع ما وجد من هذا الضرب وقد سحبت جميعها ونقلت الى الخارج . ص ٢٣٣ .

ثم يبسط المستر لونگريك امام العدل الانساني ظلامة الالوف من الشيوخ والاطفال ، ومن النساء والرجال الذين كانوا ضحية الوحشة بقوله :

« وقتل زيادة على هذه الافاعيل قراب خمسين شخصا بالقرب من الضريح ، وخمسمائة ايضا خارج الضريح في الصحن .

اما البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فسادا وتخريبا وقتلوا

من دون رحمة جميع من صادفوه ، كما سرقوا كل دار ، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل ، ولم يحترموا النساء ولا الرجال . فلم يسلم الكل من وحشيتهم ولا من أسرهم .

ولقد قدر البعض عدد القتلى بألف نسمة وقدر الاخرون خمسة اضعاف ذلك[1] . ولم يجد وصول الكهية الى كربلاء نفعا . فقد جمع جيشه في كربلاء والحلة والكفل ، ونقل خزائن النجف الاشرف الى بغداد . ثم حصن كربلاء بسور خاص وعلى هذا لم يقم بأي انتقام للفعلة الشنيعة الاخيرةالتي قام بها العدو الذي لا يدرك .

وقد كان ذلك الحادث الاليم للباشا الشيخ (سليمان باشا الكبير والي بغداد)في عمره هذا صدمة مميتة . وانتشر الرعب والفزع في جميع انحاء تركية وايران . وبذلك رجع وحوش نجد الكواسر الى مواطنهم ثقالا على ابلهم التي حملت تحميلا ثقيلا نفائس لا تثمن . ص٢٣٣ .

وقد وصف الكثير من المؤرخين هذا الحادث المؤلم لهذه البلدة الاسلامية المقدسة الامنة بكثير من الاستفضاع والاستهجان على نحو ما فعله المستر لونگريك ، فجاء مثل ذلك عن هدم الوهابيين للحائر المقدس ونهبهم البلدة وقتلهم عشرات الالوف من النفوس البريئة بين شيوخ وشبان ونساء

---

(١) مرزا ابو طالب يلوم فى هذا الحادث عمر آغا حاكم البلد وهو سني متعصب لم يعمل شيئا لحماية البلدة ، وقد قتله اخيرا سليمان باشا ص ٣٦٢ من (رحلته) وقد ذكر المرزا ابو طالب فى ص ٣٩٩ من الترجمة الفرنسية لرحلته : انه لقى بكربلاء عمته المسماة « كربلاي بكم » ونسوة من حاشيتها وكان الوهابيون قد سلبوهن كل ماكن يملكن ، فأعانهن ابو طالب بكل ما استطاع من المعونة . ثم ذكر انهم قتلوا خمسة آلاف انسان وجرحوا عشرة آلاف . بهامش « أربعة قرون » ص ٢٣٣ .

ورجال واطفال في كل من كتاب «اعيان الشيعة ج٤ ص٣٠٧» وكتاب «تحفة العالم ج١ ص٢٨٩» وكتاب «روضات الجنات ص٢٦٥ و ص٣٥٣» وفي كتاب «شهداء الفضيلة ص٢٨٨ للعلامة الشيخ عبدالحسين الاميني ، وغيرها من الكتب التاريخية الكثيرة ولضيق المجال اكتفينا بالاشارة اليها للمراجعة بهذا الصدد .

واما الوصف المسهب لهذه الغارة الهائلة وما نهبوا من اموال الحائر وخزائنه ، ومن اثاث الروضة المطهرة ، وما عملوا فيها من الهدم والتدمير فقد جاء بصورة اوفى في كتاب «تاريخ كربلاء المعلى ص ٢٠—٢٢» بما نصه:

« وبقيت كربلاء وهي مطمئنة البال مدة طويلة تزيد على ثلاثة قرون — يعني بذلك من بعد غارة المشعشعيين في سنة ٨٥٨ الى غارة الوهابيين في ١٢١٦ — ولم تر في خلالها ما يكدر صفو سكانها حتى اذا جاءت سنة ١٢١٦ هجرية جهز الامير سعود الوهابي جيشا عرمرما مؤلفا من عشرين الف مقاتل وهجم بهم على مدينة كربلاء وكانت على غاية من الشهرة والفخامة ، يؤمها زوار الفرس والترك والعرب ، فدخل سعود المدينة بعد ان ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالا شديدا .

وكان سور المدينة مركبا من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط من طين . وقد ارتكب الجيوش فيها من الفظائع ما لا يوصف حتى قيل انه قتل في ليلة واحدة عشرين الف نسمة . وبعد ان اتم الامير سعود مهمته الحربية التفت نحو خزائن القبر وكانت مشحونة بالاموال الوفيرة وكل شيء نفيس، فأخذ كل ما وجد فيها ، وقيل انه فتح كنزا كان فيه جملة جمعت من الزوار . وكان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة وعشرين سيفا محلاة جميعا بالذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ، واوان ذهبية وفضية وفيروز والماس وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر .

وقيل من جملة ما نهبه سعود أثاث الروضة وفرشها منها اربعة الاف (٤٠٠٠) شال كشمير ، والفان (٢٠٠٠) سيف من الفضة ، وكثير من البنادق والاسلحة .

وقد صارت كربلاء بعد هذه الوقعة في حال يرثى لها ، وقد عاد اليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعض خرابها وأعاد اليها العمران رويدا رويدا .

وقد زارها في اوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فأشفق على حالتها ، وبنا فيها أسواقا حسنة ، وبيوتا قوراء اسكنها بعض من نكبوا . وبنى للبلدة سورا حصينا لصد هجمات الاعداء ،وأقام حوله الابراج والمعاقل، ونصب له آلات الدفاع على الطراز القديم وصارت على من يهجمها امنع من عقاب الجو فأمنت على نفسها ، وعاد اليها بعض الرقي والتقدم .

وقد ادمت هذه الفاجعة العيون ، واوجعت قلوب المسلمين في مختلف أقطار الارض ، وهزت العالم الاسلامي بأسره من ادناه الى اقصاه . لان بها تجددت مرة اخرى ارزاء كربلاء وبعثت مأساة الطف من جديد كما وصفها الشاعر الحاج محمد رضا الازري المتوفى عام ١٢٤٠ هـ :

ونادى به نادي الصلاح مؤرخا «لقد عاودتنا اليوم ارزاء كربلاء»

حتى وان العواصم الاسلامية على ما يحدثنا المستر لونگريك في تاريخه اهتزت بها هزا عنيفا لان «الاعتداء الوهابي كان يلاحظ بكل اهتمام من طهران ومن استانبول على حد سواء ، وقد رددت ايران بأجمعها صدى نهب كربلاء وضريح الامام الحسين — ص ٢٦١ — » . وقد بينا قبل ذلك ما ادى الى مقتل زعيم الوهابيين بسنة واحدة بعد غارته الشعواء على تلك المدينة الآمنة بقوله :

« وقد اعتقد الناس ان قتل عبدالعزيز بن سعود الشيخ الهرم في سنة

١٢١٨ هـ=١٨٠٣ م كان بتحريض من باشا بغداد . على ان القـاتل كان «ملا» افغانيا وكان يقيم ببغداد وقد قتله انتقاما لابنائه المذبوحين في موقعة كربلاء — ص٢٤٦ — » .

وقد جاء نظما في « مجالي اللطف ص ٤٣ » وصف الغارة :

فشد لا يثني هواه الثاني   ومـزق الكتاب والمثـاني

وهدم الشباك والرواقا   واستلب الحلي والاعلاقا

وقتل النساء والاطفـالا   اذ لم يجد في كربـلا رجـالا

لانهم زاروا الغدير قصـدا   فارخوه (بغدير) عدا (١٢١٦)

الفصل العاشر

الحائر ومأذنة العبد المشهورة

تاريخها وهدمها فى سنة ١٣٥٤ من الهجرة

امام القاريء هذه الصورة الفريدة لهدم اهم أثر من آثار الحائر الفنية التاريخية العظيمة وهي مأذنة مرجان المشهورة بـ « منارة العبد » في الجهة الشرقية الشمالية من صحن الحسين عليه السلام . وقد اقتلعت هذه المنارة العتيدة من جذورها في عام ١٣٥٤ من الهجرة=١٩٣٥ م . وترى فوقها العمال وبيدهم المعاول وهم في حالة هدم القسم الاعلى منها . واهمية هذه الصورة من الناحية التاريخية انها تعطي الانسان بعض الفكرة عن الماضي الذي لا نملك عنه مثل هذه الوثيقة بأنه كيف وبأي نوع كان يجري هدم الحائر نفسه في تلك الادوار الماضية البعيدة على عهد المتوكل او غيره .

تلك أهمية هذه الصورة الفريدة في نوعها .

وفيما يلي موجز في وصف هذه المأذنة ، ومجمل عن تاريخ بناءها واوقافها وتعميرها على عهد الشاه طهماسب الصفوي ، ومختصر عن اسباب هدمها وفكرة توسيع الصحن الشريف من الجهة التي كانت تقع فيها ، ثم رثاء الشعراء لها :

١ ـ كان يتميز صحن الحسين(ع) وقبابه العالية للناظر الى عام١٣٥٤هـ بالمآذن الثلاث التي كانت تزين الحائر المقدس ، اثنتان منها في مقدم الحرم، والثالثة في مؤخرته في الجانب الشرقي من الصحن وكانت هي تلك المأذنة التاريخية العتيدة التي كانت تزيد في جلال الحائر وبهاء منظره . وكانت تقع هذه المأذنة ، كما يظهر من هذه الصورة ومن الصورة المنشورة في الصفحة

من هذا لكتاب ، في الجانب الشرقي من الصحن ملتصقة بجدار السور على بعد عشرين مترا تقريباً من الزاوية الشمالية الشرقية فكانت على يسار الذاهب الى حرم العباس (ع) :

بلى تبقى محكم الاساس شمال من يمضي الى العباس

وكانت مأذنة جبارة اعظم وافخم من كل المآذن الموجودة في العتبات المقدسة من كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ، ومن حيث الفخامة في الابنية التاريخية كانت هي الثانية في العراق من بعد «ملوية» المتوكل وجامعه في سامراء . فكان يبلغ قطر قاعدتها عشرين مترا تقريبا وارتفاعها اربعين مترا مكسوة بالفسيفساء والكاشاني الاثاري البديع الصنع مما يندر وجودهما جدا في هذا اليوم في بقية الآثار التاريخية القديمة ان كان في العراق أو في ايران .

ولا يعلم بالضبط ما كان من مصير زخارفها الثمينة بعدما هدمت في ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .

٢ — تاريخ بناء هذه المأذنة وسبب تشييدها ، ومن الذي شيدها وما أجرى لها من الاوقاف — كان مرجان واليا على العراق من قبل السلطان اويس الجلائري كما بيناه فيما سبق . فرفع العبد راية العصيان فزحف اويس عليه بجيش جرار من تبريز ، فتفرق انصار مرجان ولما بقي وحده لا مناصر له هرب الى كربلاء واستجار بحرم الحسين عليه السلام فبنى هذه المأذنة العتيدة المشهورة بـ «منارة لعبد» مع جامعها واجرى لهما من املاكه في بغداد وكربلاء وعين التمر والرحالية وغيرها اوقافا يصرف واردها على الجامع والمأذنة واصبحت تلك الاملاك الموقوفة اوقافا حسينية . اما مرجان نفسه فاعتكف في ذلك الجامع والمأذنة لائذا بالحسين (ع) من سخط اويس.

ولما علم اويس بما جرى للعبد أحضره فأكرمه وعفى عنه واعاده واليا

على العراق لما قام به من الخدمات الجليلة نحو الحائر المقدس في عام ٧٦٧هـ .
وعلى الاثر قام اويس هو الثاني في تعظيم شعائر الحائر وتجديد عمارته من جديد في تلك السنة .

٣ ـ تعمير مأذنة العبد التاريخية في سنة ٩٨٢ هـ على يد الشاه طهماسب الصفوي ـ بعد اكثر من قرنين من تشييد منارة العبد على يد مرجان والي العراق احتاجت هذه المأذنة بعض التصليح والتحسين في مظاهرها الفخمة فمد لها الشاه طهماسب بن الشاه اسمعيل الصفوي كف البذل والجود فأصلحها وأعاد تعميرها في عام ٩٨٢ من الهجرة في ضمن ما قام به في تلك السنة من التعمير والاصلاحات الاساسية للحائر المقدس وتوسيع الصحن من الجهة الشمالية منه .

اذ ان صحن الحسين (ع) كان حسب الظاهر على شكل صحن الكاظمية له ثلاث جهات من الشرق والغرب والجنوب فقط ، وان الشاه طهماسب الصفوي هو الذي احدث الجهة الشمالية كما يشير الى ذلك قول العلامة المجلسي :

« والاظهر عندي انه ـ أي الحائر ـ مجموع الصحن القديم لا ما تجدد منه في الدولة العلية الصفوية شيد الله اركانهم . والذي ظهر لي من القرائن وسمعت من مشايخ تلك البلاد انه لم يتغير الصحن من جهة القبلة، ولا من اليمين والشمال ، بل انما زيد من خلاف جهة القبلة ـ البحار ج١٨ ص ٧٥٣ ـ » .

وقد جاء وصف تعمير الشاه طهماسب لها في « مجالي اللطف ص ٤٢ » :

ثم تداعى ظاهر المنارة   للعبد واستدعى له عمارة
فمد كفه لها طهماسب   وعمرت بما لها يناسب
وارخت ما بين عجم وعرب « انكشت يار » تعني « خنصر الاحب »

فان انكشت يار وخنصر الاحب هما تاريخ تعميرها في عــام ٩٨٢ هـ على يد الشاه طهماسب الصفوي •

٤ ــ هدم مأذنة العبد التاريخية في عام ١٣٥٤ هـ واسباب هذا الهدم: عاشت هذه المأذنة التاريخية العتيدة ستة قرون نقية سالمة ، بعيدة كل البعد عن الآفات والطواريء الزمنية من يوم تشييدها في عام ٧٦٧ الى عام ١٣٥٤ هـ وهو آخر سنة من عمرها على وجه الارض في صحن الحسين (ع) فتناولتها معاول الهدم في تلك السنة فهدمت مرة واحدة من قمتها الى اساسها في تخوم الارض • والسبب في ذلك انهم قالوا ظهر عليها الاعوجاج فأصبحت « مائلة للانهدام » فيجب هدمها قبل أن تسبب كارثة للحائر المقدس ، هذا ماسمعناه لاننا كنا يومئذ خارج العراق في الاصطياف ، فهدمت على الاثر توا ولم يبق لها اليوم غير هذه الصورة التي أخذت عنها وهي في حالة التهديم • ولكن من الذي حكم في أنها مائلة الى الانهدام ؟ لانعلم • وهل كانت مائلة الى الانهدام في الحقيقة ؟ لانعلم • وعلى فرض أنها كانت مائلة الى الانهدام وكان يجب هدمها درء للخطر فهل هي كانت مائلة الى الاساس وما كان يزول خطرها الا باقتلاعها من جذورها ؟ لانعلم • لان ذلك من الامور الفنية والفن يقرر عندنا مصير كل شيء ، فهو الذي يمكن ان يحكم هل في بقائها خطر ، اوهل هذا الخطر على فرض وجوده هو الى حد ميلان المأذنة او الى حد أساسها في تخوم الارض • تلك أمور فنية لايمكن لاحد النقاش فيها ، وربما الفن هو الذي قرر وجوب هدمها الى الاساس ، ومن يعلم ؟ أما تقولات الناس عن أقوال الخبير المصري الذي استقــدم في ذلك التاريخ من مصر لتنظيم شؤون الاوقاف وجلبه صورة السجلات الاصلية من أستانبول وعثوره فيها على قيود لاوقاف حسينية تخص مأذنة العبد المذكورة وجامعها الى غير ذلك من هذه الاقوال المختلفة الكثيرة التي تتقول بها الناس من ذلك الحين الى

الآن بأنها كانت هي السبب في ازالة تلك المأذنة التأريخية العتيدة من عالم الوجود ، فان كل ذلك أقوال أوشبه تكهنات لم تتمكن الى الآن من الوصول الى حقيقتها • غير انه كان لمأذنة العبد وجامعها مرتبين رسميين في العهد العثماني وفي هذا العهد ، فمن أي مورد كان يصرف عليها اذن ؟ لانعلم • وعلى كل حال فاذا كان لتقولات الناس وأحاديثهم اليومية ظل من الحقيقة فلا بد وأنها تظهر ، والا فتزول زوال المأذنة نفسها من عالم الوجود ، ولم يبق منها اليوم سوى الحيز الذي كانت تشغله في تلك الزاوية من الحائر ولا زال محلها يتميز بلون الكاشاني الذي يختلف عن كاشاني جانبيه في اللون والصفة • وهذا كل ما بقي لها من أثر محسوس في صحن الحسين (ع) •

٥ ــ فكرة توسيع صحن الحسين (ع) من جهة الشرق ــ وظهرت في الآونة الاخيرة فكرة جديدة في ظاهرها ، وقديمة في أصلها لانها ترجع بالاصل الى يوم هدموا مأذنة العبد التاريخية قبل خمسة عشر سنة • وهذه الفكرة ترمي اليوم الى توسيع الصحن المطهر من جهة الشرق لرفع الركنين البارزين في الزاوية الجنوبية الشرقية ، والزاوية الشمالية الشرقية حيث في هذه الاخيرة كانت تقع مأذنة العبد المذكورة ولا زال أثر موقعها ظاهر على جدار الصحن باختلاف لون الكاشاني الجديد المنصوب في محلها عن الكاشاني القديم المستعمل على جانبيه • فاذا رفعوا الركنين المذكورين كما هو المقصود اليوم زال نهائيا كل أثر للمأذنة المذكورة فتصبح كأنها ما كانت في عالم الوجود ولا رآها أحد كما نبه اليه « مجالي اللطف ص ٤٥ » بقوله :

متصلا مع الجدار الغربي — في باب صحن السبط أو في القرب

وربما يزال كالسبيل — ان بني الصحن على التعديل

وقصة منارة الكفل لازالت عالقة بالاذهان تتحدث عنها الناس الى هذا اليوم •

وهذه الفكرة ، كما ألمح اليها في الشطر الاخير ، ليست بجديدة وكانت النية معروفة وانما دخلت اليوم دور التنفيذ . حتى وأن البعض من المفكرين يرون بأن مشروع حول الصحن أيضا وليد تلك الظروف والا كان بالامكان ابعاد المشروع عن منطقة المدارس الدينية والمعاهد العلمية التابعة للحائر المقدس . فهل كان لمأذنة العبد وجامعها أيضا فروع حول الصحن ؟ لا نعلم .

٦ — هندسة مرقد الحسين (ع) وهندسة ضريحه الطاهر وصحنه — كل مشهد من المشاهد المشرفة في العراق أمتاز بشكله الخاص كما يمكن ملاحظة ذلك من المقارنة بين تصاويرها ، ومن بين المشاهد المشرفة فان مرقد الحسين (ع) كان يمتاز بقبته الذهبية العالية ومآذنه المثلثة وبهدم المأذنة هذه هدم ركن من أركان الحائر ، كما وأن ضريحه الطاهر وصحنه أمتازا عن البقية بالشكل الهندسي المسدس ، فان للضريح ستة أضلاع ضلعان منها لولديه (ع) كما ان الصحن نفسه ستة اضلاع على هندسة الضريح بالذات كما تراه في هذه الصورة :

❊ محل مأذنة العبد	في صحن الحسين عليه السلام

وهذه كانت هندسة مقصودة ولعل فيها سر من اسرار الدين ، فلماذا يراد رفعهما لتوسيع الصحن من هذه الجهة ؟ وما المبرر للموظفين الاداريين في تدخلهم في مثل هذه الامور الدينية التي لها العلاقة التامة بمعتقدات الناس؟ والناس في حالة قلق وخوف يتساءلون عن سبب تدخل الموظفين الاداريين الى

❊ وضعنا كافة الصور في آخر الكتاب .

هذه الدرجة في أمور عتبات الشيعة ومقدساتهم الدينية دون بقية الطوائف وعلى الاخص في كربلاء من عام ١٩٣٥ الى أيام طاهر القيسي والى اليوم ؟ ويهدد كل من يبدي الرأي بالسوق والتبعيد والتسفير كأنما أهل هذه البلدة هم المسؤولون عما حل بمن ما أحسنوا السياسة مع القوة الحاكمة في وقته ، ولا يأول كلامنا بأننا لسنا من طلاب الاصلاح والتجديد ، ولكن للاصلاح في مثل هذه الامور حدود كما وان لادارة اللواء واصلاحها من الوجوه العديدة أهميتها ، ونحن على علم بأن الحكومة الجليلة ليس لها علم بمايجري الا من وراء تنسيبات الموظفين أنفسهم بالتقارير التي يرفعونها اليها في صالحهم أو التأييدات التي يأخذونها في مثل هذه الحالات من لفيف من أنصارهم ممن يتوقعون قضاء مصالحهم الخاصة بها ، وفي كل ذلك يموهون الامر وبالنتيجة يسيئون الى سمعتها . ويا حبذا التقليل من التدخل في أمور العتبات الداخلية وصرف النشاط والمقدرة في خدمة اللواء كله من نواحيه الكثيرة وفي هذا يكون خير الجميع . لان تدخلاتهم الى الآن ما أسفرت عن نتيجة حسنة لا لعدم وجود حسن النية ولكن لعدم وجود الخبرة والصلاحية . فان نتائج تدخل طاهر القيسي صارت تظهر اليوم بحدوث بعض التصدع في القبـة السامية على ما يقال . فمن المسؤول عنها ؟ وهذا حديث جديد يرجع الى يوم السبت ٢٢ رجب ١٣٦٨ .

وكيف تدارك الامر ؟ ومن يكفل في المستقبل نتائج ما يجري اليوم ؟ ومن سيكون المسئول عنها ؟ نحن قلنا وتركنا الامر لمن يهمه الامر وما على الرسول الا البلاغ .

ولابد لنا من الاشارة الى سبب هذا التدخل خدمة للحكومة ، وهو أن البعض من الموظفين الاداريين تبنوا قضية كربلاء فجعلوها منذ عام ١٩٣٥ ديباجة لنشاطهم الاداري وأطروحة لحياتهم السياسية فنال من ورائها المناصب

الرفيعة في الدولة فأصبحت من « المودة » أن يتبعه الآخرون فمنيت كربلاء منذ ذلك الحين بالهدم والتخريب والتفقير لتوصل المتصرفين الى كراسي الوزارة فيكون نصيبها الفقر والبؤس ونصيبهم النعيم والترف والحكم ، ونعم مدرجة أصبحت كربلاء للطامحين فاصبحت على قول الشاعر :

كعصفورة في كف طفل يهينها　　　تذوق مرار الموت والطفل يلعب

فيلعب الطفل ولا يشعر بما تذوقه هي من مرارة وضيم في كفه • مع أن كربلاء كانت مورد الاحترام والتقديس في العهد العثماني وفي عهد الاحتلال وفي الحكم الوطني الحاضر ، ولكن الشباب المتطلع من البؤس الى الكرسي والمال والثروة استهون الامر •

أليس من عجب الدنيا في تاريخ الحائر المقدس أن يؤلف الموظف لجنة من سدنة الحرمين الشريفين ووجوه البلد يسيّرهم من بلد الى بلد للاستعطاء والاستجداء لتعمير صحن الحسين (ع) ؟ فقد أهان بذلك حرم الحسين (ع) وأساء الى سمعة الحكومة المحترمة لان متى وفي أي وقت قصرت الحكومة منذ تأسيسها الى اليوم عن تعمير العتبات المقدسة من مورد النفط أو من وزارة المالية أو من الاوقاف وغيرها ؟ أليست كل هذه التعميرات التي تمت في هذا العهد قامت به الحكومة ؟ فلماذا هذا الاستعطاء والاستجداء في البلاد ؟ ومعنى ذلك أن الحكومة ما قامت او ما تقوم بشيء • وهذا افتراء وبهتان ونكران للجميل • ثم في أي دور من أدوار التاريخ جرى تعمير العتبات المقدسة بالاستعطاء والاستجداء ؟ أليس الامراء والملوك والسلاطين في كل أدوار التاريخ والى يومنا هذا هم الذين قاموا بتعميرها والعمارة عليها تقربا الى الله تعالى وخدمة للحسين عليه السلام ؟ فان لم تصدق فان هذا الكتاب بين يديك فهو ينطق بذلك مستندا على المصادر التاريخية •

وأما التشبث بهذه الطرق المبتذلة الوضيعة لتعمير صحن الحسين (ع)

ففيها حط من كرامة الحائر واساءة الى سمعة حكومة وطنية مخلصة على رأسها من يفتخر به ... العراق والامة العربية جمعاء لانه من أكرم سلالة ومن أشرف بيت في العرب كله . فرحمتا بكربلاء وكفى الحائر ما ألحقوا به من الاضرار الفادحة من عام ١٩٣٤ فلننظر أي شبر منها عمروها في هذه المدة غير الهدم ، ثم الهدم في كل يوم ، ولا ننسى ما لمهندسي البلدية من المصلحة في الهدم وتكفي نظرة واحدة على أيام طاهر القيسي وما أجراه المهندس من التخريب يوميا في البلد فاننا لم نستعرض هذه الامور الا توخيا للمصلحة وتنويرا لأولياء الا مرلا لشيء آخر .

٧ — رثاء مأذنة العبد على ألسنة الشعراء وأفواه الناس .

تركت فراغا هائلا في الحائر المقدس وحسرة دائمية في قلوب محبي الفن والتاريخ كما وكان هدمها نظير ما جرى للحائر في الادوار الماضية على يد الغلاة والوهابيين ، فبكتها القلوب ورثتها الشعراء ومن ذلك ما جاء في « مجالي اللطف » عن أدوار تشييدها في عام ٧٦٧ هـ ، وتعميرها في عام ٩٨٢ هـ ، وهدمها في عام ١٣٥٤ هـ ، ثم التلميح بازالة موضعها أيضابتوسيع الصحن ، ثم جعلها مثالا لكل ما يهدم ويزول من عالم الوجود :

ثم بنى المسجد والمنـــارة	فانتسبت للعبـــد ذي الامارة
وكان ذا في السبــع والستينا	من بعد سبع قـد خلت مئينـا
ثم تداعى ظاهر المنـــارة	للعبـد واستدعى له عمـارة
فمـد كفه لهـا طهماسب	وعمرت بمـا لهـا يناسب
وأرخـت ما بين عجم وعرب	«أنكشت يار» تعني «خنصر الاحب»

وهنا تتفجر حسرات الشاعر في أعماق قلبه كما يظهر عليه في قوله :

وهـــدمت منـارة العبد فلم	يبق لهـا من أثر ولا عـــلم

لقولهم بأن عظمهـــا وهن   في الاربع والخمسين من هذا الزمن [1]
بلى تبقى محـــكم الاساس   شمال من يمضي الى العبـــاس
متصلا مـــع الجدار الغربي   في باب صحن السبط أو في القرب

ثم يتنبأ بأن الموضع سيزول ايضا من الوجود بقوله :

وربمـــا يزال كا لسبيـــل   ان بني الصحن على التعديل

ثم يجعلها رمزا لكل ما زال من الوجود بقوله :

فنصبت بين سبيـــل أحمـــد   ومأذن العبـــد فويق المسجد
فمأذن العبـــد عرفت حالـــه   وأنه المنـــارة المزالـــه

وكأن في تسمية هذه المأذنة بـ « منارة العبد » بعض السر من نوع التنبأ والتكهن عن بدايتها ونهايتها . حتى وقيل بأنها كانت مطلسمة لانهم وجدوا في أساسها بعض الاشياء والتعاويذ وغير ذلك .

وقيل أن مرجان لما شيدها حصنها لانها هي التي أنقـذته من مخالب الموت فلعن من يمسها بسوء أو يهدمها ، كما لعن توت عنخ أمون فرعون مصر كل من ينبش قبره فما نجى ممن اشتركوا في نبش قبره وكل واحد منهم ذاق مرارة اللعن فمات موتة غريبة .

ولكن من الذي أصيب بلعن مرجان ، المسبب او المباشر ؟ والاحاديث على ما يروون كانت كثيرة في الشام حول هذا الموضوع في السنين الماضية . ولا نريد الاطالة بأكثر من هذا وهناك طائفة من الشعر في رثاء مأذنة العبد فيها بعض الشيء من التعريض الصريح وغير الصريح ما رجحنا ذكرها لمـــا فيها من مساس ببعض الافراد .

٨ ـ مصير مأذنة العبد التي هدمت عام ١٣٥٤ هـ .

لا زالت الناس تتحدث وتتساءل عن مصير مأذنة العبد بعد هدمها .

---

(١) جاء فى الاصل « فى الست والخمسين » وهو خطا مطبعي .

فاذا كانت في الحقيقة مائلة للانهدام بهذا السبب ، فما المانع من اعادة بنائها ثانية كما سعوا من قبل باعادة بناء المأذنة الغربية التي هدمت أيضا بنفس العنوان ؟ ان القول وجيه في ظاهره ، ولكن لاجواب لنا عنه لأن علم كل شيء عند الله .

الباب السادس

الحائر والاصلاحات المتأخرة

١ ـ الحائر واصلاحات الشاه اسمعيل الصفوي فى سنة ٩١٤ من الهجرة.
٢ ـ الحائر واصلاحات السلطان سليمان القانوني فى سنة ٩٤١هـ = ١٥٣٤م
٣ ـ الحائر واصلاحاته فى الدولة الصفوية على عهد الشاه طهاسب والشاه عباس الكبير ـ وثم نادر شاه .
٤ ـ الحائر واصلاحاته المهمة فى الدولة القاجارية على يد السلطان آغا محمد خان . وفتحعلي شاه . وناصر الدين شاه .
٥ ـ الحائر والاصلاحات الاخيرة على يد السيد طاهر سيف الدين .
٦ ـ الحائر وتوابعه من المدارس والمعاهد العلمية ، والجوامع العظيمة والمساجد التاريخية ،والاماكن الاثرية الى قبل فتح الشارع من حوله.
٧ ـ الحائر وحرم العباس عليه السلام .
٨ ـ ختامه مسك . الحائر وعناية الحكومة بشؤنه فى العراق .

الفصل الاول
الحائر واصلاحات الشاه اسمعيل الصفوي

في سنة ٩١٤ من الهجرة

ان العمارة القائمة اليوم على القبر المطهر هي بالاصل تلك العمارة التي شيدها السلطان أويس الجلائري في عام ٧٦٧ هـ فاتمها من بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد في سنة ٧٨٦ هـ • ومن بعد ذلك صار الامراء والملوك والسلاطين من الفرس والعثمانيين يتسابقون في التقرب الى هذه العتبة المقدسة لاخذ القسط الاوفر من تعميرها واصلاحها •

فمن حين الى حين بين فترة وأخرى كان يقوم أحدهم بتعمير قسم او اصلاح جانب مهم من الحائر المقدس حسبما كان يستلزمه الوضع او يتطلبه الحال •

وان الشاه اسماعيل الصفوي في رأس قائمة الملوك الذين نالوا حظا وافرا من تعميره في أوائل القرن العاشر من الهجرة لان « الامبراطورية الصفوية الفتية التي أسسها الشاه اسمعيل كانت تتاجا ظاهرا للبعث الديني ، وكان هذا البعث مبنيا على الايمان الشيعي القوي المفعم بالثقافة والمدنية » كما يحدثنا به المستر لونگريك في كتابه « أربعة قرون ص ٢٠ » فان مثل الدولة الصفوية من هذه الناحية وقيامها في ايران مثل الدولة الفاطمية في مصر طابق النعل بالنعل فأسرع الشاه في القضاء على الحكومة الآق قريونلو التركمانية في العراق فخضعت بغداد لحكمه في أواخر سنة ١٥٠٨م = ٩١٤ هـ على يد القائد حسين بك لاله ، وان دخول العراق في حوزة العرش الشيعي الجديد — كما يقوله لونگريك في ص ٢٠ — جاء بالشاه مسرعا لزيارة العتبات

المقدسة ، اذ « لم تكد تستقر جنوده في بغداد حتى قدم لزيارة الاضرحة المقدسة في كربلاء والنجف » [١] .

ولذلك يرى البعض في قيام الامبراطورية الصفوية ومحاربتها الاتراك والمغول والتتر والتركمان طورا جديدا لبعث الحركة القومية العربية ثانية الى عالم الوجود بعد أن أكل عليها الدهر وشرب عدة قرون ، ولأن الصفويين و « يرجع نسب سلالتهم الى الامام السابع موسى الكاظم » [٢] كانوا من سلالة عربية عريقة في العروبة ، وان ما قاموا به من الخدمات الجليلة تجاه المشاهد المشرفة لأئمة العرب الاطهار أوخلافها في أماكن أخرى ما كانت منبعثة في نظر البعض الا عن عروبة متطرفة خالصة كانت كامنة في أعماق قلوبهم فكانوا يحاولون صبغ المجتمع الاسلامي بالصبغة العربية الخالصة . كما وأن في زيارته للاعتاب المقدسة في كربلاء والنجف قام بما يلزم من التعمير والاصلاح فشملت اصلاحاته العمرانية كربلاء بأسرها « فأصلح هناك ما أصبح يدعى منذ زمانه بنهر الشاه ، وعند زيارته موسى الكاظم — وهو جده الاعلى — أمر بانشاء بناء فخم حول الضريح » [٣] .

وقد جاءت نبذة عن زيارته لكربلاء وما قام به من خدمات جليلة للروضة المقدسة والسكان المجاورين في تاريخ حبيب السير « بقوله : بعد أن تم فتح بغداد دخلها الشاه اسمعيل منتصرا في ٢٥ ج٢/٩١٤ بين هتاف الاهلين . فعزم في اليوم الثاني على طواف العتبة المقدسة فتوجه الى كربلاء وعند الوصول اليها أدى مراسم الزيارة بكل دقة ، وراعى شروط التشرف بكل احترام ، فقبل العتبة المقدسة بخشوع وورع تام ، ومرغ خديه على تراب تلك العتبة السامية مناجيا روح سيد الشهداء عليه الاف التحية والثناء ، ومستمدا النصر من

---

(١) التاريخ الحديث ، لوزارة المعارف ص ١٠ ط بغداد ١٩٤٦ .

(٢) المصدر ص ٩ (٣) المصدر ص ١٠ و « اربعة قرون ص ٢٠ » .

الله تعالى .

فأنعم على مجاوري الروضة المنورة بأنواع الهدايا .

وكسا صندوق القبر الشريف بأثواب من افخر انواع الحرير المزركش والموشى بالفضة والذهب .

ونصب فوق القبر المطهر اثنى عشر قنديلا من الذهب الخالص تتلألأ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار .

وفرش الروضة الشريفة بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع [٤] .

واقام الولائم الملوكية الفاخرة لسدنة الحرم المقدس وخدامه .

وقد قضى ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من اولها الى طلوع الشمس وهو معتكف في الحائر منكب على قبر جده الحسين عليه السلام » .

ثم يصف تاريخ «حبيب السير» زيارة الشاه للنجف الاشرف والكاظمية وسامراء ثم يقول :

« وعند العودة الى بغداد انصرف الشاه مرة اخرى الى تعظيم العتبات المقدسة وتجليلها فقرر ان يكون لكل واحدة منها «نقارة خانة» تقوم باداء التحية الملكية لتلك المشاهد المشرفة صباحاً ومساء على نمط بلاط الملوك وقصورهم كما هو جار لحد الان بمشهد الرضا عليه السلام .

ثم أمر بجمع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت والتطعيم في الخشب من اطراف البلاد فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الاسليمية والختائية لمراقد الائمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلا عن صناديقها القديمة » .

وقد بذل الشاه اسمعيل ما كان بوسعه لتجليل العتبات وتعظيمها .

---

(٤) وهذه الهدايا صارت من جملة ما نهبه الوهابيون فى سنة ١٢١٦ هـ .

و « في السنين المنحصرة بين زيارته للعراق ووفاته في ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) مر على العراق نصف جيل من السلم والهدوء ، وكانت تأثيرات العتبات المقدسة القدية تؤيد الحكم الجديد »[٥] الذي جاء ختاما لعهدمظلم بائد. غير انه سرعان ان بدأ التنافس بينه وبين العثمانيين على امتلاك العراق باعتلاء سليم العرش في سنة ١٥١٢م–٩١٨هـ و « كانت مواهب سليم المتناقضة من الثقافة والشراسة ، ومن الذكاء والغباوة تستدعي العجب والدهشة.. وكانت ثقيلة عليه عظمة الدولة الشيعية الجديدة ، ولما لم تكن تركية تعد اذ ذاك حامية للدين الاسلامي الحنيف لذا كانت بطولة القضية السنية اول حجة يتذرع بها سليم لاعلان الحرب .. وخلد الاشهر الاولى من حكمه بالذبح المتقن لجميع الشيعة اينما وجدوا – أربعة قرون ص ٢١ – » وكان المذهب في هذه الحروب ذريعة للتوسع والتسخير ، وثم كان فتح العراق الذي تم نهائيا على يد ابنه السلطان سليمان القانوني في ٩٤١ هـ–١٥٣٤ م .

ويظهر ان الصندوق الذي امر الشاه اسماعيل بصنعه للحائر المقدس لم يتم الا في عام ٩٣٢ هـ كما جاء وصفه في « تاريخ كربلاء المعلى ١٥ »[٦].

---

(٥) راجع : «اربعة قرون من تاريخ العراق» ص.٢٠ .

(٦) ولكن تاريخ صندوق الخاتم الاثري الموجود الان على القبر المطهر يرجع الى عام ١١٣٣ هـ فيصادف نصبه ظاهرا فى زمن الشاه طهاسب الصفوي الثاني وهذا التاريخ موجود عليه فى الزاوية الجنوبية الشرقية منه امام باب الضريح كتابة بالعاج الابيض . وقد اعيد تصليحه فى سنة ١٢٢٥ هـ فى عهد الدولة القاجارية كما جاء منقوشا عليه بهذه العبارة « بعد تكسير اعداء الله له فى سنة ١٢١٦ هـ قام بتجديده خان جان القاجار سنة ١٢٢٥ هـ . كتبه صالح الكلكاوي » . لانه كان قد احرق وحطم على يد الوهابيين . ولم يعرف ما حل بالصندوق الذي كان قدمه الشاه اسماعيل .

الفصل الثاني
الحائر واصلاحات السلطان سليمان

القانوني فى سنة ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م

تم فتح العراق في سنة ٩٤١ هـ للسلطان سليمان القانوني وللانقسام الموجود فيه يومئذ صار يخامر قلبه الشكوك والمخاوف لا سيما وكان «يشع من العتبات المقدسة نفوذ قوي الوقع ذو حالين معاد للسلطان وودي للشاه ولذا اصبح العراق مسرحا طبيعيا لنزعات هذين الخصمين كما اثبتت القرون الثلاثة من بعد »[١] • ولذلك بذل السلطان ما بوسعه لاستمالة العتبات المقدسة و « لبى داعي الشعور الديني تلبية طيبة •• ولما كان السابقون له من الصفويين على جانب عظيم من السلطة الدينية كان عليه ان لا يكون اقل منهم في هذا الشأن » فزار باجلال حقيقي «قبة موسى الكاظم ومحمد التقي الجواد • وامر باكمال بناء الجامع الكبير الذي بدأ به الشاه اسماعيل (في الكاظمية) • ثم اوقف مقاطعات مغلة للمقاصد الدينية ، الشيعية والسنية على السواء »[٢] •

ولم تتوقف سياسته الاسترضائية عند هذا الحد في العراق و « كانت عنايته الثانية ان يزور العتبات المقدسة في الفرات الاوسط ، وان يفعل هناك

---

(١) « اربعة قرون » ص ٣٠ و ٣١ •

(٢) المصدر ص٢٧ و «التاريخ الحديث» ص٢١ واما ما اوقفه للعتبات فقد ضبطه مراد الرابع بعد قرن واحد فى عام ١٦٣٨ م وضبط ايضا اوقاف العتبات الاصلية وضمها الى الاوقاف العامة حسب الظاهر وذلك بالاضافة الى ما صادره من املاك الشيعة (اربعة قرون ـ ص٧٩ و ٨٠) •

اكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الاخير . فوجد مدينة كربلاء المقدسة حائرة في حائرها بين المحل والطغيان[٣] . فأنقذ هذه المدينة من خطر الغرق بانشاء سد لا زال يدعى بـ «روف السليمانية» . وامر هناك باصلاح نهر الحسينية فأخذت المياه تروى البساتين والحقول[٤] . وصارت هذه الترعة تنساب في ارض كان الجميع يظنونها اعلى من النهر الاصلي . فاستبشر الجميع للمعجزة واقتسم الحسين الشهيد والسلطان التركي جميع الثناء والاعجاب[٥] . وتعاظمت لهذه الاعمال سمعة السلطان[٦] .

وجاء تفصيل زيارته للاعتاب المقدسة في «تحفة العالم ج١ ص٢٦٥ و ٢٦٦» بقوله : « ان السلطان سليمان العثماني دخل بغداد في ١٨ جمادي الاولى ٩٤١ هـ وزار مرقد الامامين الهمامين الجوادين (ع) في ظاهر بغداد .. ثم قصد زيارة المشهدين المعظمين امير المؤمنين وابي عبدالله الحسين عليهما السلام واستمد من ارواحهما . ولما توجه الى زيارة النجف الاشرف ورأى القبة المنورة من مسافة اربع فراسخ ترجل عن فرسه ، فسأله بعض الامراء عن سبب ذلك فقال له : لما وقعت عيني على القبة ارتعشت اعضائي بحيث لم استطع الركوب على الفرس . فقال له البعض : ان المسافة بعيدة الى النجف ولعل السلطان لا يتمكن من الوصول بهذه الحالة . فقال تنفأل بكتاب الله فلما فتحوا المصحف الشريف خرجت هذه الاية « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى » . فركب بعض الطريق ومشى بعضه حتى دخل الروضة المقدسة ولسان الحال منه مترنم بهذا المقال :

---

(٣) المصدر ص ٢٧ .

(٤) التاريخ الحديث ص٢١ .

(٥) اربعة قرون ص ٢٧ .

(٦) التاريخ الحديث ص ١٢ .

اذا نحن زرناها وجدنا نسيمها يفوح لنـا كالعنبر المتنفس
ونمشي حفاتا في ثراها تأدبـا نرى اننا نمشي بواد مقدس

ثم ذكروا له قصة مرة بن قيس فأنشد السلطان هذين البيتين :

تزاحم تيجـان الملوك ببابـه ويكثر عند الاستلام ازدحامها
اذا ما رأته من بعيـد ترجلت وان هي لم تفعل ترجل هامها

ويستنتج من ذلك الى أي درجة كان للاعتاب المقدسة في العـراق من القوة والنفوذ والتأثير في التوازن الدولي في الشرق الاسـلامي والى أي درجـة كـان الملـوك والسـلاطين يتقربون اليهـا في الملمـات ويلوذون بهـا لتوطيـد دعائم الملك وتثبيت اسـاس الحـكم • ثم والـى أي درجـة كان السـلطان سـليمان القانوني بطـل الحروب والفتوح الـذي دوخ اوربا مدة حكمه فطوى رقعة البلاد الاوربية الشرقية فوقف على ابواب « فينا » عاصمة اعظم امبراطورية في ذلك الوقت ، كان يحاول التقرب الى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف ويسعى في جلب رضاها وكسب ودها • فأين صارت قوتها المعنوية تلك ؟ ومن قضى عليها يا ترى ؟

فان ما قام به من خدمات جليلة للاعتاب المقدسة ، ثم اسـتمداده من ارواح الائمة ، فترجله عن الفرس عند رؤيته القبة المنورة عن بعد ومسيره مشيا على الاقدام الى النجف ، وقطعه لسان من كذب قصة مرة بن قيس ، وقتله من فضله على امير المؤمنين لكونه الخليفة الموجود ، فلم يكن ذلـك كله الا لجلب الرأي العام الشيعي وكسب ود العتبات المقدسة الى جانبـه توطيدا لدعائم حكمه في العراق ، تلك العتبات التي كان لها التأثير البليغ في التوازن الدولي في الشرق و « كان يشع منها نفوذ قوي الوقع »[٧] كان يتوقف عليه مصير السلطان وحكمه في هذه البلاد •

---

(٧) راجع : « اربعة قرون » ص ٣٠ •

الفصل الثالث
الحائر واصلاحاته في الدولة الصفوية

على عهد الشاه طهماسب والشاه عباس الكبير — وثم نادر شاه

قامت الدولة الصفوية من بعد الشاه اسماعيل بقسط وافر من تعظيم الحائر واصلاح شؤونه من حين الى حين كلما دعت الحاجة اليه كان العراق في يدهم او في يد العثمانيين . وفي خلال الاربع والخمسين سنة من حكمه الطويل من عام ٩٣٠ الى ٩٨٤ هـ مد له الشاه طهماسب مرارا كف السخاء والجود ومما جرى على يديه من التعمير للحائر المقدس تجديده عمارة مأذنة العبد التاريخية في أواخر ايامه في سنة ٩٨٢ هـ كما مر فيما سبق وكان تاريخ هذا التعمير « انكشت يار » . وكذلك تعميراته الكثيرة داخل الروضة المطهرة وتوسيعه المسجد الكبير الحالي في الحرم الشريف ، وبناؤه الرواق الشمالي ثم احداثه القسم الشمالي من الصحن كما اشار اليه المجلسي في المجلد الثامن عشر من «البحار ص ٧٥٢» بقوله : «والاظهر عندي انه — أي الحائر — مجموع الصحن القديم ، لا ما تجدد منه في الدولة العلية الصفوية» ثم عين ما تجدد من الصحن في عهدها بقوله : « لم يتغير الصحن من جهة القبلة ولا من اليمين والشمال بل انما زيد من خلاف جهة القبلة » . واذا اضفنا الى ذلك ما جاء في «الحدائق الناضرة ج٢ ص٣٤٦» للشيخ يوسف البحراني بأن « هذا المسجد الجامع الموجود الان في ظهر القبة السامية لم يكن قبل وانما احدث فيما يقرب من مائتي سنة ، ولما احدثوه اخروا جدار الصحن عن تلك الجهة ليتسع مثل باقي جهاته »[1] وقد توفي الشيخ يوسف

---

(١) راجع : فيه ايضا الصفحة ٢٣٤ من هذا الكتاب .

في سنة ١١٨٦ هـ .

واذا كان المسجد والصحن الشمالي احدثا بمائتي سنة قبل زيارته في اواخر حياته فيصادف ذلك تماما في ايام الشاه طهماسب الصفوي فيكون المسجد الحالي والرواق والصحن في تلك الجهة من انشاءات الشاه طهماسب المذكور وهي عمارات جدا عظيمة كلفت خزائن الصفويين مبلغا عظيما من الاموال مما كان يدل على تعلقهم الكبير بمشاهد الائمة الاطهار .

ولم تقف مبرات الصفويين عند هذا الحد فكانوا يقدمون الخدمات الجليلة في كل فرصة ، اذ ان الشاه عباس الكبير (٩٩٦ هـ ـ ١٠٣٨ هـ) عند فتحه بغداد في عام ١٠٣٢ هـ = ١٦٢٣ م قام بخدمات نحو الحائر المقدس كما جاء وصفها نظما في «مجالي اللطف ص ٤٢» :

ثم اتى العباس في الاملاك	فصير الصندوق في شباك
وزين القبة بالكاشاني	والبهو في شأن يغيظ الشاني
وروق الرواق والصحن نظم	واستجلب الفراش من صنع العجم
واطلق الكف بفضل وافر	لسادن الروضة والمجاور
للاثنتين والثلاثين قفا	الف فارخوه (بالحسن ضفا ١٠٣٢)

وكان الشاه عباس كثير التمسك بالتشيع وذلك لان الاتراك اخذوا من المذهب ذريعة لمحاربتهم .

ويحدثنا السير جان مالكولم الانكليزي في كتابه « تاريخ ايران ص ٢٥١ » : انه مرارا زار الرضا عليه السلام وذهب مرة هو وجميع وزرائه وامرائه الى زيارته مشيا على الاقدام من اصفهان الى خراسان .

كما ويحدثنا المستر لونگريك في كتابه « اربعة قرون ص ٦٢ » عن عنايته الفائقة للحائر المقدس وسدنته : « وكانت كراهية الشاه الدينية تزداد كلما ارتوت ، وقد صرفت فكره عن نياته بعدم ابقاء أي سني حيا لتماسات

قيم مشهد كربلاء (أي الكليدار) • فقد حصل السيد (أي كليدار الحسين ع) من دون صعوبة على حفظ حياة الشيعة في بغداد ، وعند تقديم قائمة بهم ادخل في عدادهم كثيرا من السنة » • وهكذا انقذ سادن الروضة الحسينية حياة الالوف من السنة من المذبحة التي كانت تجري كرد فعل لما قام به السلطان سليم في سنة ١٥١٢ م من «الذبح المتقن لجميع الشيعة اينما وجدوا — اربعة قرون ص١٢ — » • او ما ارتكبه مراد الرابع في سنة ١٦٣٨ م من ذبح ثلاثين الفا من الشيعةمن الفرس والعرب على السواء في مذبحة واحدة و « بذا أروت هذه المذبحة الاخيرة عطش السلطان الفاتح للدماء — اربعة قرون ص ٨٠ — » • ولم تكن تلك المذابح الطائفيةالهائلة الا استمرارالتلك السياسة المتبعة في التاريخ فكان المذهب فيها ذريعة لتوطيد دعائم الحكم والتوسع والتسخير •

وكان حظ نادر شاه الافشاري الذي خلف الصفويين على عرش ايران اوفر بكثير من غيره في خدمة العتبات المقدسة ، فقد فتح الهند واتى بخزائنه المملوءة بالنفائس العظيمة الى ايران وكان نصيب العتبات قسما غير قليل منها لا سيما النجف الاشرف ، تلك الخزائن العظيمة التي يقول عنها السيد جمال الدين الافغاني في «العروة الوثقى» بان الانكليز لا زال يذكرونها بشيء كثير من التأسف لان سبقهم اليها نادر شاه بسنين قبل استيلائهم على الهند• ثم نهضت زوجته وهي كريمة الشاه سلطان حسين الصفوي الى تعمير المسجد المطهر في عام١١٣٥ من الهجرة وانفقت على ذلك اموالا لا تحصى كما جاء ذكرها في «تاريخ كربلاء المعلى ص ١٥» وغيره •

الفصل الرابع
الحائر واصلاحاته المهمة فى الدولة القاجارية

على يد السلطان آغا محمد خان وفتحعلي شاه وناصر الدين شاه

كان للدولة القاجارية الجديدة في ايران حظ وافر في تعظيم شعائر الحائر المقدس ، فأجريت له على عهد تلك الدولة اصلاحات مهمة لم يسبق ان قاموا بها في الادوار السابقة ، فمدت الكف بسخاء وجود عظيمين لهذا الغرض ، وكان الحائر في بداية عهدها على ما تراه اليوم من فخامة البناء والعظمة ولكن القبة السامية والمآذن كانت مكسوة بالكاشاني الاثري القديم وان الجانب الغربي من الصحن ما كان على ما هو عليه الان من العرض والسعة فجرى تذهيب القبة والمآذن وتوسيع الصحن من تلك الجهة مع بناء الجامع الغربي واصلاحات مختلفة اخرى على عهد هذه الدولة . وفي خلال مدة قصيرة من الزمن أي خلال خمس وستين سنة فقط من العهد القاجاري الاول جرى تذهيب القبة السامية ثلاث مرات . الاولى منها في اوائل تأسيسها على عهد موؤسسها السلطان محمد خان فقد أمر بتذهيب القبة في اواخر حياته فجرى ذلك في سنة ١٢٠٧ من الهجرة وذلك قبل الغارة الوهابية بعشر سنين .

والثانية جرى التذهيب مرة اخرى بمدة وجيزة من بعده على عهد السلطان فتح علي شاه لان التذهيب الاول كان قد اسود فكتب اليه اهالي كربلاء بذلك . فأمر الشاه توا بقلع الاحجار الذهبية القديمة واستبدالها بالذهب الجديد . ومن الاحجار الذهبية القديمة بعد تصليحها وتجديد ذهبها

كسى قبتي الكاظمين (ع) بالذهب[1] • وقد جرت اصلاحات كثيرة للحائر المقدس من بعد الغارة الوهابية الفظيعة على يد السلطان فتحعلي شاه القاجار وذلك في عام ١٢٣٢ هـ بهمة المرحوم الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء رحمه الله الذي توجه لمقابلة الشاه في طهران في أمر تعمير الحائر بعدما هدمته ونهبته الايادي الوهابية العابثة في الحرم المقدس ثم أخذ يتجول الشيخ في انحاء ايران يشجع على التعمير كما جاء ذلك نظما في «مجالي اللطف ص ٤٣» •

فانتهض الشاه له فتح علي — وارخص التبر لغالي العمل
وانشأ الصندوق ساجا ورقى — وجعل الشباك فيه ورقا
وألبس القبة ثوبا من ذهب — وصدر ايوان على البهو انتصب
وعمر القبة بالكاشاني — على ابي الفضل العظيم الشان
وجد في تجديد ما قد نهبا — من الحسين واخيه المجتبى
وتم ذا في الالف والمئتين — ثم الثلاثين مع الثنتين
بهمة الكاشف للغطاء — جعفر في العلم وفي العطاء
فقد سعى قصدا الى طهران — وجد للحسين في العمران
وطاف في طريقه يحرض — على البناء من لديه عرض

وقبل هذا التاريخ كان لولده محمد علي مرزا الذي تعين واليا لكرمنشاه الى الحدود فيما بين الدولتين في عام ١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م الايادي البيضاء في تعمير الحائر بعد هدم الوهابيين له ، فأمر محمد علي مرزا بن فتحعلي شاه توا بتزيين الحرم الشريف وتعميره ، كما جاء ذكره في تاريخ كربلاء المعلى ص ١٦ ، وبذل لذلك مبالغ وفيره •

المعلي ص ١٦ ، وبذل لذلك مبالغ وفيرة •

الشريف • والابواب الفضية التي يشير اليها هذا الكتاب امام الوجه الشريف

---

(١) تحفة العالم ، للسيد جعفر آل بحر العلوم ص ٣٨٠ .

هي التي رفعت مع الاسف من محلها باصرار طاهر القيسي الذي كان كثير التدخل وبصورة خارقة في امور الحائر فأباد بذلك تاريخ الحائر المقدس وآثاره وهكذا يعمل كل واحد منهم في كل يوم فظهرت نتائج اعماله ونواياه الان ٠

وفي هذا الدور من عصر فتحعلي شاه تبرعت زوجته بتذهيب المأذنتين٠

اما التذهيب الثالث للقبة السامية فانه كما تجده مكتوبا على القسم الاسفل من القبة السامية فوق الشبابيك المطلة على داخل الروضة بسطر من ذهب في ضمن الآيات القرآنية المكتوبة في الكتيبة من حول القبة ، وكذلك توسيع الصحن من ناحية الغرب وتشييد الجامع الناصري العظيم فوق الرأس فكان ذلك كله على عهد ناصر الدين شاه حفيد فتحعلي شاه وذلك في اوائل الربع الاخير من القرن الثالث عشر الهجري أي قبل ما يقارب التسعين سنة٠ وذلك ان الشاه في سنة ١٢٧٦ هـ وجه كبير علماء ايران المرحوم الشيخ عبدالحسين الطهراني رحمه الله بأموال طائلة الى كربلاء لاجراء ما يلزم للعتبات المقدسة من الاصلاح والتجديد والتعمير كما جاءت خلاصة ذلك في «تحفة العالم ص٣٠٨» بأن : « في سنة ١٢٧٦ جاء الشيخ عبدالحسين الطهراني الى كربلاء بأمر السلطان ناصر الدين القاجاري وجدد تذهيب القبة الحسينية وبناء الصحن الشريف وبناء الايوانات بالكاشي الملون ، وتوسعة الصحن من جانب فوق الرأس المطهر ٠ ولما فرغ من ذلك مرض في الكاظمين وتوفي سنة ١٢٨٦ ونقل الى كربلاء » ٠

وقد توفى الشيخ رحمه الله بسنتين قبل زيارة ناصرالدين شاه للعتبات المقدسة في سنة ١٢٨٨ هـ في ايام مدحت باشا والي بغداد ودفن الشيخ في الجانب الشمالي من باب السلطانية في مقبرته الخاصة في الزاوية الشمالية الغربية من الصحن المقدس ولا زالت مقبرته موجودة الى الان داخل الصحن

في ذلك الموضع ويقال انها ملك له .

وقد جاءت هذه التفاصيل نظما في تلك المجموعة الثمينة من « مجالي اللطف ص ٤٣ و ٤٤ » :

ثم أتى الناصر للدين فعم مشاهد القدس بفضل ونعم
وابتاع دورا ثم زاد الصحنا وزاد اعمارا وشاد مبنى
وأطلق الراحة بالانجاز على يدي عبد الحسين الرازي
لدى الثلاث والثمانين سنة والمئتين بعد ألف بينة
وزار بعد أربع للطف فوجد الشيخ وقد توفي
من بعدما شيد كربلاءا وروضة الزورا وسامراءا

ولم تقتصر اصلاحات ناصر الدين على الحائر وحده وانما شملت الكاظمية وسامراء أيضا .

ومن جملة اصلاحات الدور القاجاري تجديد صندوق الخاتم للقبر المطهر ، فقد جدده خان جان القاجار في سنة ١٢٢٥ هـ لان الوهابيين كانوا قدكسروا هذا الصندوق الاثري العظيم واحرقوه في سنة ١٢١٦ هـ كما تجده مدونا على كتيبة الصندوق نفسه وقد مر بيانه .

الفصل الخامس
الحائر والاصلاحات الاخيرة على يد

السيد طاهر سيف الدين

بعد ما اجرى للحائر المقدس والمشاهد المشرفة الى أواخر القرن الثالث عشر الهجري من الاصلاحات المهمة التي سبق ذكرها على يد الدولة القاجارية السابقة طغت على العالم موجة مادية لاسيما من بعد اعلان الدستور في كل من ايران وتركيا في سنة ١٩٠٨ م ، فقل على الاثر الزائرون والمتبرعون العظام من مختلف الاقطار الاسلامية بالتدريج ، فتوقفت الاصلاحات المهمة للحائر من اوائل القرن الرابع عشر الهجري الى بعد منتصفه فلم يقم خلال هذه المدة احد من الملوك والامراء او عظماء الرجال على بذل مايستحق الذكر لتجديد معالمه واصلاح شؤونه الدينية العامة بما يتناسب والمقام ، الى أن قيض الله له من بعد منتصف هذا القرن ابنا بارا وولدا صالحا هو سماحة السلطان السيد طاهر سيف‌الدين من هذا البيت الطاهر . فزار كربلاء من‌بعد عام ١٣٥٥ هـ فأشرف بشخصه على وضع الحائر المقدس واطلع بنفسه على ما يجب له ولشؤونه العامة من التجديد والتعمير والاصلاح الضروري اللازم فمد يد البذل والجود لتجديد وتعظيم آثار أجداده الكرام بسخاء منقطع النظير يخلد له التاريخ مآثره الجليلة . فكانت المأذنة الغربية لحرم الحسن عليه السلام قد نظرت اليه نظرة الترحيب فلبى دعوتها فورا فأمر بتجديد عمارتها من أساس فشيدت على الاثر بأحسن من ذي قبل . ثم جدد شباك الضريح المقدس وجدد فضته القديمة بفضة من عمل الهند في عام ١٣٥٨ هـ

كما تراه في الحرم المطهر .

ثم أضاف على مآثره الجليلة فأقدم في عام ١٣٦٠ هـ على تذهيب المأذنتين من حد السطح الى قمتهما .

وقد جاء وصف أعماله وتبرعاته العظيمة للحائر المقدس نظما في «مجالي اللطف ص ٤٤ و ٤٥ » :

ثم استمرت التجددات	تقيمها الملوك والسادات
فجدد الشباك سيف الدين	طاهر باللجين لا اللجين
وصاغ بالشباك عند الرأس	وصب فيها ذهبا جديرا
من فضة قدرها تقديرا	دائرة منيرة كالشمس
فانظر لها عليه وهي تحكي	ترسا على درع بديع الشبك
اشارة منه الى افتدائه	بكل ما يمكن من أدائه
فلاح منها حبه الصريح	وأرخوا « قد برج الضريح » [1]
وجدد المنارة المنقضة	بالذهب الا بريز لابالفضة
من بعدما أستأصلها بالنقض	من رأسها الى تخوم الارض
ثم بناها محكما أساسها	مرخما بدنها ورأسها
ودسر المعدن فوق البدن	وأفرغ الا بريز فوق المعدن
حتى اجتلاها ذهبا مهذبا	فذا وأرخوا «أنارت ذهبا » [2]

فان مآثره الجليلة تذكر التاريخ بما قام به من قبل الداعي الصغيرمحمد ابن زيد بن الحسن الحسني ملك طبرستان من تجديد عمارة الحائر المقدس في سنة ٢٨٣ من الهجرة . وكلاهما من هذا البيت العلوي الطاهر العظيم .

---

(١) اي ١٣٥٨ هجرية .

(٢) اي ١٣٦٠ هجرية .

الفصل السادس
الحائر وتوابعه من المدارس والمعاهد

العلمية ، والجوامع العظيمة ، والمساجد التاريخية ، والاماكن الاثرية الى قبل فتح الشارع من حوله

كانت كربلا من المراكز الاسلامية العظيمة التي حازت الروحانية الكاملة من الناحيتين الدينية والعلمية ، فكانت قد حازت على مركز علمي خطيربجانب ما كانت تتمتع به من المكانة الدينية العظيمة ، اذ صار يتوجه اليها منذ أول العهد رجال الدين ، وطلاب العلم ، ورواد الحقيقة والكمال من الشعوب الاسلامية ، فتأسست فيها المعاهد العلمية والمدارس الدينية العالية بمرور الزمن أسسها لها رجال الدول الاسلامية حول الحائر المقدس ، فأصبح الحائر وتحيط بها تلك المعاهد العلمية والمعابد الدينية والمساجد التاريخية احاطة الهالة بالقمر كما وصفها نيبور الالماني عند ما زار كربلاء قبل قرنين في ١٧٦٥ م في ج٢ ص ٢١٨ من رحلته وهو يصف حرم الحسين (ع) وما يحيط به من المعاهد العلمية بقوله : ان مجموع هذا الجامع العظيم يقع على مساحة كبيرة تحيط بها دور أهل العلم ورجال الدين من جهاتها الاربع .

أما اليوم فلا يرى نيبور من حول الحائر غير شارع فارغ قد يكون منتزها من المنتزهات في هذا المحل الديني المقدس وفي هذا المشعر الاسلامي العظيم .

وأما المعاهد الدينية التي أشار اليها نيبور والتي كانت تفتخر بها كربلاء الى قبل سنتين فصارت لقمة سائغة باردة لهذا الشارع الذي ما كان

للحائر نفسه من مصلحة فيه كي يضحوا بها لأجل فتحه ، وكان في ذلك خسارة عظيمة لا تعوض للحائر ولكربلاء ومكانتها العلمية الرفيعة وبدأت لها هــذه النكبة من عام ١٩٣٤ يوم بدأ البعض بالتفكير في هدم مأذنة العبد التاريخية بعنوان ميلانها كما سبق •

ان تلك المدارس العظيمة لطلاب الدين ، وتلك المعاهد العلمية لرواد العلم ، وتلك الجوامع والمساجد القديمة التأريخية للشعائر الاسلامية حول الحائر ، كلها كانت جلالا للحائر وعظمة لمكانته الدينية ومنزلتها العلميــة السامية • وقد تخرج منها في مختلف أدوار التاريخ فحول من رجال الدين ، من أكابر العلماء ممن تركوا لهم آثارا جليلة في الدين وفي التشريع الاسلامي معا • والى هذا العهد كانت تقوم بنشر الآداب الاسلامية وتسدي الخدمات الجليلة للعلم والدين على نحو ما يقوم به جامع الازهر الذي هو مفخرة مصر والذي يعز على كل مخلص أن لايجد الحكومة ساعية في تأسيس مثله في النجف او بغداد مع ما الى ذلك من الحاجة الملحة • وعلى فرض بعض العذر في عدم القيام بمثل هذا العمل الضروري خدمة للثقافة الاسلامية ولكن لاسبب في السماح بهدم أمثاله الكثيرة مما أسسته الاجيال السالفة من المــدارس والمعاهد والجوامع في كربلاء لأتفه الاغراض من قبيل فتح شارع واسع بدلا عن تلك المعاهد العلمية التي كانت تحيط بصحن الحسين عليه السلام •

فقد أقدمت البلدية على ذلك فذهبت ضحية هذا الشارع المؤسسات والمعاهــد الدينية المهمة ، والجوامع والمساجد العظيمة ، والاماكن الاثرية التاريخية ، والآثار الفنية الثمينة • فذهبت من جهة غرب الحائر :

١ ــ مدرسة الزينبية وكانت من المعاهد العلمية المهمة هي وموقوفاتها •

٢ ــ الجامع الناصري العظيم •

٣ ــ مدرسة صدر الاعظم النوري وكانت من أمهات المعاهد العلمية في

كربلاء . وذهبت ضحية الشارع من شمال الحائر :

١ — جامع رأس الحسين التاريخي العظيم وكان قد أقيم في وسط هذا الجامع العظيم منذ العهد الاول مقام أثري تذكاري لأن الرأس المطهر كان قد وضع في ذلك المحل قبل أن يؤخذ الى الكوفة ، وكان الشيعة قاطبة يعلقون أهمية كبيرة على هذا الجامع وكان هو من المقدسات الدينية عندهم .

٢ — جامع السردار حسن خان الذي كان يعد آية في الفن المعماري وعلى جانب عظيم من الهندسة .

٣ — مدرسة السردار حسن خان وكانت أعظم مؤسسة دينية علمية في كربلاء وقلما كانت توجد مدرسة مثلها في المشاهد المشرفة وقد تخرج منها فحول العلماء قديما وحديثا كذلك ذهبت موقوفاتها أيضا ضمن الشارع .

فقد فقدت كربلاء بهذا المشروع احدى ميزتها الدينية والعلمية ففقدت ميزتها العلمية بهدم مدارسها ومعاهدها . كذلك فقدت جمالها الفني الاثري التاريخي ولم تحصل أزاء الخسارة العظمى غير شارع يستطيع الافرنج أو غيرهم من التجول حول الصحن دون أن يتحملوا عناء المشي على الاقدام ، وهذا كل ما حصل .

وغني عن التنويه بأن الهدم كان نصيبها من عهدها الاول . وقد جرى التخطيط والتنفيذ والهدم لتوابع الحائر حسب الظاهر بلا رضى الاهلين ورجال الدين ومن جملة ما نشرته جرائد العاصمة المختلفة فهـذا ما نشرته جريدة « النداء » البغدادية بهذا الصدد : (١)

شكوى علماء كربلاء

تسلمنا ظهر أمس البرقية التالية من كربلاء : جريدة النداء بغداد .

---

(١) راجع : جريدة النداء العدد ٤٣٢ تاريخ ٢٧ / ٢/ ١٩٤٦ — ٢٦ ربيع الاول ١٣٦٥ هـ .

لقد عزمت بلدية كربلاء على تهديم حول الصحنين الشريفين واستملاكهما من غير ضرورة الى ذلك ، وهذه فاجعة عظيمة وحادثة كبيرة توجب تألم القلوب وتأثر النفوس لكافة المسلمين لما فيها من محو الآثار الدينية والمشاعر الاسلامية ،وازعاج الفقراء والضعفاء عن أماكنهم واخراجهم من مساكنهم والهين حيارى من غير مسكن ولا مأوى يلجؤن اليه في مثل هذا الموقف الحرج العصير . فنرفع شكوانا لسموكم الملكي في دفع هذه البلية العظمى واصدار الامر بالمنع وغض النظر عن هذه الفكرة الفاجعة مستجيرين بالعرش الملوكي ومستعينين بالبيت الهاشمي الرفيع دامت أيامكم .

هيئة علماء كربلاء

محمد الطباطبائي . محمد حسن الموسوي الطباطبائي . محمد هادي الحسني الحائري . محمد الخطيب . حسين القزويني الحائري .

وقد تقدم متولي مدرسة السردار حسن خان بعريضة استرحم فيها عدم التعرض لأمثال هذه الابنية التاريخية الدينية وهذا نصها :

ان بلدية كربلاء قررت هدم مدرسة حسن خان الدينية العظيمة التاريخية وتشتيت شمل طلابها . بصفتي متوليا عليها استرحم من أولياء الامور اصدار الامر بعدم التعرض مؤيدا بذلك استعطاف سماحة العلامة آية الله القمي دام ظله وتصريح معالي العين المحترم السيد عبد المهدي دام علاه بعدم التعرض لأمثال هذه الابنية التاريخية الدينية .

المتولي : عباس الطباطبائي

وقد أشار في هذه العريضة الى برقية آية الله القمي وتصريح معالي السيد عبد المهدي الذي أدلى به على الاثر في مجلس الاعيان في يوم الخميس ٢٨ — ٣ — ١٩٤٦ بأن « تخطيط المدن القديمة وفق الاساليب العصرية غير ممكن لوجود المعابد والآثار النفيسة التي ينبغي الاحتفاظ بها . واذا أردنا انشاء

مدن عصرية وفق هذه الاساليب فلننشأ مدن جديدة خارج المدن القديمة »[١] .

ثم وجه أحد اساطين العلم وعلم من أعلام الدين اللامعين « النداء العام » التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء عام . لايخفى على أولياء الامور وفقهم الله للصالح العام والخدمة العامة ان أهالي كربلاء يستغيثون ويضجون بالشكوى المؤلمة من هذه الحركة العنيفة وهي هدم دورهم وتركهم بلا مأوى مع عيالاتهم وأطفالهم في هذا الوقت العصيب . ولا شك ان أولياء الامور يعطفون عليهم ويرأفون بهم ويتركون هذا العمل الذي لاضرورة تقتضيه الى وقت آخر حيث تتسع الاحوال وتتسهل الاعمال وفق الله الجميع بدعاء .

الاب الروحي — محمد الحسين آل كاشف الغطاء [٢]

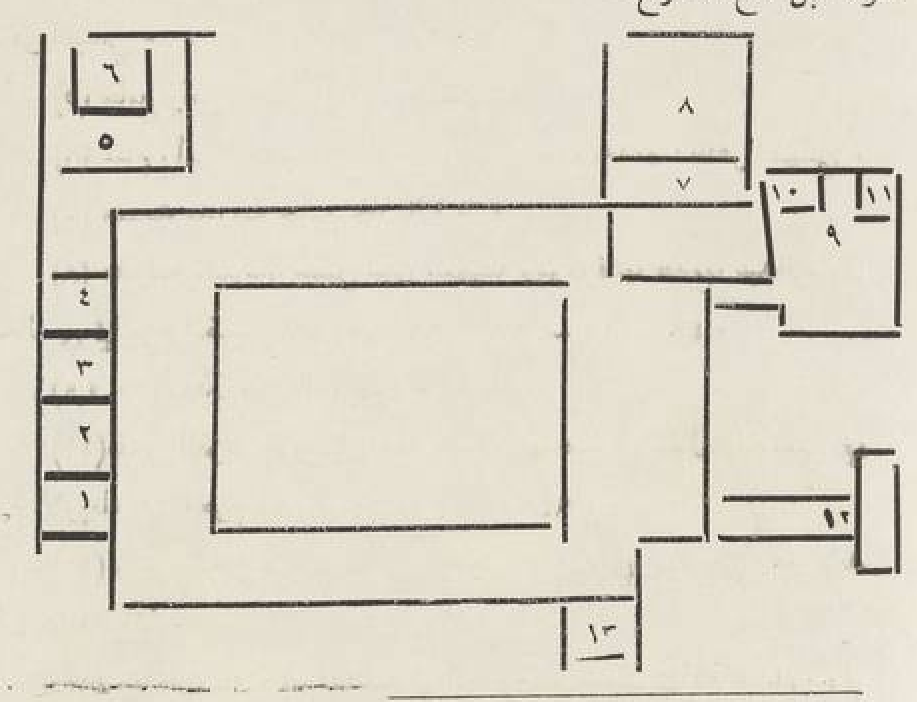
وهناك طائفة كبيرة من البرقيات والعرائض الاسترحامية في حفظ آثار الحائر القديمة ومعاهده العلمية والدينية مما لاموجب للاطالة فيها ويكفي ان إقدام البلدية في هذا الامر وهدمها الاماكن الدينية كان مغايرا لرضى رجال الدين والعلماء والاهلين .

وقد ترك هدمها تأثيرا بليغا في النفوس ومع ذلك كله فلا يمكن القول بأن هذا المشروع ظهر الى عالم الوجود أو دخل دور التنفيذ دون أن يؤيده البعض من الذوات المعلومين ويرغبون فيه فكان لهم في ذلك بعض التأثير مما لايستهان به ، فكان البعض في كربلاء لمصالح ، والبعض الآخر للتخلص من مأزق بيوتهم الضيق والتطلع الى شارع واسع تصل بهم السيارة الى دارهم

(١) نشر في جريدة «الساعة» عدد ٤٤٥ ليوم الجمعة ٢٩/٣/٩٢٦

(٢) ان هذا النداء العام بخط مولانا العلامة الاكبر وتوقيعه موجود لدينا وهي الصورة الاصلية من هذا النداء .

بباب الزينبية ، والآخرون من أهالي كربلاء الساكنين في الكاظمية مثلا لبعض المصالح الخاصة (٣) • وغير هؤلاء ايضا ممن كانوا يؤيدون المشروع من طرف خفي ويشوقون الى تنفيذه كل حسب مصالحه وفي الحقيقة لم يكن المسبب الاصلي غير شخص واحد هو الذي كان يدير دولاب هذا العمل من وراء الستار ، لماذا ؟ من يدري • وفيما يلي خريطة الحائر المقدس وتوابعه من حوله قبل فتح الشارع :



(١) ومن الغريب ان هذا النفر سعوا فى أمر هذا الشارع وهدم توابع الحائر فى كربلاء بالنظر الى مصالح خاصة ومانعوا فى الكاظمية من تمديد شارع الجسر الى باب الصحن حفظا لدارهم التي اشتروها فى المزايدة من الاجراء . فانظر الى اي درجة لعبت الاهواء فى هذه الامور .

(١) موقوفات مدرسة الزينبية .

(٢) مدرسة الزينبية العظيمة وكان بابها من داخل الحائر المقدس .
هدمت هي وموقوفاتها في يوم الاثنين ١٣ محرم ٦٨ = ١٥ — ١١ — ٤٨.
على يد عبدالرسول الخالصي .

(٣) الجامع الناصري العظيم هدمه عبد الرسول في ع ل ٦٨ .

(٤) مدرسة صدر الاعظم النوري من أمهات المدارس الدينية هدمها طاهر القيسي .

(٥) جامع رأس الحسين الاثري العظيم .

(٦) مقام رأس الحسين (ع) في وسط الجامع هدمهما طاهر القيسي .

(٧) مسجد مدرسة حسن خان الكبير .

(٨) مدرسة السردار حسن خان العظيمة وموقوفاتها هدمها عبدالرسول الخالصي في يوم الخميس ١٦ محرم ٦٨ = ١٨ — ١١ — ٤٨ .

(٩ و ١٠) مآذن مقابر البويهيين .

(١١) مقابر الملوك البويهيين وقد هدم كلها عبد الرسول الخالصي في يوم الاربعاء ٢٢ محرم ٦٨ = ٢٤ — ١١ — ٩٤٨ .

(١٢) رأس مدخل « باب قاضي الحاجات » الاثري التاريخي وهو لابد وأن يهدم قريبا .

(١٣) ملحقات تكية البكداشية في الحائر وقد هدمت في أيام عبدالرسول الخالصي .

الفصل السابع
الحائر وحرم العباس عليه السلام

على بعد ثلثمائة متر تقريباً في الجهة الشمالية الشرقية من الحائر المقدس يقع مرقد العباس عليه السلام حيث استشهد على مشرعة الفرات فدفن في محل شهادته خارج الحائر وهو المحل الذي أقيم عليه مرقده الفخم العظيم على غرار مرقد أخيه الحسين (ع) ومراقد بقية الأئمة الاطهار في العتبات المقـدسة .

وكان العباس قد ذهب لاستقاء الماء من المشرعة لعطاشى حرم أخيه . ولما أخذ الماء أحاط به القوم ليمنعوه فتقاتلوا حتى قتل عليه السلام وهو يدافع عن الماء الى آخر النفس لعله يصل به الى الحرم فيسقي النساء والاطفال والرضيـع .

أصبح العباس ويضرب المثل بايثاره اذ أنه لما وصل الفرات وهو عطشان أراد ان يشرب الماء فذكر عطش اخيه واهل بيته فأمتنع عن شربه قبل إروائهم .

وللعباس عليه السلام مقام رفيع ومنزلة عظيمة فهو الاخ المواسي لاخيه ولذلك شيد قبره الطاهر على نسق قبر الحسين عليه السلام بنفس العظمة والفخامة . وهو مدفون على المسناة كما رواه المفيد في « الارشاد » وغيره .

وكان نهر نينوى يجري اذ ذاك في هذا الاتجاه من الشمال الى الجنوب وتمتد قرية نينوى على ضفافه ، ولعل شارع العباس اليوم هو المحل الذي كان يجري فيه الفرات في الصدر الاول .

والمرقد فخم للغاية يتألف من حرم مجلل مبني بالرخام في وسطه الشباك المقدس من الفضة تحيط به من الجهات الاربع أروقة عظيمة على نسق مايحيط

بحرم الحسين (ع) من الاروقة • وفوق أركانه الاربعة الرصينة تعلو قبة عظيمة مغشاة بالكاشاني الفني الاثري البديع ، وتتقدم القبة مأذنتان بديعتان يكسوهما الكاشاني والفسيفساء البديع الصنع الى حد الصينية وما فوقها الذهب الابريز الى رأس قمتيهما ، ويقابلهما فوق باب القبلة برج عظيم تعلوه ساعة رنانة تدوي في الفضاء دوي الصارخ المتألم فيملأ الجو رهبة ووقارا • وهذا البناء الفخم واقع على سراديب تحت الارض وتحت البناء فارغ يتخلله الهواء من الداخل فيمنع تسرب الرطوبة اليه بخلاف ما هو في حرم الحسين عليه السلام من أن البناء مشيد على الارض مباشرة • ويحيط به من جهاته الاربع صحن جميل بديع الصنع والهندسة ورفيع الاسوار غير ان الحائر أوسع منه بكثير وأن الادوار التي مرت على الحائر المقدس من التعمير أو الهدم والخراب والنهب والسلب مرت على مرقد العباس أيضا حسب الظاهر، كما يشير الى ذلك في « مجالي اللطف ص ٤٥ » :

وكل من شاد بناء السبط ... شاد بنا أخيه بين الرهط

فهو الغضنفر الشديد الباس ... ومن ترى كالضيغم العباس

والعباس (ع) معروف بين الناس بشدة البأس والسطوة ولذلك لقب بالضيغم والغضنفر • ويتهافت الناس على زيارته من الشيعة ومن مختلف الطوائف الاسلامية يقدمون له الهدايا والنذور بدافع الخوف والرجاء على الاكثر ، الخوف من سطوته فلا يحلف أحد به كذبا ويروون في ذلك أحاديث متنوعة • ثم الرجاء من فضله أن يقضي حوائجهم أبو الفضل •

ما تفضل به الخطيب الكاظمي الشهير فضيلة السيد محمد حسين
الحيدري مؤلف كتاب « المعارف الحسينية »
مقرضا كتاب تاريخ كربلاء وحائر الحسين (ع)
« للحائر » الميمون قد شيدت أسوارا منيعة

لله نفس قد حوت	بمقامها الرتب الرفيعة
فبنت على العيوق صر	حا بالفضائل للشريعة
تلك المكارم للجواد اللو	ذعي أتت وسيعه
أكرم به من كاتب	شكر الاله له صنيعه
حاز السباق بوصفه	الارض المقدسة المنيعة
خدم الحسين موضحا	للناس أسرارا رفيعه
ان عدت الكتاب	كان لجميعهم أبدا طليعه
فلنشره ود البديع لو	أنه يحكي بديعه
ولسفره جاء البيان	تذللا يهوى ربوعه
يا صاحب السفر الذي	ضمنته غررا نصيعه
اعلم بأني عاجز	عن مدح سدتك الرفيعه
« للحائر »الميمون قد	شيدت أسوارا منيعه
وأقمت نبراس الحقيقة	للشهيد على الشريعة
بيراعك الخلاب قد	سطرت آيات بديعه
خذها اليك فانها	مقطوعة جاءت مطيعه
عذرا فشلي مدح مثلك	شعره لن يستطيعه

كلمة صاحب الفضيلة العلامة حضرة الشيخ مرتضى الخالصي مقرظا
كتاب «تاريخ كربلاء وحائر الحسينع»

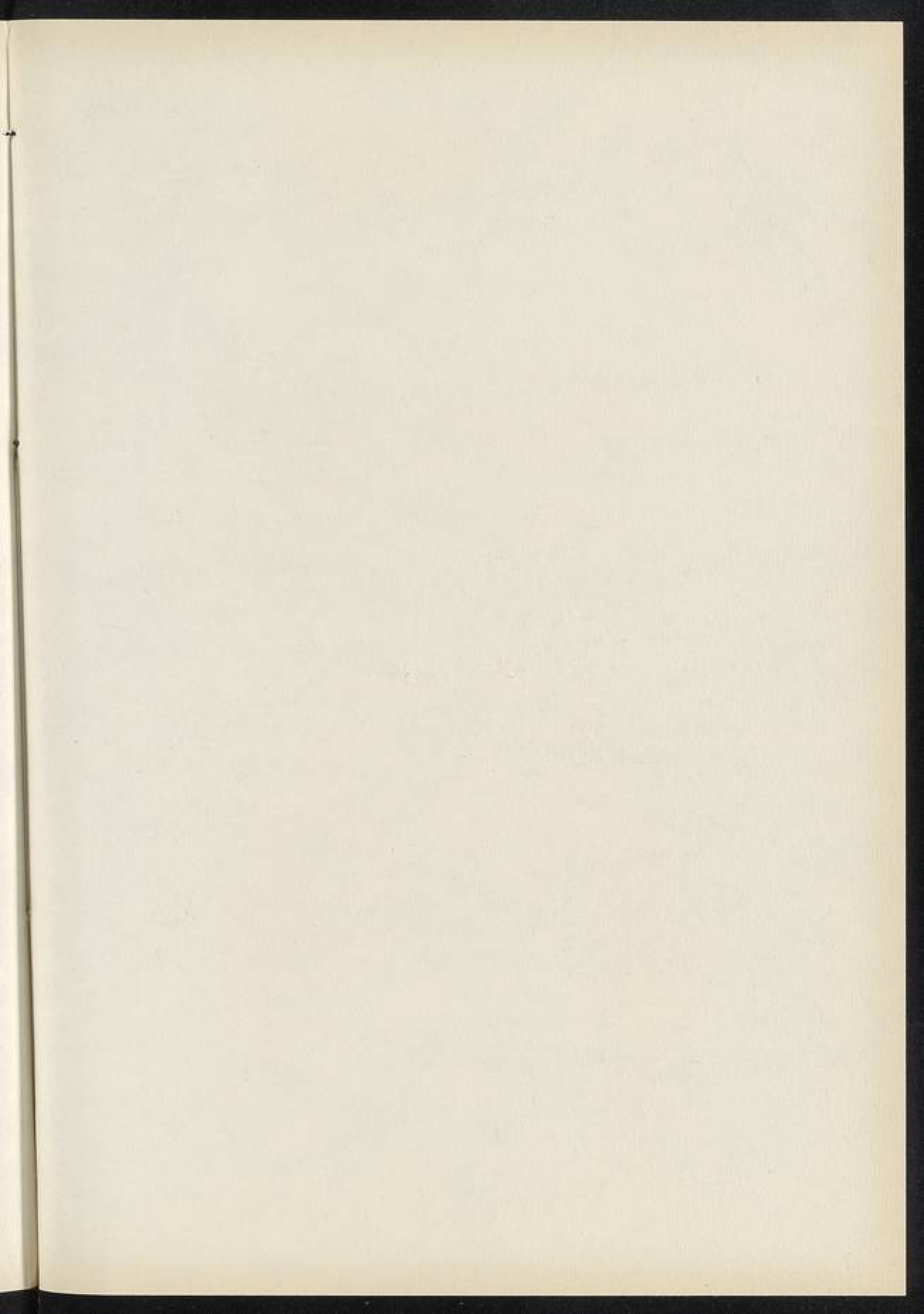
عبدالجواد آية	بينة ومعجزة

كنز خفي لـم يـزل يراعـه قـد ابرزه
لله مـا ابدعـه مـن قـلم واحرزه
مفصـلا تبيـانه ولفظـه ما اوجـزه
ابدع ما اودع في تأليفـه وارتجـزه
معـدن عـلم كنزه سـبحان من قـد كنزه
أخرس سحبانا بـه وقس فيه أعجـزه
اذاك سـحر بابل أم سحر لفظ جـوزه ؟
افضـل كل عمـل ما كان منـه احمـزه
آمن من في عصـره بـه لمـا قـد احـرزه
لـذاك خروا سـجدا لآيـه والمعجـزه

رفع فروض الشكر

نرفع اجمل الشكر الى حضرات العلماء الاعلام وقادة الرأي العـام اللامعين في سماء العلم والادب الذين تفضلوا بالتقريظ على كتابنا « تاريخ كربلاء وحائر الحسين «ع» بما جادت به نفثات اقلامهم نثرا ونظما فشملونا بالطافهم العالية وثقتهم الغالية ، فلهم منا اجزل الشكر واجمل عبارات الثناء.

١ ـ فهرس الاعلام



(أ)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ط)

(ع)

« استدراك »

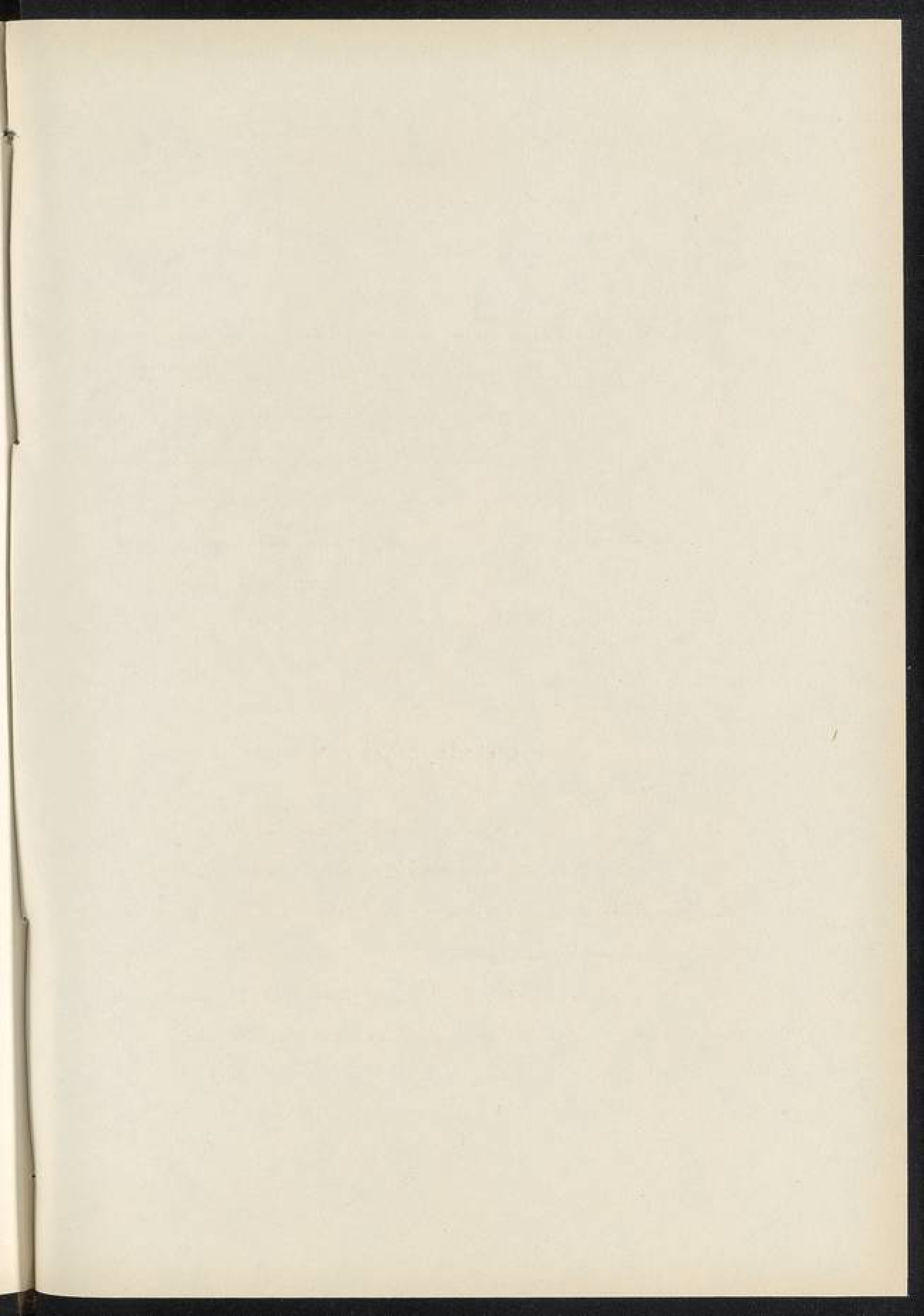
١ ـ ذكر المؤلف في ص ٥١ « وقد نعتت كربلاء منذ الصدر الاول في كل من التاريخ والحديث بأسم كربلاء والغاضرية ونينوى وعمورا وشاطيء الفرات وشط الفرات .... وورد منها ... الخ » .

والصحيح ان هذه الاسماء ليست مختصة بمنطقة واحدة ، اذ انها من القرى التي كانت تحيط بكربلاء الاصلية عند ورود الحسين لها ويجدر مراجعة كتاب « بغية النبلاء في تاريخ كربلاء » ص ١٠٦ للتعرف على مواقع هذه القرى .

٢ ـ ورد في ص ١٥٦ عند ذكر السيد طعمة (الثاني) بن شرف الدين عبارة « وهو الذي يقال لولده آل طعمة .. » والصحيح ان (آل طعمة) تطلق اليوم على السلالة المنحدرة من السيد طعمة (الثالث) الواقف لفدان السادة .

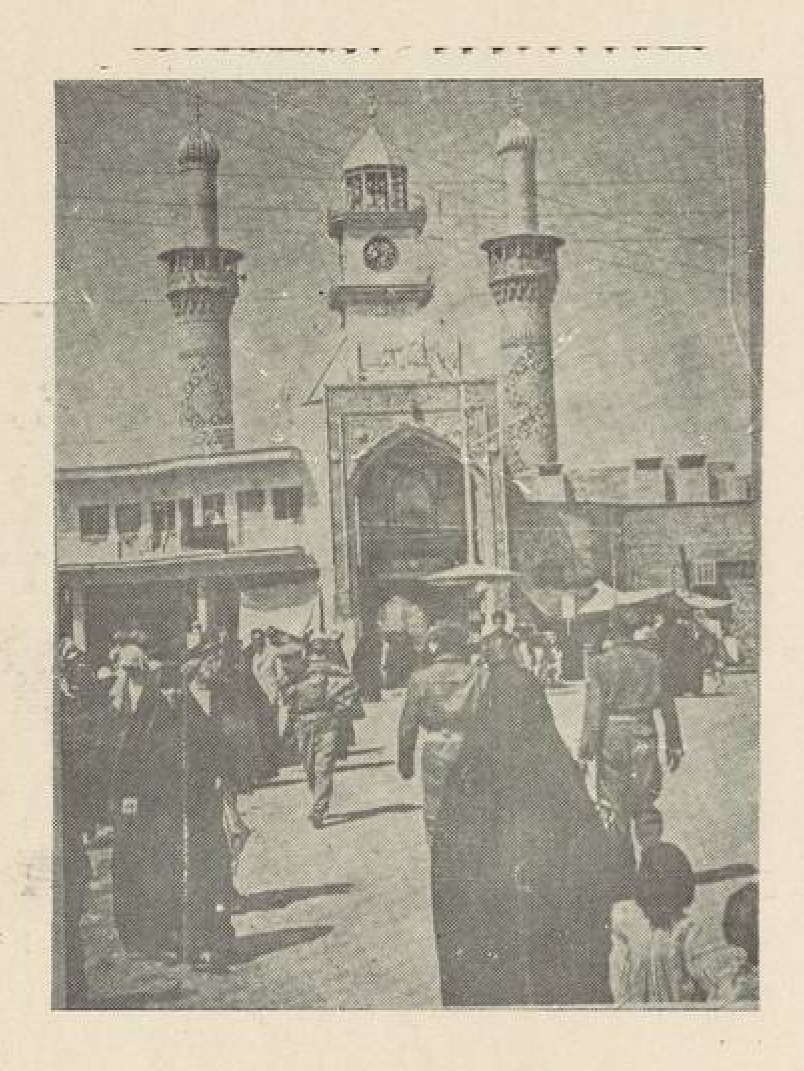
٣ ـ ورد في عدة اماكن من هذا الكتاب اسم كتاب « تاريخ كربلاء المعلي » وهو للمرحوم العلامـة السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة شقيق المؤلف .

٢ ـ فهرس المحتويات

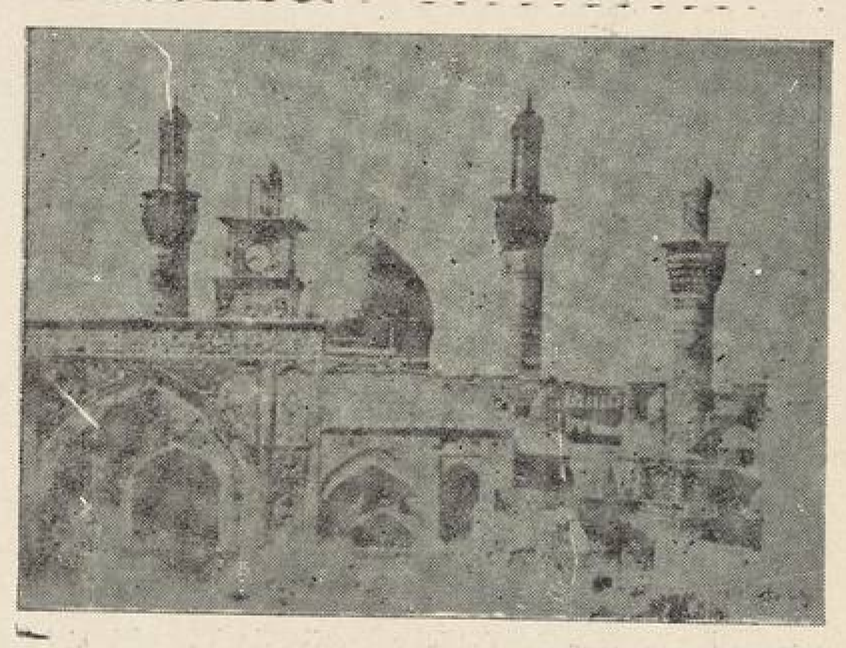


صفحة

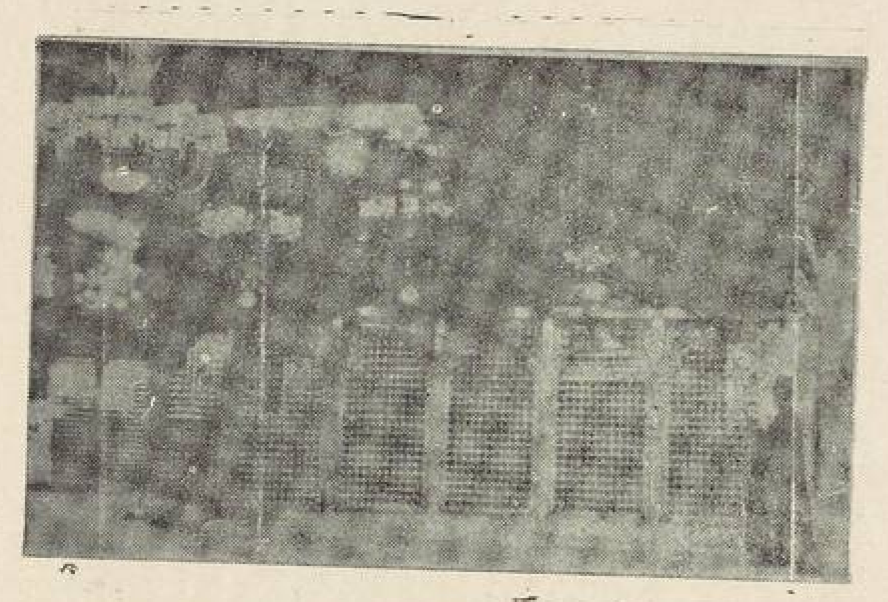
مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧



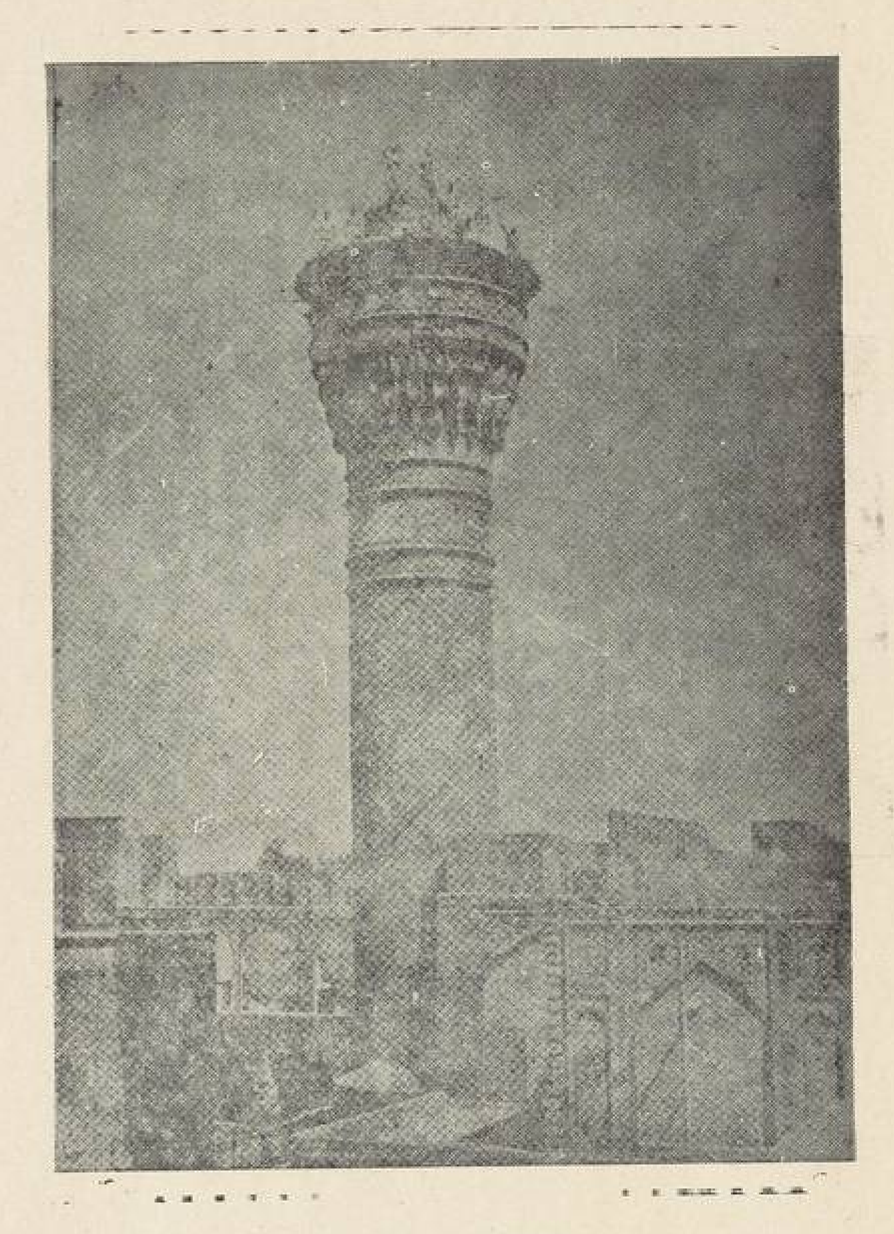
صورة للروضة العباسية المقدسة



صورة للروضة الحسينية المقدسة وتظهر الى الجهة الشرقية منها
مأذنة العبـــد المشهورة



ضريح الامام الحسين بن علي (ع)



مأذنة العبـــد الشهيرة

